

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٣٦ - جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ - أغسطس ٢٠٠٤م

ALFAISAL MAGAZINE - NO. 336 - AUG. 2004

- عندما تؤكل البذور: مفهوم البنك الدولي الجديد حول الرخاء العالمي
- المجتمع القرطبي في القرن الخامس الهجري
- المتغيرات الحضارية والاجتماعية لسكان مراكز النمو بمنطقة عسير

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٣٦ - جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ - أغسطس ٢٠٠٤م
ALFAISAL MAGAZINE - No 336 - AUG 2004

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف
- اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

السعر الإفرادي

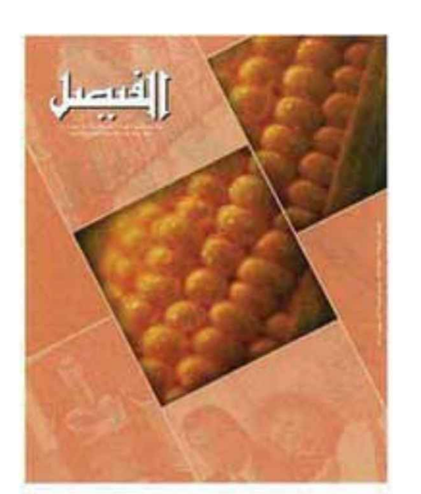
السعودية ٨ ريالات . الكويت ٦٥٠ فلس . الإمارات ٧ دراهم . قطر ٧ ريالات . البحرين ٧٥٠ فلس . عُمان ٧٥٠ بيسة . الأردن ٥٠٠ فلس . اليمن ٦٠ ريالاً . مصر جنيهان . السودان ٧٠ دينارًا . المغرب ٨ دراهم . تونس دينار واحد . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٤٠٠ فلس . سورية ٣٠ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١). فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١). مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ، ٢٠٢... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٤٤٨. فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ، ١١، ٠٠٩٦٣. تونس . الشركة التونسية للصحافة . آنهج المغرب . ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ، ٧١ ، ٠٠٢١٦. قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ، فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ، ٠٠٩٧٤. الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ، ٦، ٠٠٩٦٢. البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ ، ٠٠٩٧٣. الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ، ٤ ، ٠٠٩٧١. الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ، ٠٠٩٦٥. المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ ، ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣. الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ، ٣ ، ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







عندما تؤكل البذور

طرح البنك الدولي مفهومًا جديدًا لتحديد معنى الرخاء، والادخار المجدي. يتمثل في أنه لا بد من حسم كلفة استهلاك الموارد الطبيعية من الأداء الاقتصادي الاجمالي، لمعرفة الادخارات الحقيقية.

وهذا ما جعل بعضهم يرى أنه ليس ثمة إنسان عاقل يأكل البذور، أو يدمر التربة؛ لأن ذلك يعني فقدان الحصاد مستقبلاً: فما تفاصيل هذا المفهوم الذي أبرز الحاجة الملحة إلى تنقية الأسس المنهجية لاحتساب الرخاء، والادخار؟

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ريال سعودي للأفراد. ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات.

أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٤٤٣

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



دعاء ورجاء

ها أنذا أعيد الكرة من جديد وأراسلكم بعدما وصلتني رسالتكم التي كانت غنية كثيرًا فما وجدت شيئًا أجازيكم بها على صنيعكم معي إلاّ أن دعوت الله لكم بالفلاح والسداد والثواب الجزيل وهو المستعان وعليه التكلان الرحيم الرحمن. وكما قال الشاعر:

وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً فابذله للمتكرّم المفضال

فأنا أطلب منكم أن تعينوني بالحصول على هذه الكتب:

ديوان الشاعر أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري.
ديوان شعر الإمام الشافعي، وحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ..

وبما أني التحقت بمدرسة لتعليم إشارات الصمّ والبكم خطر ببالي طلب المساعدة منكم ـ حفظكم الله تعالى ـ بأن اطّلع على منهجية تعليمكم لهذه اللغة وكيف السبيل إلى استعمالها للدعوة والإرشاد إلى الدين الصحيح خاصة وأنتم في مدخل الإسلام ومهد الحضارة. وأخيرًا أسأل الله ألاّ أكون قد أثقلت عليكم وأن يوفقكم إلى ما فيه صلاحكم في دينكم ودنياكم وأن يديم عليكم نعمته بأن أسكنكم بلد الحرمين ـ اللهم آمين.

أختكم: ميش سعدية
عمارة ١٢٣/٣ رقم ٦ حي الصديقية ـ ولاية وهران ـ
الجزائر ٣١٠٢٥

التحرير

نشكر لك رسالتك الرقيقة، وكان بودنا تلبية طلبك، ولكن ورود طلبات مماثلة كثيرة يجعل تلبيتها أمرًا عسيرًا على المجلة، ولكن ثق أن هناك من يمكن تحقيق ما تطلبين.. لذا ننشر عنوانك كاملاً. داعين الله لك بالتوفيق.

استطلاع

أود أن أشكر لكم اهتمامكم برسائل القراء، مما يثبت أن الفيصل جديرة بالاحترام والتقدير. وهذه ليست مجاملة على الإطلاق بل الحق أحق أن يقال. أود أن أعلمكم أني قمت بإعداد استطلاع عن إحدى المدن المنسية في جمهورية مصر العربية لها ماض عريق أغفل كثيرون دورها التاريخي. وهي غير معروفة بين الناس على الرغم من شهرتها في التاريخ القديم والوسيط والحديث. لذلك أتوجه إليكم بالرد عليّ وقبول هذا الاستطلاع مع العلم أني طالب بجامعة عين شمس. والاستطلاع موثق وبه صور خرائط ومخطوطات وأماكن ربما لم تنشر من قبل. وقد تمت مراجعته من قبل أساتذة بجامعة عين شمس، وجامعة الأزهر..

أرجو الرد عليّ في أقرب وقت ممكن. وكيف يمكن إرسال الاستطلاع مع ضمان وصوله إلى أسرة التحرير. وهل لكم مندوب في مصر أم لا؟.

وسوف أراسلكم على الدوام بالأخبار الثقافية من مؤتمرات وندوات ولدي كتاب حديث عن إحدى المدن المصرية، سوف ينشر في سبتمبر القادم ـ إن شاء الله ـ.

وفقكم الله لما يحبه ويرضاه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

هاني مشرف علي وهيب
منيل السلطان
أطفيح ـ الجيزة ـ مصر

التحرير

اهتمام المجلة برسائل قرائها أمر طبيعي لأنهم هم المستهدفون بما تقدمه من زاد ثقافي، ولا يمكن لمجلة أن تقوم بدورها من غير أن تتزود بآراء قرائها الكرام.

ونفيدك أن إرسال المواد إلى المجلة يتم مباشرة من الكاتب إلى عنوان المجلة الموضح في صفحتها الثالثة، ونرحب باستطلاعك الذي نتمنى أن يأتي مستوفيًا لشروط النشر من حيث أهمية موضوعه وجدته، وتوافر الصور التوضيحية الداعمة له.

ونتمنى لك التوفيق في نشاطك العلمي.

يسرني ويسعدني ان أبعث هذه الرسالة إلى مجلة الفيصل الغراء.

سائلاً المولى عز وجل أن يمنحكم موفور الصحة والتوفيق.

في البداية أهدي إليكم تحياتي الحارة والخالصة المعطرة بأريج الورد والياسمين لما تقدمه مجلتكم الرائعة من موضوعات بأحسن شكل وأروع مضمون فهي بحق مجلتي الأولى منذ سنوات.

وأرجو أيضًا أن تلبوا لي رغباتي ما أمكن وهي كالآتي:

أولاً: زيادة صفحات المجلة.

ثانيًا: تطوير المسابقة وزيادة قيمة جوائزها.

ثالثًا: تقديم استطلاعات مصورة عن إحدى المدن المصرية، وليتكم تبدؤون بالقاهرة أكبر مدينة في إفريقية.

رابعًا: أن يكون هناك موقع لمجلة «الفيصل» الغراء على شبكة الإنترنت.

خامسًا: نشر رسالتي واسمي في باب «رسائلكم»..

وأخيرًا أدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم ويديمكم ويديم مجلتكم إلى يوم يبعثون.

علاء سالم مهران سالم

أسيوط ـ موشا ـ مصر

التحرير

نقدر لك حرصك على مجلتك، ونرحب باقتراحاتك، واقتراحات جميع الإخوة القراء، أما بالنسبة إلى رغباتك، فنشير إلى أنه لا نية حاليًا لزيادة صفحات المجلة لأسباب كثيرة لا مجال لذكرها، أما تطوير المسابقة شكلاً ومضمونًا فهو مأخوذ في الحسبان، ونستنير في ذلك بآرائكم، أما الاستطلاعات المصورة عن مدن مصرية ومعالمها الحضارية، فإن المجلة قد نشرت الكثير، وهناك استطلاعات في الطريق ستنال رضاك، كما أن المجلة قد تناولت القاهرة ومعالمها في أعداد كثيرة في الماضي، ونفيدك أن موقع المجلة قيد الإعداد، ونأمل أن ينال إعجاب جميع القراء.

فشكرنا لك ولجميع من يشاركوننا الهم من أجل تطوير المجلة من جميع النواحي.

ردود سريعة

الأخ مالك نصر الصالح ـ حمص ـ سورية:

نعتذر لك عن نشر قصيدتك «افخر وحق لك الفخار» لكثرة ما لدينا من قصائد في الاتجاه ذاته، ولقد حاولنا الاتصال عليك في البريد الإلكتروني الموضح في رسالتك، ولكن تعذر ذلك.. آملين أن نتلقى أعمالاً أخرى تكون أكثر حظًا في النشر.

الأخوان هادي مفيت ـ حضرموت ـ اليمن، محمد نبيه سليمان خطاب ـ محافظة الغربية ـ مصر:

نشكر لكما اطراءكما وحرصكما على اقتناء المجلة، ونشكر لكما اقتراحاتكما التي ستكون محل اهتمامنا، وفي انتظار مشاركتكما، ونأمل أن نكون عند حسن ظن جميع الإخوة القراء.

الأخ علي صالح يحيى القادري ـ صنعاء ـ اليمن

لقد وصلتنا رسالتك الرقيقة التي نشكر لك ما فيها من إطراء، ونحمد الله أن انتظم وصول المجلة إليكم، وسيظل التطوير في المجلة مستمرًا بفضل آراء قرائنا التي نعتز بها لما تعبر عنه من تواصل حميم وحرص على التجديد.

الأخ يوسف عبدالكريم عبدالجليل ـ البحيرة ـ مصر:

شرف كما قلت أن تحمل هذه المجلة اسم «الفيصل». وهذا ما يقتضي أن نكون على المستوى المأمول دومًا، وهذا الشعور الذي عبرت عنه هو ما يجعلنا نتلمس آراء أمثالك من القراء، ونتمنى لك التوفيق في دراستك لتكون أحد المنافحين عن اللغة العربية.





المتغيرات الحضارية والاجتماعية لسكان مراكز النمو بمنـ



أنــور بن محـمـد آل خليــل

أبها ـ السعودية

راودتني فكرة القيام بجولات على مراكز النمو والإسكان الخيري بمنطقة عسير التي سمعت عنها كثيرًا ولم أشاهدها !؟ وعندما أتيحت لي الفرصة ذهبت وأنا ممتلئ بالحماسة لقراءة واقع أهلها المعيشي والاجتماعي اليوم من خلال ما كانت عليه أوضاعهم بالأمس !.

وكان العنوان المحدد الذي انطلقت منه لإعداد هذه الدراسة كان كما ارتضاه صاحب فكرة إنشاء هذه المراكز سمو الأمير خالد الفيصل، وتم تداوله رسميًا، وهو الإسكان الخيري في مراكز النمو.

إلا أنني عندما سرت في دروب هذه المراكز تهت وسط مجموعة من العناوين التي يستحق كل منها قراءة مستقلة. . فالفكرة عنوان، والإسكان عنوان، والطفل هناك عنوان، والأسرة وما طرأ عليها من المتغيرات عنوان. . عناوين كثر جعلتني أقر داخل نفسي بالعجز عن تناول كل منها بما يستحقه من الدراسة، و سبر أغوار ما حدث عليه من متغيرات حضارية واجتماعية ونفسية ومعيشية. فواقع الجهد الذي بذل لقيام هذه المراكز الحضارية فرض نفسه لأبسط في القول والعرض والاستنتاج..! ثم اختصر منه بما يتناسب مع مساحة النشر هنا، مذكرًا بأن هذه الدراسة قد قصرتها على مركزين فقط، هما خيرية الملك فيصل بالحريضة وخيرية الأمير سلطان بالقحمة، وهي تعد الدراسة الأولى ـ على حد علمي ـ التي تهتم بقراءة هذه المتغيرات.

ولا يمكنني إخفاء تأثري بما شاهدته من مشاعر الغبطة والسرور التي باحت لي بها أنفس من التقيتهم من السكان نتيجة التحولات الإيجابية التي طرأت على حياتهم اليومية كثمرة طيبة من ثمار هذه المشروعات الإسكانية الناجحة.

مع وعد ـ إن شاء الله ـ بأن أقوم بزيارة باقي المراكز التي بلغ تعدادها حتى الآن أحد عشر مركزًا في السراة وتهامة.

الهجر ـ التوطين ـ النمو ـ التنمية ـ الإعمار

مصطلحات تشير إلى منجز أو فعل إنساني واحد.. يعمل على استنهاض الطاقات الكامنة في كيان اجتماعي بشكل مدروس ومتواز، وقد اجتهدت بعض جهات الاختصاص وأصحاب علم الاجتماع في تعريف نظريات التنمية التي تأخذ الإنسان هدفًا لها من أجل تنميته اجتماعيًا وثقافيًا.. وسوف نأخذ على عجل من هذه التعريفات ما نحاول أن نرسم به تصورًا عامًا للفكر التنموي ومنها :

تعريف الأمم المتحدة للنمو والتنمية:

عرفت الأمم المتحدة التنمية والنمو على أنه مجموعة أهداف وجهود منها :

أ ـ عملية مرسومة لتقدم المجتمع كله اجتماعيًا واقتصاديًا، المعتمدة بأكبر قدر ممكن على مبادرة المجتمع المحلي.

ب ـ العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطن

والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية، ومساعدتها على الاندماج في حياة الأمة، والمساهمة في تقدمها بأقصى قدر مستطاع.

ج. تدعيم المجهودات الأهلية للمجتمع المستهدف بالمجهودات الحكومية: وذلك لتحسين الحالة الاقتصادية والاجتماعية والحضارية لهذا المجتمع على أن تكون خطط الإصلاح بهذه المجتمعات المحلية متمشية ومنسجمة مع خطط الإصلاح العامة للدولة [١].

تعريف بعض أهل علم الاجتماع للتنمية:

بقدر ما كان هناك من دراسات ونظريات كثيرة بحثت في هذا المجال، بقدر ما هناك تباين واضح في الآراء حول مفهوم وطرائق التنمية، وأعتقد أن سبب هذا التباين يعود إلى المدارس الفكرية والأيديولوجية التي ينتمي إليها هذا الباحث أو ذاك. إلا أن أكثر ما شدني من هذه الآراء هو تعريف للأستاذ صلاح مصطفى الفوال أقتطف منه الآتي :

التنمية هي كل الجهود البشرية المبذولة من أجل التقدم والنمو وتحقيق الرفاهية للمواطن والمجتمع. ومن هنا لم تعد التنمية مجرد خطة أو برنامج أو مشروع للنهوض بحياة المواطن اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا. بقدر ما هي كل عمل إنساني مخطط وبناء في جميع القطاعات ومختلف المجالات وعلى المستويات كافة لتحقيق التطور والتحول الاجتماعي المطلوب [٢].

التنمية في الثقافة الإسلامية:

عرفت الثقافة الإسلامية التنمية بأنها حالة إعمار فطرية أمر بها الخالق عز وجل عباده. قال تعالى : ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مُجيب﴾ هود: ٦١. إذًا فالإعمار أصل ثابت في الثقافة الإسلامية.

والعمارة نوعان، عمارة الأرض بما يعود على الإنسان بالخير، وعمارة النفس البشرية بما يسمو بها روحيًا، ويجنح بها نحو الألفة والمودة والتسامح. ولا مغالاة في القول بأن لقيادة هذه البلاد اليد الطولى فيما نشهده من أعمال تنموية وخيرية، فهم أولو أبصار لم يكتفوا بالنظريات المكتوبة، بل أخذوا يصدرون نظرياتهم وتعريفاتهم للتنمية والإعمار بأشكال عملية على أرض الواقع، ومن بين هذه التعريفات التطبيقية نذكر مشروعين نفذا في المملكة العربية السعودية، كل منهما يحتاج إلى كتب وندوات لدراسة الأبعاد الدينية والإنسانية والوطنية. لكنني سوف أقدم لهما برؤوس أقلام عسى أن تتاح الفرصة لدراسة هذا الفكر الإعماري بتوسع فيما بعد وهما:

مشروع الملك عبد العزيز لتوطين البادية (مشروع الهجر):

لا بد لأي باحث يدرس حالة التنمية ويؤرخ لها في المملكة العربية السعودية من العودة إلى نقطة الفعل التنموي الأولى التي أطلقها جلالة الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله، عندما كان المجتمع بأسره إلا ما قلّ منه يتخبط في متاهات الفقر والجهل والمرض. وهو ما اصطلح على تسميته بالثالوث الخطير الذي كان من أهم مسبباته انصراف السواد الأعظم من أبناء البلاد إلى حياة البادية، وهذا ما جعل إيصال الخدمات العامة إليهم من الأمور المستحيلة، فضلاً عما كان يسببه ذلك من شلّ لطاقات المجتمع وقدراته الإبداعية الخلاقة. فما كان أمام

اقتناء بعض الأسر للأجهزة التوعوية مثل التلفاز والمذياع أدى إلى إحداث نقلة نوعية في مستوى التفكير والاكتساب المعرفي، على الرغم من أمية الكثير منهم



الطريقة التقليدية القديمة لجلب الماء

جلالته إلا إطلاق مشروع توطين البادية كأول مشروع يستهدف تنمية المجتمع واستثمار طاقاته وقدراته الكامنة لخدمة هذا الوطن السعودي الكريم.

من هنا قامت أول هجرة لتوطين البدو الرحل عام ١٩١٢م، وطّنت بها بادية مطير، وهي أكبر الهجر وأهمها، ثم تبعها إقامة هجر مماثلة بلغ عددها نحو عشر هجر، تمتد على مجمل تراب الوطن السعودي (٣)، ثم توالت بعد ذلك وعلى مدى العقود الماضية أعمال التنمية وخططها الطموحة التي أخذت الإنسان هدفًا لبرامجها وفعالياتها.

ـ التطبيق الفعلي للإعمار عند الأمير خالد الفيصل:

من يعرف عسير يجد أن أصل المشهد هناك يقول: إنها بلاد حباها الخالق عز وجل جمال الطبيعة وهو ما جعل روح إنسانها العاشقة للعمل والحياة تمتزج بكل ذرات سهولها وجبالها.

إلا أنها ظلت مع كل هذا الشوق في منأى عما يمتلك قدرات حوارية مع بيئتها العذراء، فبقيت عقودًا طويلة من التاريخ المعاصر تلتحف السكون والرتابة الإدارية، إلى أن تم تعيين سمو الأمير خالد الفيصل أميرًا على المنطقة، حيث اشتغل منذ الوهلة الأولى لوصوله إليها في



إحدى الأسر المستفيدة من مشروع الإسكان

ربيع الأول من سنة ١٣٩١هـ بالهم التنموي والإعماري.

على أن ما يشغل بال «العامر» هنا هو تحمله للهموم الإنسانية التي عانت منها بعض التجمعات التي حالت ظروفها المكانية دون الاستفادة من خطط التنمية بسبب تناثر مساكنها على رقعة شاسعة من أراض تتصف بالجبلية الوعرة والساحلية القاحلة والرملية المتحركة.

وبعكس ما يشاع أن أول الغيث قطرة، فقد كسر عزم الأمير خالد هذه القاعدة، وانهمر الغيث بتيارات تنموية جارفة للفقر والحاجة والشتات، فكانت منطقة عسير - بفضل من الله، ثم بهذا العزم المتقد - سباقة إلى إقامة مراكز نمو حضارية ليس على مستوى المملكة فحسب، بل على المستوى الإقليمي.

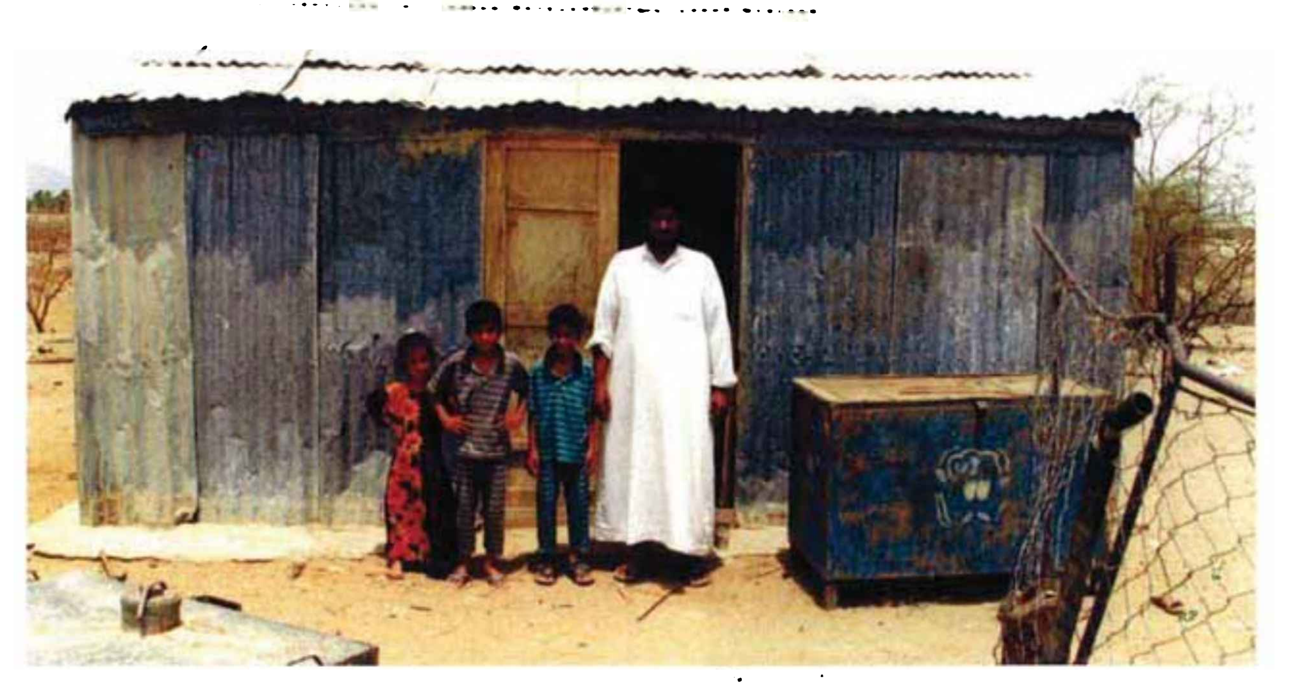
وقد أخذت هذه المدرسة التنموية أهم قواعد التنمية الحديثة منطلقاً لمسيرتها ومنها : الواقعية، وترتيب الأولويات، وشمول التكامل والمتابعة المستمرة.

وبهذا التوجه الإنماني عند الأمير خالد الفيصل تتجلى أمامنا واحدة من أنبل الخصائص الوراثية التي يتناقلها الإنسان عن أسلافه جيلاً بعد جيل.

الإسكان الخيري ومراكز النمو بعسير

وعطفاً على ما سبق فقد انتشرت على خريطة منطقة عسير أعداد كبيرة من مراكز النمو التي قامت

توديع الإنسان لحياة التنقل والترحال وانتقاله بأسرته إلى نمط سكني ومعيشي جديد لم يثنه عن العمل والاستثمار في جانب الثروة الحيوانية التي يمتلكها



نموذج من المساكن القديمة

نتيجة لدراسات مستفيضة للمكان المستهدف بالتنمية وتجمعاته السكانية.. ذلكم إذا ما حددنا مراكز النمو بمفهومها الحديث الذي يوجه نشاطه لخدمة الفقراء وذوي الحاجة في المناطق التي حالت ظروفها المكانية من مسايرة ركب التنمية. أما بالمفهوم العام للتنمية فإن منطقة عسير بأسرها ظلت مستهدفة منذ ثلث قرن تقريبًا بمشروعات إنمائية وتنموية غيرت ملامحها إلى الأحسن، وارتقت بحياة المجتمع نحو الأفضل.

ومن أهم العوامل المرعية في اختيار مواقع مراكز النمو والإسكان الخيري وجودها بالقرب من الطرق العامة، مع إمكانية الاستفادة من البنية التحتية والخدمات الأساسية التي وفرتها الدولة في محيط المشروعات، مثل المياه والكهرباء والهاتف، لتكون هذه المواقع المستهدفة أكثر قابلية للنمو والتطور المستقبلي (٤). وإذا كان الهدف الظاهر لقيام مثل هذه المراكز هو توسيع الرقعة التنموية لتطال خيراتها كل هجرة وقرية، فإن المخطط لهذه المراكز منحها هدفًا أسمى، ألا وهو تحسين أوضاع فئات من أبناء المجتمع وظروفهم حالت قدراتهم وإمكاناتهم المادية دون التمتع بمقومات الحياة الحديثة؛ لهذا نجد أن كل مراكز النمو في عسير دون استثناء تحتضن مئات الفلل السكنية المجهزة، لمنحها هذه الفئة المحرومة تقريبًا من أبسط متطلبات الحياة المعاصرة، ثم تهيئتهم للعمل الكريم

الغاية من إنشاء مراكز النمو والإسكان الخيري تخليص فئات من أبناء المجتمع من حال الرتابة والخمول والاتكالية، ثم خلق تنشئة اجتماعية حديثة

الذي يحقق لهم الاكتفاء الذاتي.

وبلمحة سريعة إلى عدد المراكز القائمة والجاري تنفيذها، وما هو منها تحت الإعداد والدراسة نجد أن مجملها بلغ إلى حد الآن أربعة عشر مشروعًا منها ثلاثة مشروعات منفذة وتم سكناها من قبل الفئات المستهدفة وهي:

أ. قرية الملك فيصل الخيرية بالوادين التي أنشأتها مؤسسة الملك فيصل الخيرية سنة ١٣٩٨هـ إذ يبلغ عدد الوحدات السكنية بها ستين وحدة سكنية ومسجدًا، يسندها عدد من المرافق الخدمية منها: مركز للرعاية الاجتماعية، وآخر للصحة، وناد للشباب، ومركز للأمومة والطفولة، ومدارس للبنين والبنات. ولم يتوقف المشروع عند هذه المرحلة بل تم تخطيط مساحة زراعية وزعت على السكان بمعدل ١٠ دونمات لكل أسرة، وسلمت لهم في ١٣٩٩/٤/٢٨هـ. وتحتضن الحبلة اليوم واحداً من أجمل المنتجعات السياحية، الذي استثمر وجود الإنسان قبل المكان بهدف تنميته اقتصاديًا ومعيشيًا (٥).

ب. مشروع خيرية الفيصل بالحريضة التي شيدت مرحلتها الأولى مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وتبلغ طاقتها الاستيعابية مئة فيلا سكنية، بدأ العمل بها بتاريخ ١٤١٥/١٢/٢١هـ وافتتح المركز رسميًا في ١٤١٩/٦/٢٤هـ. ثم تم افتتاح المرحلة الثانية من المشروع بالطاقة الاستيعابية نفسها، وأنفق عليها رجل الأعمال السعودي خالد بن محفوظ في ١٤٢٠/١٢/٢٢هـ. وبذلك استكمل المشروع، وبدأ السكان يمارسون حياتهم الجديدة فيه. إذ يقطن المشروع الآن نحو مئة وثمانين أسرة يقدر عدد أفرادها بألف وستمئة وسبعة وعشرين فردًا. ويخدم هاتين المرحلتين اثنان وعشرون مرفقًا حكوميًا وثلاثة مساجد ومجمع تعليمي متكامل للبنين وثان للبنات، بالإضافة إلى مركز للتدريب المهني به ثلاثة أقسام هي ميكانيكا السيارات، وقسم التبريد، وقسم للكهرباء الإنشائية، ومركز للأمومة والطفولة. وهناك فندق من الدرجة الأولى يطل على البحر يعود ريعه لخدمة المشروع وصيانته (٦).

إحدى الظلل السكنية الحديثة

ج. مشروع خيرية الأمير سلطان بن عبد العزيز للإسكان بالقحمة الذي نفذته مؤسسة سلطان الخيرية، وتم افتتاحه في ١٤٢١/١٢/٢٢هـ. ويحتوي المشروع على مئة فيلا سكنية سكنها ما يقارب ثمانمئة فرد. كما يحتوي المشروع على مسجد جامع، ومجمعين تعليميين



للبنين والبنات، ومركز للرعاية الصحية، وآخر للخدمة الاجتماعية والزراعة(١٠).

وبالنسبة إلى المشروعات الجاري العمل بها فهناك ثلاثة مشروعات هي :

أ. مركز عين اللوي بمحافظة سراة عبيدة.

ب . مركز سعيدة الصوالحة بمحافظة محايل عسير.

ج . مركز القيرة، ويتبع لمحافظة تثليث. ويتوقع لهذه المراكز أن تستوعب عند اكتمالها أكثر من ثلاثمئة أسرة.

بينما هناك مشروعات لا تزال قيد الدراسة والإعداد وتبلغ ثمانية مراكز هي: مركز مربة، ومركز وادي الحيا، ومركز خبت آل حجري، ومركز الأمواه، ومركز الحمضة، ومركز الزرق، ومركز العين، ومركز الخنقة.

مكان البحث:

كما جاء في مكان سابق، فإن مراكز النمو والإسكان الخيري تنتشر في مواقع كثيرة من منطقة عسير. إلا أنني أخذت مركزي الحريضة والقحمة أنموذجين للدراسة وذلك لأسباب منها : موقعهما ومناخهما وتقاربهما الزمني في الإنشاء، يضاف إلى ذلك مكانهما الزمني بين مجموعة المراكز المشابهة لهما، حيث يسبقهما في التعمير قرية الملك فيصل الخيرية التي استفاد منها سكان قرية الحبلة القديمة جنوب مدينة أبها. وما هو آت بعدهما من مراكز أخرى يجري العمل فيها على قدم وساق. ولعل هذا الاختيار يرسم لنا صورة بانورامية لما يمكن أن تحدثه هذه المراكز من متغيرات حضارية واجتماعية وثقافية لدى مختلف الشرائح البشرية المستفيدة منها.

الموقع:

يشترك مركزا الحريضة والقحمة في نسق بيئي وجغرافي واحد. فكلاهما يقعان في منطقة تهامة عسير بين سلسلة جبال السروات وساحل البحر الأحمر. وهي بقعة من الأراضي السعودية لا تعرف من فصول السنة إلا فصلاً واحداً هو القيظ..! فدرجة الحرارة هنا تنخفض إلى ٣٠ درجة مئوية في الشتاء، وترتفع لتصل إلى الخمسين درجة في الصيف. وبذلك التقدير يمكن استنتاج مقدار المعاناة الدائمة التي تحيط بسكان هذه المناطق، خاصة من تحول ظروفهم الاقتصادية دون توفير متطلبات الحياة وتأمين الاحتياجات الضرورية لمواجهة هذه الظروف المناخية الصعبة.

الاعتبارات المراعاة في الإنسان المستهدف:

صممت مؤسسة الملك فيصل الخيرية ممثلة

بمفوضها في عسير الأستاذ عبد الله بن عفتان استمارة لبحث حالة المستفيدين من الإسكان بشكل بدت عليه هذه الاستمارة صارمة الشروط. أحسبها أعدت من أجل ضمان أقصى درجات الفائدة، لعدم إتاحة الفرصة لتسلل أي من المستنفعين إلى مستحقات غيرهم من أصحاب الحق والحاجة.

جاءت الاستمارة في ثلاث عشرة صفحة تضم نحو واحد وثمانين بندًا واستفهامًا عن حالة الأسرة المعيشية والاجتماعية، ثم تحديد الأولوية في الاستفادة على ضوء نتائج هذه الدراسة الميدانية (٨).

ملامح من الحياة الاجتماعية :

كما ألمحنا سابقًا إلى الظروف المناخية والبيئية، فقد انعكست هذه الظروف على معطيات النشاط السكاني بالكثير من المعاناة المصبوغة بعادات وتقاليد وقيم وأعراف، أملتها طبيعة الحياة هناك. فالناس كانوا ينتزعون لقمة العيش من لهيب المناخ..! والصمت قبل وسائل المواصلات الحديثة يطبق على البادية. فلا يخترق حاجزه إلا أصوات حداة الإبل أو ترانيم غناء الرعاة.

على أن العابر للأرض هنا كان يستمع بين الفينة والأخرى إلى أصوات نداءات مشفرة «الصفارة»، وهي وسيلة اتصال بين مجموعات الرعاة، ولكل نغمة أو درجة صوتية دلالتها عند المتلقي: إنها بحق صورة اجتماعية لا تزال تحتفظ للمكان بباقي خصوصيته، كما أنها نظام اتصال ابتكره الإنسان هنا منذ القدم. ولم لا أليس الحاجة أم الاختراع؟ !.

والمكان الذي أوحى بتلك الصفات هو أيضًا الذي فرض على السكان هنا أنواعًا وأنماطًا معينة من المسكن والملبس والمهن، إذ يغلب على الناس هناك اشتغالهم بثلاث مهن رئيسة هي البداوة والرعي وتربية النحل مع قليل من الأعمال الزراعية. أما سكان المناطق الساحلية فإنه يغلب على نشاطهم المعيشي اشتغالهم بصيد الأسماك، وصناعة القوارب البحرية.

فالرعي كما هو معروف من الأنشطة المعيشية المتأصلة في مجتمعات البوادي العربية، بوصفه نشاطًا يحقق مردودًا معيشيًا معقولاً، لكون هذه المهنة منتجة لواحدة من أهم الثروات الوطنية التي تصب في ما يعرف بالأمن الغذائي.

وإلى جانب ممارسة بعضهم الأعمال الزراعية، فإن هناك أعدادًا كبيرة من السكان يشتغلون بتربية النحل، وبيع العسل منذ أزمنة بعيدة، وذلك لكثافة الأشجار والمراعي التي يعيش منها النحل، بما ينعكس على جودة المنتج من العسل.

بينما نجد مهنة صيد الأسماك من المهن المستقرة النشاط والمزدهرة منذ القدم، ولعل السبب في ذلك يعود إلى اعتماد شريحة كبيرة من سكان المناطق الساحلية عليها كمصدر رئيس للغذاء اليومي. ومع أن تهامة بصفة عامة تعد الشريط المحاذي للبحر فان العمل في هذه المهنة لا يشمل جميع السكان هناك ولا يهتم بها أبناء البادية وربما يعود ذلك إلى اعتبارات قبلية خاصة. .!.

وبمثل ما أوحى المكان بكل تلكم التعددية في المهن والسلوك، فإنه أيضًا أوحى بالكثير من الثقافة والفنون البيئية الأصيلة التي تعدّ في مجملها من أثرى الفنون تنوعًا ورقيًا وأصالة. ونعترف بأن البداوة بمفهومها اللغوي قد تلاشت في أوساط مجتمعي الحريضة

العمارة نوعان، عمارة الأرض بما يعود على الإنسان بالخير، وعمارة النفس البشرية بما يسمو بها روحيًا



يتمتع سكان مراكز النمو بمستوى عال من التعليم



التدريب بمركز الحريضة المهني



الاستقبال في مركز الرعاية الصحية

والقحمة. إلا أنها لا تزال ماثلة بقيمها وشيمها وكرمها في شخصية الناس وتعاملهم هناك.

العناء والمتاعب:

يتداول بعض سكان الحريضة والقحمة صورًا مأساوية مما كان يصادف الإنسان هناك من المعاناة..! منها ما رواه لنا علي بن إبراهيم من سكان الحريضة من صور المعاناة التي تتعلق بإحدى أهم خصوصيات مجتمعنا ألا وهي تأدية بعض العبادات فيقول: في الماضي كان البعض منا في البادية لا يعلم بدخول شهر رمضان أو حلول العيد إلا في اليوم التالي..!! ولا يتمكن الفرد من أداء الصلوات الخمس جماعة إلا فيما ندر، إن لم يكن مسكنه إلى جوار مساكن أخرى في البادية. .!.

ويروي مواطن آخر حكاية أخرى من تلكم الحكايات المتعلقة بما كان يصادف الإنسان من الأمراض الوبائية. مثل: الملاريا والأمراض الجلدية وغيرها.. وسبب ذلك يعود إلى تعاطي المياه الملوثة بميكروبات وجراثيم ناقلة لهذه الأمراض فيقول: كان الإنسان منا في مواسم معينة من السنة يتجنب شرب الماء مع حاجته الماسة إليه، لعلمه المسبق بأن مصيره آيل إلى المرض..! خاصة إذا ما كان على سفر ونفد ما بحوزته من ماء يثق بمصدره، فإنه يضطر إلى تحمل العطش إلى أن يعود إلى مسكنه أو يجد ما يروي عطشه من ماء نظيف ..! وتتضاعف هذه المعاناة عندما يصاب أحدهم بالمرض. فلا مستشفى قريبًا يهتم برعايته ولا وسيلة نقل يتمكن بها المريض من الانتقال إلى مصحة للاستشفاء..! (٥).

ويرجع سبب المشكلتين السابقتين وغيرهما إلى عدم الاستقرار وشتات المساكن. ثم إلى انعدام المسكن الملائم الذي تتوفر فيه أبسط احتياجات الإنسان المعيشية والصحية. ومن ثم فإن هذا الانقطاع عن محيطه المدني يفقده فرصة الاستفادة من الخدمات الصحية والاجتماعية.

وحسنًا فعل القائمون على إدارة مشروعات الإسكان

الخيري في القحمة والحريضة عندما وثقوا بالصور الفوتوغرافية بعض أنواع المساكن التي كانت تعيش فيها الأسر التي تم نقلها إلى مركزي الإسكان الخيري. فكان من الصعب تجميع أجزاء تلكم المساكن المصنعة من القش أو الصفيح أو الخيام. مرة ثانية لتوثيقها بعد أن استغنى الإنسان عنها. وقد استعنت هنا ببعض تلكم الصور لتصحب قراءتنا هذه المتغيرات التي طرأت على السكان هناك. فربما تحدثنا الصور بأكثر مما نصف به الحال ونكتب!؟.

الموروث المهني ومستجدات الأعمال:

يصعب على الباحث استقصاء ملامح الحياة القديمة في تجمع سكاني حديث، يغلب على سكانه - عادة - انشغالهم بمعطيات الحياة الجديدة التي انتقلوا إليها.

إلا أن الوضع هنا لا يخضع لهذه المعايير التي كنت أخشى قبل المجيء إلى هنا أن يكون الناس مع مرور نحو خمسة أعوام على انتقالهم قد جنحوا إلى الاسترخاء.. وهذا ما يفقدهم حيوية العمل والإنتاج. وبذلك تفقد هذه المراكز واحداً من أهدافها السامية المتمثل في تقديم العون الفني والمادي لاستمرارية الحرف والأعمال المعيشية السابقة. لكن المفاجأة كانت على الأقل بالنسبة إليّ هي تشبث هذه المجتمعات بماضيها المهني والحرفي والاجتماعي. مع الاستفادة من المعطيات المعيشية الحديثة.

وقد التقيت عند زيارتي لمركزي الحريضة والقحمة عددًا من الأسر المنتفعة من مشروع الإسكان الخيري. وذهلت لاستمراريتهم في كثير من أعمالهم وحرفهم السابقة. فعلى سبيل المثال. هذا بدوي من سكان مشروع الحريضة يدعى علي بن أحمد يمتلك قطيعًا من الماعز يقوم مع كل فجر يوم جديد بالذهاب إلى باديته التي لا تبعد عن مسكنه أكثر من خمسة كيلو مترات حيث يباشر عمله في الرعي والعناية بماشيته التي تعدّ مصدر دخله الرئيس. .! خاصة بعد أن أسندت أماكن الرعي بعشرات الآبار التي نفذتها الدولة وبعض أهل الخير.

وهذا يثبت أن الإنسان هنا مع توديعه حياة التنقل والترحال وانتقاله بأسرته إلى نمط سكني ومعيشي جديد. لم يثنه عن العمل والاستثمار في جانب الثروة الحيوانية التي يمتلكها. وفي المقابل نجد صاحب مهنة أخرى يدعى الحسن بن أحمد وعمله «موسف وصانع طفي» لا يزال يمارس العمل في حرفته مع تراجع الإقبال على منتجه بسبب وجود خيارات جديدة أمام المستهلك. إذ إن هذه المهنة تعتمد على جريد نوع من الأشجار يشبه النخيل يسمى محلياً بالدوم أو البهش حيث يصنع منه أغطية للرأس وأحذية وبسط منزلية. ثم تكون بواقي السعف أعلافًا لتغذية الإبل. .! في حين نجد الأكثر حظاً من سابقيه ذلك المعمر عبد الرحمن محنشي الذي يعمل في صيد الأسماك يقول عن مهنته :

« أدخل البحر كل يوم. ومنه اصطاد رزقي ورزق أبنائي البالغ عددهم ثلاثة ووالدتهم. وعند العودة من البحر أبيع صيدي وأترك منه غذاء أسرتي. وبهذا تجدني في كامل صحتي ونشاطي. والحمد لله. و قد جاء هذا المسكن الذي منحنا إياه أهل الخير ليكمل ما كانت الأسرة تحتاج إليه في هذه الحياة» (١٠).

على أن هناك من المهن الكثيرة التي لا تزال نشيطة. ويشترك في العمل بها البدو وأهل القرى على حد سواء. منها مهنة تربية النحل وبيع العسل. وهي مهنة مربحة هنا بسبب زيادة الطلب على منتجها اللذيذ.

ظلت منطقة عسير مستهدفة منذ ثلث قرن تقريباً بمشروعات إنمائية وتنموية غيرت ملامحها إلى الأحسن. وارتقت بحياة المجتمع نحو الأفضل

لهذا السبب نجد المناحل منتشرة في بطون الأودية وسفوح الجبال الغنية بالأشجار المغذية للنحل.

من هنا نجد إصرار الناس في مراكز النمو على حفظ تراثهم المهني والحرفي الذي راهن بعض الناس على عدم استمرارهم فيه بسبب ظروف التوطين، وما أحيط به السكان من حياة مدنية حديثة !! ومع هذه الاستمرارية في الأعمال المحلية القديمة، إلا أن الإنسان هنا أخذ أيضًا يستشرف مناشط وأعمالاً معيشية جديدة تبعًا للمعطيات المستجدة على حياته، فقد شهد مركز التدريب المهني بالحريضة إقبالاً واسعًا من أبناء البادية إذ التحق به نحو مئة وسبعة وستين شابًا في دورات مهنية مختلفة. تخرج من هذا العدد حتى الآن نحو ستة وأربعين متدربًا، بدؤوا في ممارسة نشاطهم المهني الجديد (١١)، بينما اشتغل عدد آخر من أبناء مجتمع القحمة والحريضة في أعمال وظيفية استحدثت لهم من قبل الإدارات الحكومية التي افتتحت لها أفرعًا هناك، ولعل إيجاد مثل هذه الفرص الوظيفية كان من الأهداف التي أخذت في الحسبان عند التخطيط لمثل هذه المشروعات الخيرية.

المتغيرات والتحديث:

يمكن القول: إن الغاية من إنشاء مراكز النمو والإسكان الخيري تخليص فئات من أبناء المجتمع من حال الرتابة والخمول والاتكالية، ثم خلق تنشئة اجتماعية حديثة تكسب الفرد والأسرة شخصية معاصرة قادرة على التعامل مع معطيات العصر الحديث، إذ إن التقارب السكني يخلق نوعًا من التفاعل والاكتساب المعرفي المتبادلين بين السكان.

وهذه الصورة لمست تأثيرها بوضوح في مجتمع خيرية القحمة تحديدًا، إذ انصهر نوعان من الثقافة الاجتماعية في تجمع سكاني واحد، الثقافة الأولى يحملها مجتمع الساحل المستقر الذي يتمتع بشيء من الجاهزية في التعاملات المدنية، والأخرى ثقافة جاء بها سكان البادية، وهي أقل حظًا في التطور والمدنية من سابقتها، وقد اكتسبت الأخيرة من الأولى الكثير من المعطيات الشكلية والسلوكية منها: العناية والاهتمام بالصحة والمسكن، والهندام والمظهر العام للشخص.

وهذا ما يجعلنا نسجل نقطة نجاح جديدة لفكرة هذه المشروعات، فقد ثبت أن بالإمكان إعادة صياغة الحياة العامة للفرد والمجتمع عن طريق التجاور والاكتساب، وزيادة قدراته على التخطيط لمستقبله بشكل أفضل.

كما أن واقع التغير الاجتماعي لم يتوقف عند توفير المسكن الملائم، بل شملت التنمية المعيشية والمعرفية من خلال تيسير فرص التعليم، والرعاية الصحية، والانتفاع بالخدمات الاجتماعية الأخرى، مثل: مساعدات الضمان الاجتماعي، والجمعيات الخيرية التي ما كان لها أن تصلهم لولا حالة الاستقرار التي يتمتعون بها اليوم.

على أننا لا يمكن أن ننكر أن مجتمع البادية قد عاش ردحًا من الزمن وهو في منأى عن التطور والاستفادة من معطيات الحياة المعاصرة، غير أن الإنسان هنا وجد في حياته الجديدة فرصة لتحديث ذاته، وتحقيق أحلامه.

ولعلنا نوجز أهم المتغيرات الحضارية والمعرفية التي طرأت على مجتمعي الحريضة والقحمة في النقاط الآتية :

- تخلي بعضهم طواعية عن بعض العادات الشكلية،

من أهم العوامل المرعية في اختيار مواقع مراكز النمو والإسكان الخيري وجودها بالقرب من الطرق العامة، مع إمكانية الاستفادة من البنية التحتية والخدمات الأساسية

لعل من أبرزها التحول النوعي في الملبس والمظهر العام.

- أوصل الاستقرار الدائم ضمن تجمعات سكانية، والانخراط في الأعمال الوظيفية إلى الاهتمام بالوقت وتثمين الزمن.

- أدى اقتناء بعض الأسر للأجهزة التوعوية مثل التلفاز والمذياع إلى إحداث نقلة نوعية في مستوى التفكير والاكتساب المعرفي، على الرغم من أمية الكثير منهم، بل إن هناك في مشروع خيرية القحمة من امتلك أجهزة كمبيوتر، وتعامل برقي مع شبكة الإنترنت.

- تفاعل ربات البيوت مع ما حولهن من المعطيات الحديثة، مثل: غسالات الملابس، وثلاجات حفظ الأطعمة، والإنارة، وغيرها.

ذلك فيما يتعلق بالمكتسبات السلوكية، أما الأهم من ذلك فيتمثل في الآتي:

- تمكن طلاب المدارس من الاستمرار في التعليم العام إلى المرحلة الثانوية، بعد أن كان الكثير منهم يكتفي بالحصول على الشهادة الابتدائية أو المتوسطة، فبينما كان عدد الطلاب عند افتتاح مشروع الحريضة نحو ثمانية وأربعين طالبًا في المرحلة الابتدائية قفز هذا العام ليصل إلى ١٥٦طالبًا، وفي المرحلة المتوسطة إلى ستة وخمسين طالبًا، بينما الثانوية العامة فوصل العدد إلى ثمانين طالبًا، إذ إن الأمية بين الأطفال ومن هم في سن الشباب أصبحت شبه منعدمة، وهذا يعد في مقاييس التنشئة التربوية والاجتماعية مؤشر نجاح كبير (١٠).

- أكد الإقبال المتنامي من أبناء المجتمع هناك على دورات مراكز التدريب المهني على مبدأ «صنعة في اليد أمان من الفقر» وهذا يشير إلى تخليهم عن بعض الأعراف البالية، التي كانت تحول دون اكتساب الشاب لقمة عيشه..!!.

- أدت الرعاية الصحية والمتابعة المستمرة لأصحاب الأمراض المزمنة مثل مرضى السكري والضغط وما شاكلهما إلى استقرار حالاتهم الصحية، بفضل المتابعة المستمرة لحالاتهم المرضية.

- كان من نتائج فرص العمل المستحدثة ضمن ما افتتح من الإدارات الحكومية ارتفاع مستوى الدخل الشهري، ثم تحسن الوضع المعيشي للأسرة.

- أخذ الإنسان هنا يفكر بواقعية في شؤون حياته وحياة مجتمعة، فقد عقد مشايخ بلدة القحمة وأعيانها اتفاقية ملزمة لتحديد المهور، وإلغاء كثير من العادات والالتزامات المتوارثة التي كانت ترهق الشباب ماديًا، وتحول دون إتمام زواجهم، وهذا - بلا شك - يوحي بتفاعل صادق مع موجات الحضارة التي عمت المجتمع بفضل التقارب السكاني والوعي الاجتماعي.

التوصيات:

- وجوب تفعيل دور المؤسسات والشركات القائمة حاليًا التي سوف تعمل هناك مستقبلاً في مسار التنمية المعيشية للسكان من خلال إيجاد فرص وظيفية لهم ضمن مشروعاتهم الاستثمارية هناك، إذ لا تزال مشاركات القطاع الخاص في هذا المجال خجولة جدًا أو قد لا تذكر..؟.

- الطلب من فرع شركة الأسماك إقامة دورات تدريبية لشباب البادية، وتعليمهم فنون صيد الأسماك، وارتياد البحر ثم تشغيلهم ضمن طواقمها العاملة.

في الماضي كان البعض في البادية لا يعلم بدخول شهر رمضان أو حلول العيد إلا في اليوم التالي، ولا يتمكن الفرد من أداء الصلوات الخمس جماعة إلا فيما ندر

- زيادة معدل التنمية الاقتصادية في مركز الحريضة على وجه الخصوص، وهذا يتم بالإسراع في إقامة سوق أسبوعي لتسويق منتجات السكان من العسل والمواشي والحرف اليدوية.

- تنشيط فكرة عمل الأسرة المنتجة مع مراعاة إقامة أجنحة لتسويق منتجاتها ضمن برامج التسوق التي تقام في المنطقة.

- تفعيل دور الجهات ذات العلاقة بتوعية ربات البيوت وتثقيفهن، وتنويع الأنشطة الخاصة بالمرأة.

احتفال الإنسان بهزيمة معاناته :

قال أحد علماء التربية: فتشت كثيرًا عن السعادة فلم أعثر لها على مقياس موضوعي ! سألت الفقير عنها قال: المال، وسألت الطالب فقال: النجاح، وسألت الفتاة فقالت: الزواج، وعددت المسؤولين فتعددت الإجابات، فكان كل فرد يجيب بما هو محروم منه، فعلمت أن السعادة بغية كل إنسان ما دام محرومًا منها. وهكذا تكون السعادة أملاً .. وتعليلاً للنفس ببلوغ مرامها.

على أن السعادة حالة لا يمكن إخفاؤها عندما تولد. بل إن أثرها الاحتفالي يدوم طويلاً على محيا صاحبها، كما يبقى أثرها العملي منطبعًا على سلوك الأفراد وتعاملهم لأجيال طويلة، وقد تحدث على المدى البعيد تغيرات جذرية في واقع هذا المجتمع أو ذاك.. وعلينا - قياسًا على ما مضى - قراءة المشاعر الفياضة التي باحت بها مجتمعات مراكز النمو والإسكان الخيري في عسير.. وهم يشهدون هزيمة معاناتهم الأزلية أمام تيارات الخير والتنمية التي تدفقت لتحدث عند الفرد والأسرة حالة من المدنية والتطور الحضاري. عندما اطمأن كل منهم على مستقبله بعد حالة الاستقرار التي كانت يومًا ما مطلبًا صعب المنال. وأصبحت بذلكم مراكز النمو مصانع لاستيلاد مجتمعات مسلحة بالإيمان والعلم والوطنية دون منٍّ من أحد ولا أذى.

فولدت من رحم الشقاء سعادة حية تعزف أنشودة عذبة للمكان.

المراجع والهوامش

١- صلاح مصطفى الفوال. البداوة العربية والتنمية. مكتبة القاهرة الحديثة. ط ١. عام ١٩٦٧م.
٢- المصدر السابق.
٣- حسين بن ظافر الأشول. توطين عبد العزيز لبادية نجد. مجلة بيادر نادي أبها الأدبي. عدد ٢٥. شوال ١٤١٩هـ.
٤- خالد الفيصل. مسافات التنمية وشاهد عيان. ط١. ١٤٢٠هـ.
٥- الإسكان الخيري في مراكز النمو. كتيب إعلامي من إصدارات مجلس منطقة عسير. دون تاريخ.
٦- المصدر السابق.
٧- المصدر السابق.
٨- نسخة من الاستمارة لدى الباحث صورة منها.
٩- مقابلات شخصية في خيرية الفيصلية بحريضة.
١٠- مقابلات شخصية بمركزي الحريضة والقحمة.
١١- مقابلة مع حسين ضيف الله مريع مدير مركز التدريب المهني بالحريضة.
١٢- زيارة ولقاءات مع وكيل المدرسة وأعضاء هيئة التدريس.

* ولا يمكنني إغفال تأثري في منهجية البحث بمجموعة من المؤلفات التي أفدت منها عند التحضير لهذه الدراسة. ومنها: في اجتماعيات التربية. للدكتور منير المرسي سرحان. وكيف نربي أبناءنا. لمعروف زريق. التنمية الاجتماعية. للدكتور أحمد مصطفى خاطر.



الاتصال والاعلام:

إشكالية المصطلح والتب

...ـاس المفـهـوم

يوسف الطالبي
مكناس ــ المغرب

إن أول خطوة إجرائية في حقل البحث العلمي، يجب أن تنطلق من محاولة تحديد الجهاز المفاهيمي المعتمد، وضبط المصطلح، تجنبًا لكل خلط أو تشويش يحمل نتائج عكسية لدى المتلقي،إلا أن هذه العملية تظل بدورها صعبة، ومحفوفة بالمخاطر، وتكتنفها روح المغامرة، وربما الشطط في الاستعمال أيضًا، وذلك لصعوبة التحديد، تبعًا لاختلاف المشارب والحقول، وتضارب الرؤى ووجهات النظر، ولكن هذا أيضًا فيه من الإغناء أكثر مما فيه من الجذب حيث "يشكل المصطلح وضبطه حجر الزاوية في بناء المعرفة، إذ يعدّ أس هذه الأخيرة، وقد سعت العلوم الإنسانية والصرف نحو ضبط المصطلحات وتدقيقها، بهدف تحقيق تواصل معرفي واضح بين المشتغلين في كل علم على حدة، وبهدف إزالة اللبس والغموض اللذين يمكن أن يكتنفا المصطلح فهمًا وتطبيقًا"(1).

الاتصال

جاء في «لسان العرب» لابن منظور: الاتصال، والوُصلة: ما اتصل بالشيء، قال الليث: كل شيء اتصل بشيء فيما بينهما وُصلة، أي اتصال وذريعة، والتواصل ضد التصارم (2).

أما في المعجم الفرنسي Le Petit Robert فقد تمت الإحاطة بمصطلح Communication ورصد تمظهراته خلال خمسة مستويات مختلفة يمكن إجمالها كالآتي:

. التواصل مع الآخر (أو مع شيء ما) وإقامة علاقة معه.. أي تواصل متبادل. كما يقصد بهذه الكلمة أيضًا كل علاقة دينامية، تتداخل في تفعيل نشاط معين.وفي هذا الإطار يحيلنا المعجم إلى مصطلح Cybernetique الذي يعني (نظرية الإبلاغ والتواصل) ويتقاطع مع مصطلح التواصل.

. إيصال شيء ما إلى شخص معين، وتسمى حصيلة هذا الفعل تواصلاً. وهنا أيضًا يحيلنا المعجم إلى كلمة In-formation بمعنى إخبار.. وتعني الكلمة كذلك كل تداول للأفكار أو ذيوع للأخبار أو إشاعة معلومات أو إعلان. وهنا تتقارب الكلمة في معناها مع أحد معاني كلمة Diffusion بمعنى الانتشار والذيوع. كما تدل كلمة اتصال أيضًا على الاطلاع على محتوى الشيء (ملف أو وثيقة).

. تواصل Communication يعني الشيء ذاته الذي يتم ذيوعه، وهنا يحيل المعجم إلى مصطلحات مماثلة كإعلان نبأ، بلاغ برقية، إرسالية، إشعار، خبر، معلومة...

. الأداة التقنية التي يتواصل بواسطتها مجموعة من الأشخاص: وهي الإرسالية التي يتناقلونها فيما بينهم، وهو ما يفيد معنى نقل Transmission، ومن ذلك المكالمة الهاتفية.. ويشار أيضًا إلى مفهوم الاتصال الجماهيري، وهو ترجمة للكلمة الإنجليزية Mass-media، التي تعني وسائل النقل الجماهيري للمعلومة: أي مجموع خدمات الاتصال القوية المتعلقة بالإخبار (الصحف، الإذاعة، والتلفاز).

. ما يسمح بالتواصل والمرور من مكان إلى آخر. طريق التواصل Porte de Communication . مسلك، وسائل اتصال، وهو ما يفيد معنى، مرور ونقل (3).

أما في المعجم اللساني -Dictionnaire de Linguis

tique: فنجد «أن التواصل هو انتقال معلومة من نقطة إلى أخرى (مكان أو شخص)، وعملية نقل هاته المعلومة تتم من خلال خطاب يحمل شكلاً وسننًا محددًا» (٤). كما أن «التواصل هو التبادل الشفهي، بين عنصر متكلم، ينتج معطى موجهًا إلى عنصر آخر متكلم، ومخاطب ينتظر منه السماع وتقديم إجابة صريحة أو ضمنية (بحسب نوعية المعطى). إن التواصل سيرورة نعني بها اشتراك المتكلم والمستمع في الأصوات نفسها.

إن المشاركين في عملية التواصل، أو الفاعلين فيها، هم ذلك الأنا أو ذلك العنصر المتكلم المنتج لمعطى، سواء كان مخاطِبًا أو مخاطَبًا، إنه في النهاية كل ما تتحدث عنه ذوات أو كائنات العالم» (٥).

ويرى وينكين Winkin أن كلمتي اتصل -Communi quer واتصال Communication كانتا تدلان على الاشتراك في (التواصل مع) القريبة من اللاتينية -com municare (اشتراك، دخل في علاقة: تواصل)، وفيما بعد ظهرت الدلالة المتفرعة عن معنى «الاقتسام» -Par tager أي دلالة تقسيم النبأ وتوزيعه. و«في هذا العصر بدأ مفهوم التواصل يدل على «النقل» أو «البلاغ». وقد تعمق هذا الاتجاه الدلالي الجديد، مع ظهور عبارة «وسائل الاتصال» (القطار، والهاتف، والطرقات، والسينما والصحافة...) ومعنى النقل هذا أو النقل بالإبلاغ هو الغالب اليوم حين نتحدث عن الاتصال» (٦).

علاقة الاتصال لا تقتصر على المرسل والرسالة والمتلقي، وإنما هي تخضع للظروف الاجتماعية التي يتحقق فيها قبول الرسالة أو رفضها، ويتعلق الأمر بأهمية الاتصال في حياة الجماعة، ومدى انسجامه مع عاداتها وملاءمته لقيمها السائدة



التواصل صيرورة تعني بها اشتراك المتكلم والمستمع في الاحداث نفسها

في مقابل ذلك نجد أن «نظرية شانون Shannon في الاتصـــال تنحـو.. إلى تغليب مـعنى «النقل الإبلاغي» Transmission» (٧).

وقد عرف أنزيو ومارتان Ansieu et Martin الاتصال «بأنه مجمل الإواليات المادية والنفسية التي تستخدم في عـملية التواصل بين شـخص أو عـدة أشـخـاص. المرسل. وشخص أو عدة أشخاص. المستقبل. بغية الوصول إلى أهداف معينة» (٨).

كما يعدّ الاتصال في رأي بعض الباحثين (٩): «إوالية اجتماعية مستمرة، إوالية تضم عددًا من سبل السلوك (التصـرف): اللفظ والحركة، والنظرة، والإيماء والمجال التفاعلي بين الأفراد.. وليس المقصود هنا إقامة تقابل بين الاتصال الشـفهي والاتصال غير الشـفهي، ذلك أن الاتصـال كل متكامل» (١٠). ويرى صالح ذياب هندي أن: «الاتصـال هو العملية التي يمارسهـا الإنسان مع الآخـرين لتشير إلى تفاعله معهم بواسطة العلامات والرموز، وقد تكون هذه الرموز حركات أو صورًا أو لغة أو أي شيء آخر. وتعمل كمنبه للسلوك من أجل إحداث تأثير معين فيه» (١١).

أما طلعت منصور فيقول عن الاتصال: إنه: «عملية يتفاعل بها المرسلون والمستقبلون للرسائل في سياقات

اجتماعية معينة» (١٢)، ويذهب إسماعيل ملحم (١٣) إلى خلق تمايزات مختلفة داخل عمليات الاتصال نجملها على الشكل الآتي:

أ. الاتصال بوصفه عملية بيولوجية: «ذلك أن استقبال الرسالة يتطلب عملية بيولوجية لدى الكائن تتصل إلى حد كبير وأساسي بوظائف الجهاز العصبي ووظائف الحواس المختلفة، فكل عملية اتصالية تتضمن وجود مثير تنتج عنه استجابة».

ب. الاتصال بوصفه عملية سيكولوجية: فالعلاقات ترمي إلى إحداث تغييرات في سلوك المتلقي، وتضطر المرسل أيضًا إلى إجراء تغييرات في سلوكه. من هنا يكون الاتصال الناجح هو الذي يستطيع أن يجعل المثيرات قادرة على إحداث الاستجابات المرغوب فيها، وهذا لا يتم إلا إذا روعي في العملية الاتصالية ما عند المتلقي من دوافع وحاجات.

ج. الاتصال بوصفه عملية اجتماعية: علاقة الاتصال لا تقتصر على المرسل والرسالة والمتلقي، وإنما هي تخضع للظروف الاجتماعية التي يتحقق فيها قبول الرسالة أو رفضها، ويتعلق الأمر بأهمية الاتصال في حياة الجماعة، ومدى انسجامه مع عاداتها وملاءمته لقيمها السائدة، بحيث يؤدي إلى إقناعهم، كما يتضمن ذلك أيضًا مسائل الرقابة على وسائل الاتصال، وفرض القيود عليها، وهذا ما يعد الجانب السياسي في عملية الاتصال؛ وهو الجانب الأخطر



عرف التاريخ أكثر من وسيلة للإخبار والتبليغ



للاتصال دور في بناء العلاقات الاجتماعية

الذي يسخر الجوانب الأخرى كافة لخدمته.

بعد كل هذه التعريفات التي أتينا على ذكرها، يمكننا الآن أن نتساءل مع أحمد أبو زيد عما نقصده بالاتصال؟

العصور القديمة لم تكن تأبه لرأي الجماهير، بل كانت تخضع لرأي الحاكم، وهي الأطروحة نفسها التي ترسخت في العصور الوسطى في مجال احترام الرأي العام للجماهير

يرى أحمد أبو زيد أن «الكلمة جديدة نسبيًا وعلم الاتصال هو أيضًا جديد وكما هو الحال بالنسبة إلى كثير من المصطلحات المستحدثة في العلوم الاجتماعية والإنسانية والمستمدة أساسًا من العلوم الطبيعية، فإن العلماء لم يتفقوا حتى الآن على تعريف واحدٍ للكلمة، ولذا فقد يكفي هنا أن نقول: إن «الاتصال هو العملية التي يتم بمقتضاها تكوين العلاقات بين أعضاء المجتمع ... وتبادل المعلومات والآراء والأفكار والتجارب فيما بينهم» (١٤).

ولذلك، يبدو جليًا أن الاتصال ظاهرة في غاية التعقيد، وكل الميادين التي لها صلة به في تطور سريع لا يتوقف، وعلى الرغم من الحداثة النسبية لعلم الاتصال فإنه علم في قمة الصعوبة، يستمد أصوله من العلوم الاجتماعية، وعلم النفس، وعلم اللغة، وعلم السياسة، فضلاً عن الحضور البارز للعلوم الطبيعية.

ولقد تناول الكثير من ميادين الأبحاث الوسائل المستخدمة في الاتصال أو ظاهرة الاتصال نفسها، كالمعلوماتية والإدارة والهندسة، والألسنية والفنون. كما لا يخفى ما للاتصال من أهمية بالنسبة إلى الجانب التربوي والتعليمي (البرامج التحسيسية من مثل تنظيم الأسرة، ومحو الأمية...)، إضافة إلى استيعابه جميع أشكال الفن، واتجاهات الدعاية والتأثير، وأوجه الترفيه والإعلانات، والحث السياسي والترويج التجاري (١٥).

إن هذا يبرز أن الاتصال لازم المجتمع الإنساني منذ البدايات البكر، ورافق مختلف مراحل التطور الاجتماعي، والذهني، والثقافي للجنس البشري، فإلى جانب الكلام، كانت هناك بعض الجماعات البدائية، ولا تزال، تلجأ إلى أساليب تخفي وراءها أنساقًا متكاملة من القواعد، والإشارات، والرموز التي لها معان واضحة في أذهانهم، حتى يمكن إرسال الرسائل (مادة الاتصال) (١٦)؛ إذ اتخذت عملية الاتصال أشكالاً مختلفة، واستحدثت أساليب وأدوات متنوعة، تتماشى ومراحل تطور المجتمع

الإنساني؛ من الاتصالات المقصورة على الإيماءات قبل التعبير اللفظي، مرورًا بقرع الطبول، وإشعال النار، وصولاً إلى التلفاز والهاتف والأقمار الاصطناعية والمعلوماتية والإنترنت، وبهذا الصدد يقول محمد بوعزي: «إن الاتصال بين البشر حاجة اجتماعية، نمت وتغيرت مع مراحل تطور الإنسانية نفسها. والاتصال فرصة للتواصل والحوار يلتقي فيها الإنسان مع الآخر باختلافه، وكل حوار فعلي يخلق التبادل وحدًا أدنى من التفاهم. فالاتصال هو تبادل الأفكار والمعلومات بين الأفراد، أدواته الأنظمة المتعددة للتواصل كما تحددها السيميولوجيا» (١٧).

إن الظروف العامة التي سادت العالم خلال القرن العشرين، وزيادة الاتجاه نحو التحضر، والتقدم الهائل في العلوم والتكنولوجيا.. استوجبت حدوث تغيرات ضخمة في مجال الاتصال، وعملت على ازدياد الشعور الحاد بضرورته للتوجه نحو الجماهير العريضة. لذلك تم استحداث وسائل وأساليب حديثة تتفق مع الاحتياجات الجديدة، والأهداف البعيدة، التي يراد تحقيقها. ومن ثمة، يظهر جليًا اعتماد المجتمع الحديث **على وسائل الاتصال الجماهيري التي تعتمد وسيلة لإحداث تغييرات كثيرة في المجتمع.**

الاتصال لازم المجتمع الإنساني منذ البدايات البكر، ورافق مختلف مراحل التطور الاجتماعي، والذهني، والثقافي للجنس البشري، فإلى جانب الكلام، كانت هناك بعض الجماعات البدائية، ولا تزال، تلجأ إلى أساليب تخفي وراءها أنساقًا متكاملة من القواعد، والإشارات، والرموز

الاتصال هو العملية التي يتم بمقتضاها تكوين العلاقات بين أعضاء المجتمع وتبادل المعلومات والآراء والأفكار والتجارب فيما بينهم

وإذا كانت هناك اختلافات صارخة بين العلماء، وعدم اتفاق حتى الآن على تعريف واحد لكلمة «اتصال»، فإنه يمكن القول على الرغم من ذلك: إن هناك إجماعًا بينهم على أن الاتصال يعدّ أساس المجتمع، وجوهر الحياة الإنسانية، وأن كل ما يتصل بانتقال الأفكار، والمعلومات، يدخل ضمن هذه العملية. يقول إنجلز: «الاتصال حاجة اجتماعية فرضتها ظروف التطور» (١٨). لكن في البدء والمنتهى، لا بأس من تأكيد أنه «لن يدرك أي منا صعوبة الاتصال والتواصل إلا عندما يبدأ بالسعي لكي يكون مفهومًا من قبل الآخرين» (١٩).

وانطلاقًا من هذه التعاريف وتأسيسًا عليها يمكن أن نخلص إلى الملاحظات الآتية:

. إن كل المقاربات التي اعتمدت «الاتصال» موضوعًا لها تظل نسبية، ومرد ذلك إلى اختلاف حقول التناول وتباينها، وهو ما يعني صعوبة الإجماع على تعريف واحد يلملم شتات كل المقاربات.

. يمكن فهم مصطلح «اتصال» Communication حسب الحقل المتداول فيه، وهي عملية إجرائية ضرورية من أجل تجنب كل خلط أو تضليل.

. إن كل التناولات على اختلافها تقر بحضور عناصر أساسية (٢٠) من أجل تحقيق فعل الاتصال ثم التواصل وهي كالآتي:

أ. الرغبة المبدئية في الاتصال ومباشرته بشكل فردي (الأنا) أولاً.

كل ما يتصل بانتقال الأفكار والمعلومات يدخل ضمن عملية الاتصال

ب ـ ضرورة استدعاء (الآخر) كيفما كان هذا الآخر (شخص أو غيره..) إذ حضور مبدأ المشاركة في الاتصال هو من باب الرغبة أو الحتمية تفرضها الوظيفة (الإبلاغ والإعلام).

ج ـ حضور الوسيلة أو القناة التي تعدّ الركيزة الطبيعية لعملية نقل الخطاب.

د ـ ثم الخطاب الذي يراد تبليغه. (وهذه العناصر كل لا يتجزأ).

والترسيمة الآتية تبين بوضوح العناصر الأساسية التي تشتمل عليها عملية الاتصال:



ـ وإذا كان الاتصال لا يستقيم في غياب العدد (اثنين) في كل عملية يمكن اختصارها بعملية «الأخذ والعطاء». فإن التواصل يصعب في غياب «الرغبة». وبذل الجهد

في تحقيق هذا التواصل، خاصة عند اختلاف اللغات والثقافات، ومع الصم البكم... فالاتصال يرتبط بالتفاعل الإنساني، إذ يتضمن جميع طرائق التعبير التي تصلح للتفاهم المتبادل بين الناس.

- شكل التواصل يتحدد من خلال المشاركين فيه (الثقافة، والسن، واللغة، والجنس، والإثنية...)

- ضمير المتكلم (أنا) يشكل محور كل كلام، ويؤسس موضوع الحوار والاتصال.

- كل آليات التواصل (الحالات، والأزمنة، والعلاقات، والموضوعات، والخطابات، والعوامل التاريخية والاجتماعية...) يرمز إليها عبر المعادلة الآتية: «أنا هنا الآن» (الحينية أو الراهنية).

- نظام التواصل تتحكم فيه المسافة الاجتماعية المبنية على ضمير المتكلم (أنا)، أو (نحن)، وضمير المخاطب (أنت)، أو(أنتم)، والتي تترجم حميمية العلاقات، أو دخولها في نطاق الرسميات، والمستويات الاجتماعية، والفوارق الطبقية.

- إرسالية المتكلم يمكنها أن تنال كثيرًا، أو قليلاً من الاهتمام، والاعتداد، من قبل المخاطب، تبعًا لطبيعة المتكلم ووزنه، وهو نفسه ما ينطبق على المخاطب أيضًا، من مثل:

قرار

مخاطب — متكلم

التماس

والحال أن الاتصال يبقى جوهريًا في حياة الإنسان وأساس الحياة الاجتماعية، فهو «أداة تنمية الإنسان وتطوير معارفه وخبراته، وهو شرط ضروري لتمكينه من الإسهام في إنماء المجتمع والمشاركة الكاملة في الأنشطة الاجتماعية الاقتصادية والثقافية»[21].

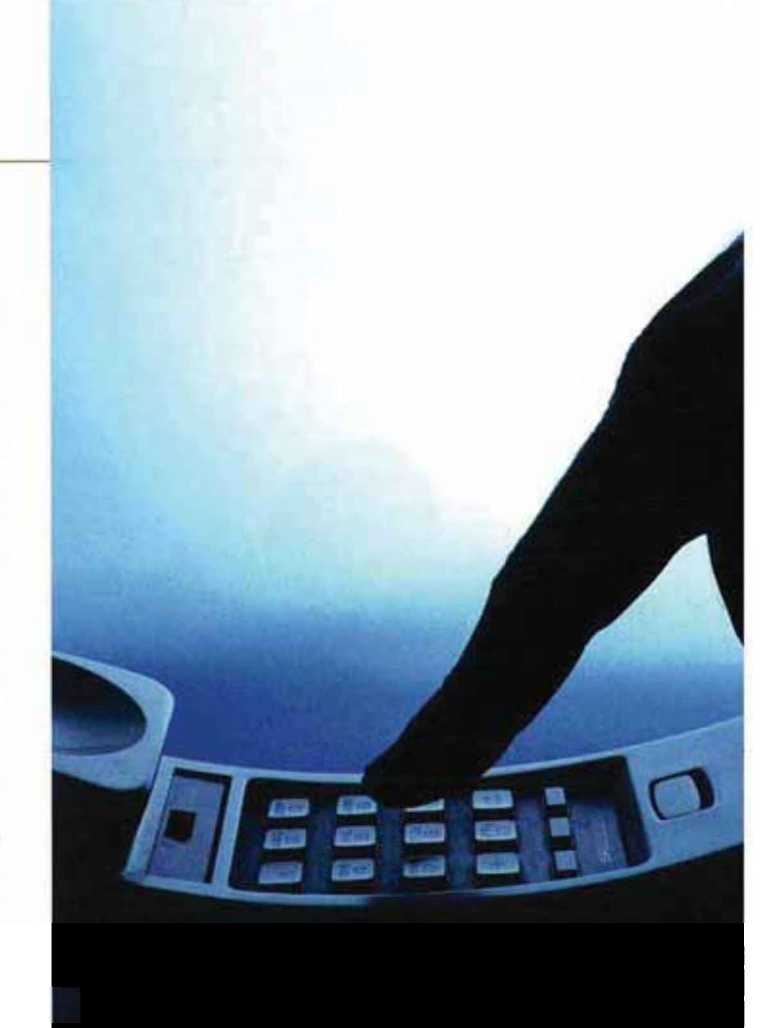
> الإعلام هو تزويد الجماهير بأكبر قدر من المعلومات الصحيحة أو الحقائق الواضحة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب، بحيث يعد هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير وميولاتهم

الإعلام

جاء في «لسان العرب» لابن منظور: «علم وفقه أي تعلم وتفقه.. وتعالمه الجميع أي علموه.. ويقال: استعلم لي خبر فلان وأعلمنيه إياه، وقوله عز وجل: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾، البقرة: ١٠٢، أي أن الملكين بعد إعلام الناس بتحريم السحر يأمران باجتنابه بعد الإعلام. وذكر ابن الأعرابي أنه قال: تعلم بمعنى أعلم... فهذا معنى يعلمان إنما هو يُعلمان، ولا يكون تعليم السحر إذا كان إعلامًا كفرًا»[22].

أما في معجم Le Petit Robert فتتدرج معاني مصطلح إعلام Information في ثلاثة أقسام كبرى، تتفرع عنها مجموعة من المعاني، ويأتي في مقدمتها:

> من بين أبرز الأهداف التي يسعى الإعلام إلى تحقيقها، بعد جمع الأخبار وتفسيرها والتعليق عليها، الرغبة في التوعية والتثقيف، وذلك بضخ كم هائل من المعلومات المتجددة



لم تعد وسائل الاعلام ذات اتجاه واحد

أولاً:

مجموع الأفعال التي تنزع إلى إقامة الدليل على قيام المخالفة القانونية، وتميل إلى الكشف عن تركيبها.

ثانيًا:

أ. تتداول هذه الكلمة في الغالب بمعنى مجموعة من المعلومات حول شخص أو شيء ما. ويحيل المعجم هنا إلى تقاطع معنى كلمة Information مع أحد معاني كلمة Tuyau الذي يدل على السر.

ب. وتعني كلمة Information من جهة أخرى، فعل الإخبار بمجموعة من المعلومات، وتتم الإحالة هنا إلى مصطلحات مماثلة كتحقيق، وامتحان، وبحث (تقص). (Enquete-Examen-Investigation)).

ج. المعلومة أو الحدث الذي يتم به إخبار فرد أو جماعة ما، وتستعمل هذه الكلمة بصيغة الجمع Les In- formations لتدل على نشرة الأخبار الإذاعية أو التلفازية، وتختزل كلمة Information على شكل Les In- fos، وهو استعمال عامي.

وفي القرن العشرين، أصبحت الكلمة تعني مجموعة من الأخبار، ثم امتد معناها ليدل على فعل إخبار الجمهور والرأي العام، ومن ذلك قولنا: وكالة الأنباء، وقولنا: خبر وإشاعة، ومنه: نشرة الأخبار، وتعني كلمة Information مجموع تقنيات الأخبار من صحافة وإذاعة وسينما وتلفاز. ويحيل المعجم هنا إلى كلمة Media (وقد أشرنا إليها عند حديثنا عن مفهوم الاتصال).

ثالثًا:

تدل الكلمة على نظرية لمعالجة الأخبار، وهنا يحيل المعجم إلى مصطلح الإعلاميات informatique لتقاطعه مع هذا الوجه من معاني مصطلح Information كما تدل الكلمة على الإخبار والإبلاغ.

وفي مجال العلوم الطبيعية يمتد مفهوم الكلمة ليدل على الطبائع الوراثية information genetique، أي مجموع السمات الوراثية التي تنتقل من شخص إلى آخر عبر الجينات (٢٣).

وعن المفهوم نفسه يسأل الدكتور المهدي المنجرة: «قبل كل شيء ماذا يشمل مفهوم الإعلام؟ إنه يشمل كل وسائل المعرفة: الصوت، والكلمة، والصورة، والمعلومات والإشارات الإلكترونية.. وحتى الإدراكات الحسية. فالإعلام هو المادة الأولية للمعرفة باعتبار أن المعرفة إعلام قد تم تركيبه وتأليفه حسب تصور معين» (٢٤).

في حين يرى فايز سارة أن «الإعلام عملية إيصال واتصال بين المجموعات المختلفة، حيث تجري عملية تبادل المعلومات والآراء والمواقف من خلال وسائل

الإعلام المتعددة من أجل إعادة صياغة المواقف وتقويمها بهذا الاتجاه أو ذاك تبعًا لما تخلفه عملية الاتصال والإيصال من آثار ونتائج جديدة نتيجة نقل المادة الإعلامية بمحتوياتها المختلفة إلى المجموعات المستقبلية»(٢٥).

أما وجهة نظر محمد بوعزي فتذهب إلى القول بأن «كلمة الإعلام تكاد تكون مصطلحًا عربيًا منفردًا يصعب إيجاد ترجمة أجنبية له لأنه يشمل جانبًا من كلمة اتصال Communication وآخر من كلمة Renseigne-ment الفرنسية.. جاء في «المعجم الوسيط»: «أعلام فلانًا الخبر وبه: أخبره به وأعلم فلانًا بالأمر حاصلاً جعله يعلمه»»(٢٦).

يقول مصطفى المصمودي: «الإعلام بمفاهيمه المعاصرة جديد على الفكر والممارسة العربيين. والتحدي الذي يفرضه علينا العصر هو استيعاب هذا الضرب من ضروب المعرفة الإنسانية والانتفاع به. والإعلام ليس جديدًا في أصوله ووجوده فطالما عرفه رجال السلطة في العصور الغابرة. وعمدوا إليه بطريقة أو بأخرى. ولكنه جديد في أسلوبه. وفي مضمونه. وفي مناهجه. وفي تقنياته. ولما كان الوطن العربي حديث عهد به فإن مفهومه ما زال غامضًا يستخدم لدى الكثيرين استخدامًا عشوائيًا تتداخل فيه معاني الاتصال بالإعلان كما تتداخل فيه الوسائط بالسبل»(٢٧). في حين يرى صالح ذياب هندي: «الإعلام بمعنى نشر المعلومات بعد جمعها وانتقائها. وأحيانًا يطلق على الاستعلامات Infor-mation التي تعني إبراز الأخبار وتفسيرها.

- الإعلام بمعنى الدعوة وهو المعنى القديم الذي أطلق عليه في القرون الوسطى لفظ Propaganda: أي النشاط الهادف إلى نشر الدعوة والتبشير بها وكسب المؤمنين بها.

- الإعلام بمعنى الدبلوماسية المفتوحة أو الشعبية أو

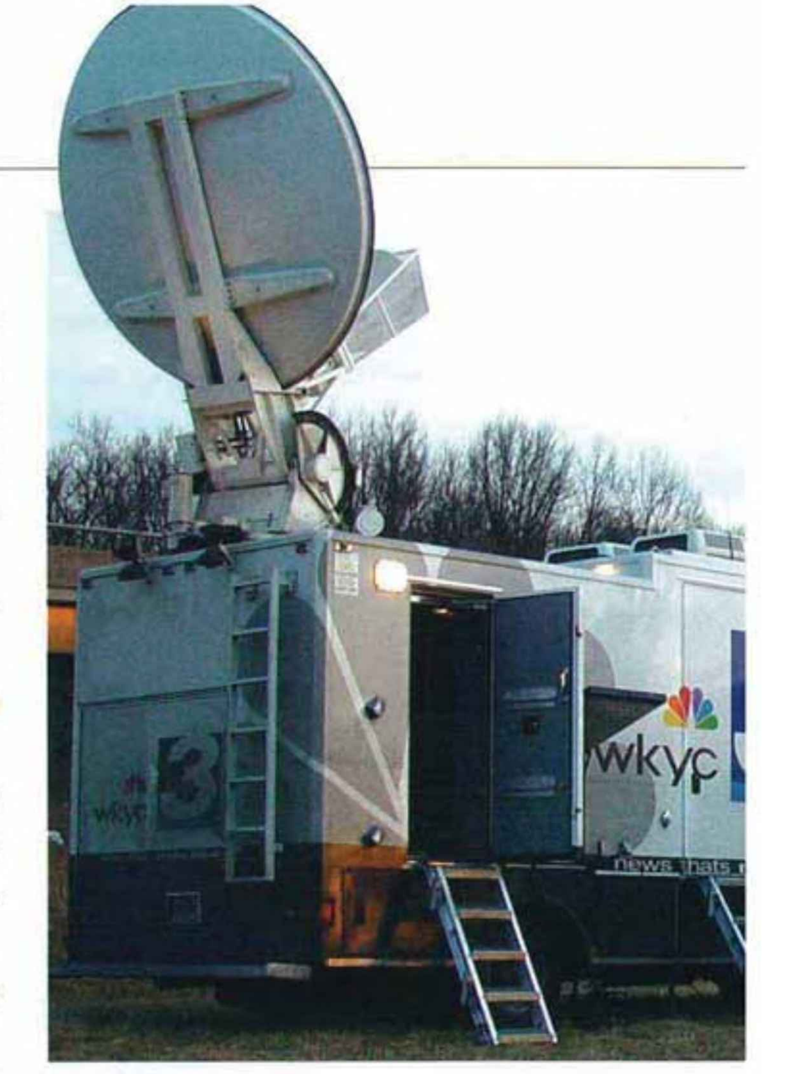


اتخذت عملية الاتصال أشكالاً مختلفة

العمل السياسي الخارجي. وهو تطور حدث في مفهوم الإعلام في النصف الثاني من القرن العشرين نتيجة اشتراك الشعوب في تقدير السياسة الخارجية المنظمة في صورة تجعلها وزنًا ضاغطًا»(٢٨).

وعمومًا فالإعلام هو تزويد الجماهير بأكبر قدر من المعلومات الصحيحة أو الحقائق الواضحة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب. بحيث يعدّ هذا الرأي تعبيرًا موضوعيًا عن عقلية الجماهير وميولاتهم(٢٩).

ويقول الدكتور المهدي المنجرة: «إن مفهوم الإعلام وكذلك مضمونه ليسا ثابتين. فمصطلح الإعلام يتصور حسب دعامته. أي الأداة التي يتم بواسطتها نقل مضمون الرسالة. ولقد وصلنا إلى درجة أصبح فيها التمييز ما بين



المضمون والمضمن يتجه نحو التقلص» (٣٠)، ليخلص إلى القول: إن «مسألة الإعلام مسألة لا يمكن فهمها بمعزل عن التطورات التكنولوجية التي حدثت اليوم» (٣١).

يبقى من الملاحظ أن مفهوم كلمة إعلام -Informa tion يتعارض مع المفهوم الذي تقدمه حالات الإطناب التي تستعمل الكلمة بأوجه مختلفة ومتداخلة. ولذلك تظل الإحاطة الشاملة بكلمة إعلام مطلبًا يستبعد تحققه في مفهوم واحد يضم كل معاني الكلمة ودلالاتها.

والإعـــلام لا يعـــدو أن يكون شكلاً من أشكال الاتصال، لأنه فرع من فروع التفاعل الذي يتم عبر قناة استخدام الرموز، وطريق من الطرق التي يتحقق بها الاتصال مع الناس. لهذا فالإعلام يرتكز على الاتصال من أجل نقل الخبر من نقطة أو مركز، وتوزيعه على عدة نقاط. إن «جوهر العملية الإعلامية يقوم دائمًا على الاتصال، أو التواصل، وعلى توصيل المعلومات ونقلها ونشرها على أوسع نطاق ممكن» (٣٢).

من ثمة فالإعلام فرع من ظاهرة أكبر وأشمل هي ظاهرة الاتصال.

وسائل الإعلام: أنواعها، وخصائصها وأهدافها

سنحاول في هذا العنصر إلقاء لمحة خاطفة على أهم التطورات التي عرفها قطاع الإعلام انطلاقًا من وسائله مرورًا بأنواعه، وصولاً إلى أهم خصائصه، وانتهاءً بأبرز أهدافه.

وسائل الإعلام وأنواعها

تعرف وسائل الإعلام بأنها: «مجموعة من المواد الأدبية والعلمية والفنية المؤدية إلى الاتصال الجماعي بالناس بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال الأدوات التي تنقلها أو تعبر عنها، مثل الصحافة والإذاعة والتلفاز ووكالات الأنباء والمعارض والمؤتمرات والزيارات الرسمية وغير الرسمية» (٣٣).

أما وسائل الإعلام التي عرفتها العصور القديمة (اليونان، والفرس، والهند، والرومان)، فلم تكن تخرج عن الحفر على الأحجار، والأشجار، وإيقاد النيران، وحمل الأخبار مع القوافل التجارية، إضافة إلى وسيلة الاتصال الشخصي بالجماهير. يقول صالح ذياب هندي: «كانت وسائل الإعلام في الأزمنة القديمة طبولاً تسمع في أدغال إفريقية، ودخانًا يصعد في بلاد الهند، ونيرانًا تسطع في صحراء العرب، وحمائم تطلق في عهود الخلفاء والسلاطين، وخيلاً تسبق الريح في توصيل الأنباء المهمة من بلد إلى بلد» (٣٤). أما في العصر الجاهلي فقد

عرفت وسائل الإعلام أساليب أخرى محددة بشكل أوضح من ذي قبل، فكانت القصيدة الشعرية أول وسيلة إعلام عرفت في تلك الحقبة التاريخية، وهو الدور نفسه الذي حافظ عليه الشعر في العصر الإسلامي. ومع تطور الدولة الإسلامية، ظهر ما يسمى بالشعر السياسي، وتحملت القصيدة عبء القضايا التي أفرزها المجتمع الجديد مع ظهور الفرق الإسلامية على عهد الدولة الأموية، وبعدها خلافة الفاطميين، والأيوبيين، والمماليك، وما عرفته حينذاك من حروب صليبية، ورغم ما للشعر من حظوة، فقد ظل فن الخطابة الوسيلة الأولى للإعلام التي اعتمدها الدين الجديد في شرح المبادئ التي نادى بها، ثم عرفت العصور الإسلامية المنادي فيما بعد، والذي كان يعهد إليه بإذاعة الأمور الحكومية، وإخبار الرعية بكل ما يهمها. وخلاصة القول إن التاريخ قد عرف أكثر من وسيلة للإخبار والتبليغ من مثل: المآذن والأسواق العامة والبريد (استخدام البريد الجوي بواسطة حمام الزاجل لنقل الأخبار..) والبعثات (البعثات التي أرسلها إلى الحكام يدعوهم فيها إلى الإسلام...) والوفود والزيارات.

وعمومًا فإن العصور القديمة لم تكن تأبه لرأي الجماهير، بل كانت تخضع لرأي الحاكم، وهي الأطروحة نفسها التي ترسخت في العصور الوسطى في مجال احترام الرأي العام للجماهير. إلا أن السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر، وهي السنوات التي حدثت فيها الثورة الفرنسية، اتصفت بسيطرة الرأي العام الذي كان يسميه مونتسكيو الروح العام والذي عبر عنه جان روسو بالإرادة العامة..

وتعد المطبعة[٣٥] بحق الفاصل الحقيقي بين العصور القديمة والعصور الحديثة من حيث الإعلام ووسائله إذ تعد ثورة حقيقية نقلت الإعلام من طور إلى آخر.. ثم بدأت الثورة الثانية مع وكالات الأنباء.. والثالثة بظهور السينما والراديو والتلفزيون»[٣٦].

الاتصال يبقى جوهرياً في حياة الإنسان وأساس الحياة الاجتماعية، فهو أداة تنمية الإنسان وتطوير معارفه وخبراته، وهو شرط ضروري لتمكينه من الإسهام في إنماء المجتمع والمشاركة الكاملة في الأنشطة

في حين يمكن تحديد أنواع وسائل الإعلام في العصر الحديث في أربعة أصناف، تتفاوت في درجات تأثيرها واستهلاكها من قبل المتلقي حسب أهميتها لديه، وهي كالآتي::

- وسائل إعلام بصرية (مرئية) وتتمثل في التلفاز أساسًا ثم الفيديو والسينما.. وكثيرًا ما يسمى بوسائل الإعلام السمعية البصرية.
- وسائل إعلام سمعية تتجلى في الراديو أولاً وأشرطة التسجيل.
- وسائل إعلام مقروءة وتنتهي على الكلمة المكتوبة مثل الصحف والمجلات.
- وسائل إعلام ثابتة ويمكن التدليل عليها بكل الوسائل التي يتوجه الناس إليها للاطلاع من مثل الملصقات والمعارض، والمتاحف والمسارح وما شاكل ذلك[٣٧].

مفهوم كلمة إعلام يتعارض مع المفهوم الذي تقدمه حالات الإطناب التي تستعمل الكلمة بأوجه مختلفة ومتداخلة، ولذلك تظل الإحاطة الشاملة بكلمة إعلام مطلبًا يستبعد تحققه في مفهوم واحد يضم كل معاني الكلمة ودلالاتها



الاتصال فرصة للتواصل والحوار

خصائص وسائل الإعلام

في البدء كانت غالبية وسائل الإعلام ذات اتجاه واحد وهو (الإرسال دون شق قنوات التواصل وجس مدى حدود التأثير والتأثر في المتلقي. أما الآن فهناك بعض البرامج التي تبث على الهواء مباشرة فاتحة خطوطها الهاتفية في وجه المستقبل من أجل الاستفسار والمشاركة. وتتضمن وسائل الإعلام قسطًا وافرًا من الاختيار إذ تعمل على انتقاء الجمهور الذي تخاطبه وترغب في الوصول إليه. والمستقبلون أيضًا يختارون من بينها ما يريدون. فهم الذين يقررون ما يرغبون في مشاهدته أو دراسته. إذ تغطي هذه الوسائل مساحات شاسعة. وتخاطب قطاعات كبيرة. فجمهورها عريض ومتنوع. وهو يتحدد في كل من يملك جهاز «راديو» أو تلفاز (لهذا فهما يتفوقان بانتشارهما عن باقي وسائل الاتصال الأخرى). وقد كانت وسائل الإعلام في سعيها إلى اجتذاب أكبر عدد من الجمهور تتوجه إلى نقطة متوسطة افتراضية يتجمع حولها أكبر عدد من الناس. أما الآن فالأمر لم يعد يقبل ترك الأمور للمصادفة أو المراهنة البليدة. بل أصبحت المسألة أكثر علمية باعتماد أبحاث ودراسات يشرف عليها مختصون في علم الاجتماع وعلم النفس وتقنيون في جذب المتلقي وشده. ووكالات خاصة باستطلاعات الرأي لتحديد رغبات الجماهير وميولاتهم.

وبعد: فإن وسائل الإعلام مؤسسة اجتماعية

تستجيب إلى البيئة التي تعمل فيها بسبب التفاعل القائم بينها وبين المجتمع.

أهداف وسائل الإعلام

من بين أبرز الأهداف التي يسعى الإعلام إلى تحقيقها، بعد جمع الأخبار وتفسيرها والتعليق عليها، الرغبة في التوعية والتثقيف، وذلك بضخ كم هائل من المعلومات المتجددة، وتقديم خدمات هائلة للناس عن طريق الدعاية والإعلان. مما يفسح مجالاً رحبًا للتفاعل الجماعي بينهم. وهو ما يعمل بعد ذلك على تربيتهم وتعليمهم وتوجيههم وجهة مرسومة سلفًا، وبعناية شديدة. وذلك من أجل تثبيت القيم والمبادئ، والاتجاهات العامة، والمحافظة عليها، التي تعني طبعًا المحافظة على النظام السياسي السائد في المجتمع، من خلال وسائل الإعلام الرسمية.

وتحاول معظم الكتابات «التمييز بين ثلاثة أهداف رئيسة للإعلام هي: نقل المعلومات وتوصيلها إلى الآخرين، ومحاولة التأثير في آرائهم وأفكارهم وتشكيلها، ثم الترفيه والتسلية وتمضية أوقات الفراغ. وتتشابك هذه الأهداف الثلاثة كلها وتتفاعل، ويكمل بعضها بعضًا بحيث يمكن القول:

المراجع والهوامش

١- أحمد بلحبري، معجم المصطلحات المسرحية، مطبعة سندي، مكناس، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص٥.

٢- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر (د ت) المجلد الحادي عشر، ص ٧٢٧ - ٧٢٨.

3- Paul Robert - le petit Ropert 1- (Dictionnaire), Robert, Paris 1985, p.346.

4- Jean Dubois, et al, Dictionnaire de Linguistique, Librairie Larousse, Paris 1973, p.97

5- Ibid. p.96.

٦- وينكين نقلا عن: ج.ب. هوغ، د. ليفيك، ا. موران، بالتعاون مع: ب. لونو، غوبرالز، الجماعة السلطة والاتصال، ترجمة: نظر جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص١١٩.

٧- المرجع نفسه، ص١٢٠.

٨- نفسه، ص١٢٠.

٩- باحثو مدرسة بالو ألتو. Bateson, Han, Jackson Pallo Alto Watzlawick Coltman - Sigman.

١٠- المرجع نفسه، ص١٢٣.

١١- صالح ذياب هندي، أثر وسائل الاعلام على الطفل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، الطبعة الثانية ١٩٩٥م، ص١٨.

١٢- طلعت منصور نقلا عن: إسماعيل الملحم، وسائل الاتصال الحديثة ووحدة الشخصية القومية للأمة العربية، مجلة الوحدة، العدد ٥٤، مارس ١٩٨٩م، ص١٢١.

١٣- المرجع نفسه: ص١٢٢ .....

١٤- أحمد أبو زيد، الاتصال، مجلة عالم الفكر الكويتية، العدد الثاني، يوليو، أغسطس، سبتمبر ١٩٨٠م، ص٦.

١٥- لمزيد من التوسع يمكن العودة الى المراجع الآتية على سبيل التمثيل لا الحصر

. نظر جاهل، الجماعة السلطة والاتصال.

. مجلة عالم الفكر، ع٢، يوليو، أغسطس، سبتمبر ١٩٨٠م، (عدد خاص بالإعلام والاتصال).

. مجلة الوحدة، ع٥٤، مارس ١٩٨٩م (عدد خاص بالإعلام والاتصال).

. صالح ذياب هندي، أثر وسائل الإعلام على الطفل.

وكلها مراجع سبق ذكرها.

١٦- أحمد أبو زيد، الاتصال، عالم الفكر (م س)، ص٦.

١٧- محمد بوعزي، أي إعلام؟ وفي خدمة من؟ مجلة الوحدة، ع٥٤، مارس ١٩٩٨م، ص٣٣.

إن المادة الإعلامية - أيًا كانت - قد تحقق هذه الأهداف الثلاثة معًا في وقت واحد، وإن يكن بدرجات متفاوتة. ومع ذلك، فإن السياسة الإعلامية التي ترسمها الدولة لنفسها كثيرًا ما تعطي أولوية نسبية لأحد هذه الأهداف على حساب الهدفين الآخرين، وتسخر كل وسائل الإعلام وأجهزتها وأساليبها والاتصال الجماهيري بها لخدمة هذه الأهداف» (٣٨)؛ إذ يتم جل ذلك عبر قناة الإقناع بالترفيه والتسلية. ومن ثم لخص هارولد لاسويل Harold Lasswell هذه الأهداف في عباراته المشهورة: «من يقول؟ ماذا، لمن؟ وبأي وسيلة؟ وبأي تأثير؟» وعدل ريمون نيكسون Raymand Nixon هذه العبارة فأضاف إليها «... وما هو تأثير ما يقال؟ وفي أي ظروف؟ ولأي هدف؟»، ومنذ ذلك الحين تبلورت أهداف وسائل الإعلام التي خلاصتها التأثير الفعلي في سلوك الفرد والجماعة (٣٩).

وإجمالاً يمكن القول: إن أهداف وسائل الإعلام تقوم على: التعليم، والتثقيف والتوعية، والترفيه. يقول محمد بوعزي عن أهداف وسائل الإعلام: إنها متعددة وهي: «تنوير الرأي العام المحلي أو الدولي، وتكوين ثروة من المعلومات حول المجتمعات المعاصرة، ونقل المعرفة والثقافة، والترفيه،والتسلية، وغيرها» (٤٠).

١٨- اسماعيل الملحم، وسائل الاتصال الحديثة (م س)، ص١٢١.
١٩- نغتر حاهل، الجماعة السلطة والاتصال (م س)، ص١٢٢.
٢٠- وهي عناصرالإعلام نفسها Information: المرسل، والمستقبل، والأداة، أو الوسيلة، الرسالة.
٢١- إسماعيل الملحم، وسائل الاتصال الحديثة، مجلة الوحدة (م س)، ص١٢٣.
٢٢- ابن منظور، لسان العرب (م س)، المجلد١٢، ص ٤١٧، ٤١٨.

23- Paul Robert - le petit L. p 346

٢٤- المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، مستقبل الماضي وماضي المستقبل، منشورات عيون، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ١٩٩١م، ص٣٦٥.
٢٥- فايز سارة، مدخل في دراسة العملية الإعلامية، ماهيتها، اتجاهاتها، وخريطتها، مجلة الوحدة، العدد ٥٤ مارس ١٩٨٩م، ص٨٧.
٢٦- محمد بوعزي، أي إعلام؟ وفي خدمة من؟ مجلة الوحدة (م س)، ص٢٣.
٢٧- مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، المجلس الوطني للفنون والثقافة والأداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٩٤، أكتوبر ١٩٨٥م، ص٦.
٢٨- صالح ذياب هندي، أثر وسائل الاعلام على الطفل (م س)، ص١٧.
٢٩- المرجع نفسه، ص١٧.
٣٠- المهدي المنجرة، القدس العربي رمز وذاكرة، دار وليلي، مراكش، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص٢٣٣.
٣١- المرجع نفسه، ص١٦٩.
٣٢- إدارة التحرير، الإعلام والرأي العام، مجلة عالم الفكر الكويتية، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، يناير، فبراير، مارس ١٩٨٤م، ص٤.
٣٣- صالح ذياب هندي، أثر وسائل الإعلام على الطفل (م س)، ص١٨.
٣٤- نفسه، ص٢٤.
٣٥- كان لاختراع المطبعة ١٤٤٠م، وظهور الصورة ١٨٨٠م، والسينما ١٨٩٥م، والإذاعة ١٩٢٠م، والتلفاز ١٩٣٧م، وأول قمر اصطناعي ١٩٥٧م، دور أساسي في الثورة الإعلامية الحالية.
٣٦- صالح ذياب هندي، أثر وسائل الإعلام على الطفل (م س)، ص٢٨.
٣٧- المرجع نفسه.
٣٨- مجلة عالم الفكر، الإعلام والرأي العام (م س) ص ٣، ٤.
٣٩- صالح ذياب هندي، أثر وسائل الإعلام على الطفل (م س)، ص٢١، ٢٢.
٤٠- محمد بوعزي، أي إعلام؟، وفي خدمة من؟ الوحدة (م س)، ص٢٣.





ما تقدمه الفلسفة للإنس

ـــان المعاصر

معتصم زكي السنوي

بغداد ـ العراق

كانت الفلسفة حتى وقت قريب تعد أحد العلوم الموقوفة على أصحابها. واعتاد الكثيرون أن ينظروا إليها على أنها أحد التخصصات التقنية التي لا يعرفها إلا كل من يتقن فنها، ويعرف طريقتها في التعبير والأداء. ولم يجد علماء هذا الفرع من التخصص الدقيق بدًا من أن يطلقوا عليه اسم العلم المضنون به على غير أهله كأنه غير مسموح على الإطلاق لسواهم من الناس أن يتعرف إليه، أو يقترب من أبوابه وفصوله، أو يتناول موضوعاته بالشرح والتحليل.

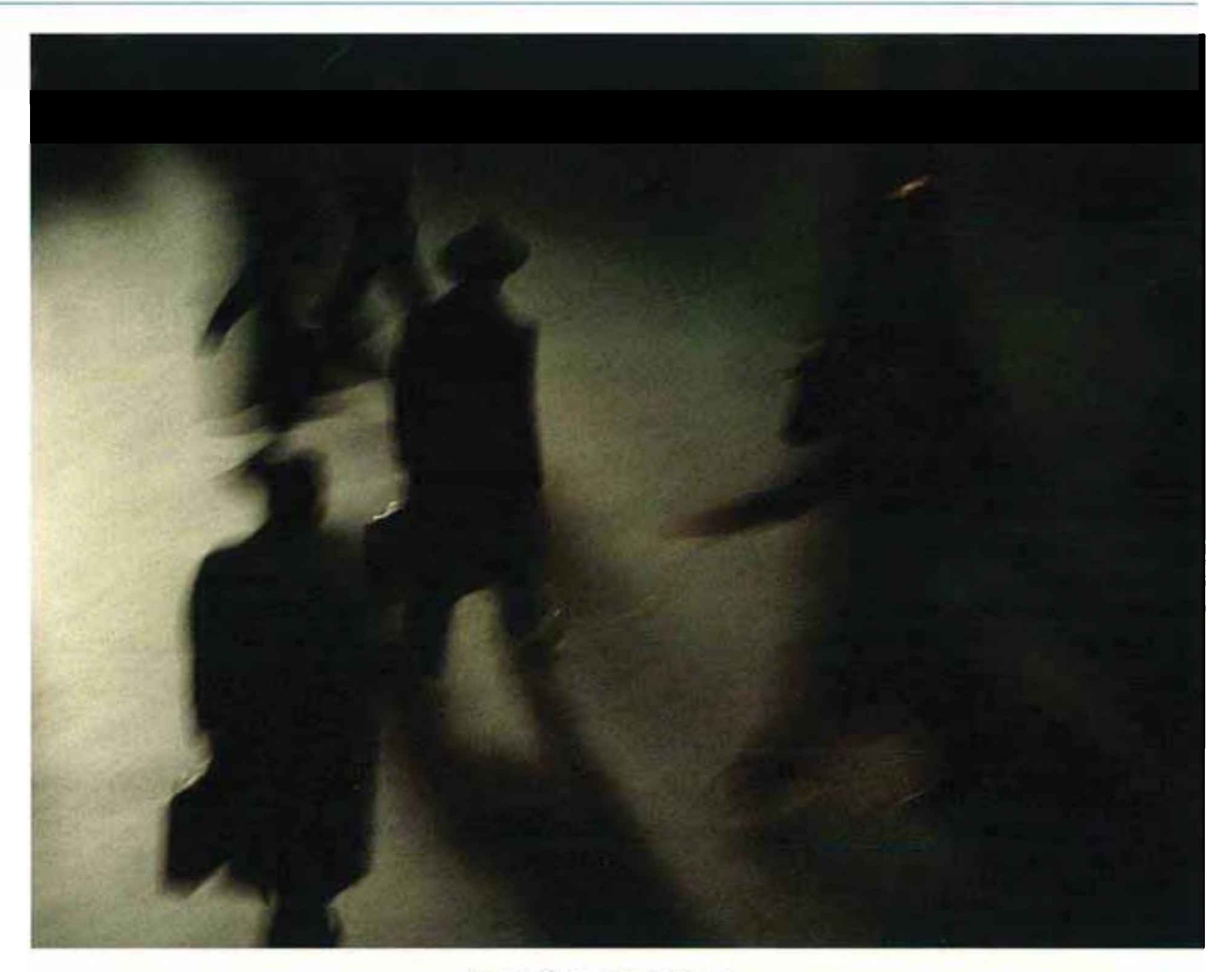
وليس في هذا الموقف خطأ كبير مادام أن الفلسفة معروفة في كل الأوساط بعباراتها التقنية ومصطلحاتها الخاصة. وليس من الغريب أن يشيع هذا الفهم عن الفلسفة وهي ما هي عليه عند الأقدمين من حب الحكمة أو صناعة البحث والتأمل في العلل البعيدة أو المبادئ الأولى.. وليس ذلك بالعجيب، مادام البحث الفلسفي علمًا رفيعًا يتدارسه أجلّ العلماء فيما بينهم. فلا يخرج عن حدود العلم الخاص الذي لا يشارك فيه إلا أقلية عالمة ذات سلطان معرفي معين.

الفلسفة علم مقفل ذو أسرار

وشاع مع ذلك بطبيعة الحال أن هؤلاء الأفراد يتدارسون في ذلك المجال فيما بينهم أمرًا خاصًا فيه غير قليل من الحرج، ويثير الكثير من الشبهة، ويبعث على الريبة، ويدفع إلى الشك فيما يمكن أن يكون عليه ذلك العلم.. فالعلم الذي يقتصر على مجموعة معينة من الناس هو علم مقفل، وهو علم أقل ما يقال فيه: إنه أسرار، وإنه يتناول موضوعات لا يحسن أن يلم بها جميع الناس. ومعنى ذلك أن هذا العلم قد اقتصرت دراسته على طائفة من الناس دون غيرها، وقد صار مملوءًا بالأسرار والألغاز والأحاجي، بل وبالمعميات التي لا يدركها غير رجالها. وإذا كان الأمر كذلك فالأولى بالآخرين أن يحجموا عن هذه الدراسة، بل أن يباعدوا بين أنفسهم وقراءتها، وأن يرفضوا المشاركة في بحوثها أو حتى مجرد الاطلاع على كتاباتها.. وانزوى الفلاسفة أو أصحاب هذا العلم في أبراج قال بعضهم: إنها (أبراج عاجية) وقال بعضهم الآخر: إنها (أبراج برونزية) فقط، وقال الفلاسفة أنفسهم: إنها مجرد أبراج من الصفيح الساخن الذي يعكس إلى الداخل، ولا يتسرب ما فيه إلى الخارج (1)! وصارت فكرة القطة السوداء التي يبحث عنها الفلاسفة داخل تلك الأبراج الساخنة. وهي لا وجود لها بداخل تلك الأبراج. مثار الفكاهة والنكات التي تقال هنا وهناك على أساس أنها تعريف صريح وواضح بطبيعة تلك المادة العلمية. واعتراف ضمني من الفلاسفة أنفسهم بحقيقة العلم الذي يشتغلون به.. وكان انزواؤهم المملوء بالخجل وبالتردد سببًا في إطلاق ألسنة الناس بالأقاويل. حتى أشاعوا أنها علم البطالين الفارغين بكل ما تحمله البطالة من دلالات وتوريات ومشتقات.

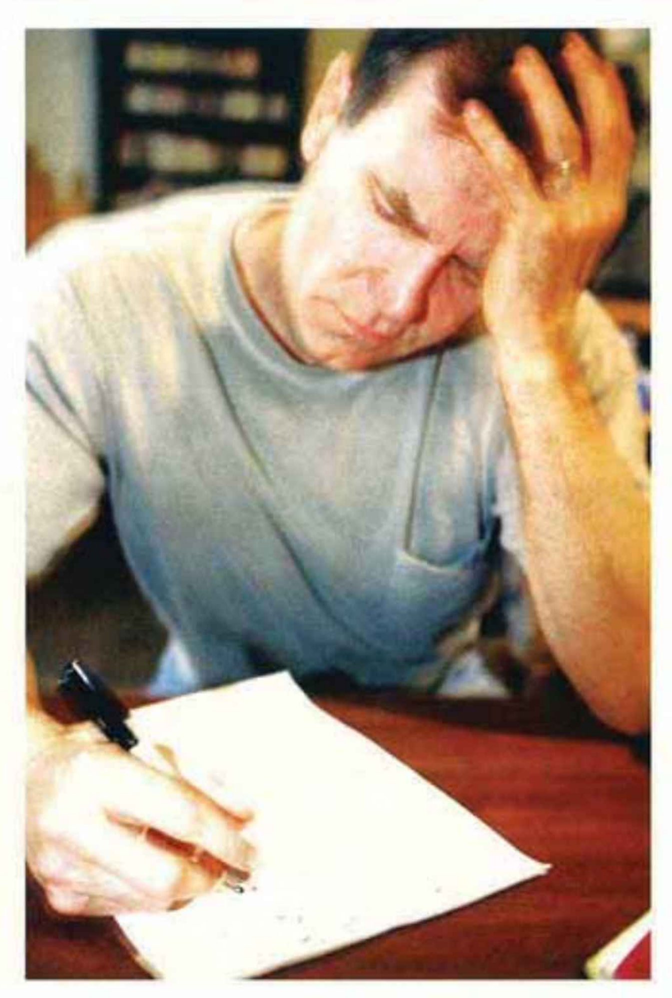
الفلسفة الوسيلة الحقيقية لمخاطبة الجماهير

ولكن فجأة تغير كل شيء.. أحس العلماء فجأة عقب



الفلسفة قادت العلماء إلى الأماكن العامة

انتهاء الحرب العالمية الثانية في القرن العشرين أن (الفلسفة هي الوسيلة الحقيقية لمخاطبة الجماهير). وظهر لمجموع العلماء والمفكرين أن «الفلسفة وحدها هي أسلوب الربط بين المعارف المختلفة، كما أنها طريقة إنشاء حوار بين الفكر والإنسان حيثما كان. واتخذت هذه الحقيقة طريقها إلى التنفيذ. فأخذت المذاهب المختلفة الفلسفة وسيلة وأداة لتحقيق خلق حوار بين الفكر الخالص والجماهير العامة في كل البلاد وعلى كل المستويات.. واستطاع العلماء أن يجعلوا من الفلسفة وسيلة اتصال جماهيرية: فكل ما يريدون إبلاغه إلى الجماهير صاغوه في عبارات فلسفية (٠). وكان هذا الاكتشاف سبيلاً إلى تغير كل شيء فيما يتعلق بالفلسفة، وانتهت العزلة الفلسفية. وأصبحت أخيرًا أداة جماهيرية تخاطب عقل الشعب وضميره ووعيه في آن معًا. فكل ما يريد العلماء أن يبلغوه إلى الشعب صاغوه في عبارات فلسفية. ولكن هذه العبارات الجديدة لم تصبح لغة معقدّة، كما كانت من قبل. بل صارت لغة سهلة ميسرة تتناول أعقد الأفكار بالأسلوب الواضح وبالألفاظ المألوفة العادية. ومن هنا بزغ الأمل الجديد في حقل الفلسفة. فاستحال وجودنا في أبراج من أي نوع.



لم تعد الفلسفة لغة صعبة معقدة

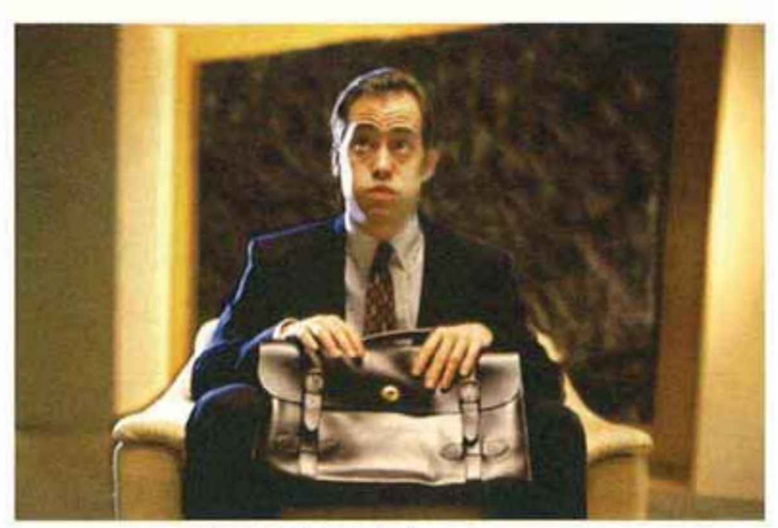
وصارت لغة المنتديات والأزقة والمقاهي والبيوت المألوفة. ولم يعد من الميسور أن يقتصر الفيلسوف على حياة الانقفال والعزلة، وصار يتردد إلى الأماكن العامة، ويخلق هو نفسه بنفسه وسيلة اتصاله بالجماهير. لماذا؟ لسبب بسيط هو أن الفلسفة نفسها هي اللغة المشتركة الأكثر ألفة من العامة وأشباه العامة (٢)، وهي فوق هذا وقبل هذا نظرية المعرفة العامة التي تستقي ملامحها من أحوال الناس، وتشتق تعبيراتها من كل ما يدور بخلدهم من خواطر، وتأخذ أنساقها هي نفسها من أنساق حياة الناس في حياتهم اليومية. فلم تعد الأنساق الفلسفية مقبولة ضمن إطار الفلسفة، وربما صار التحليل والتفسير والتبويب والإنماء هو أسلوب الحوار بين العلماء والفلاسفة، وضاق العلماء ذرعًا بما يقولونه إذا كان غير مفيد وبغير نفع مباشر للناس أصحاب المصالح الحقيقية في القول والانفعال، وتحولت الفلسفة بذلك كله إلى لغة خطاب يقولها العالم المتخصص فيفهمه الناس، ويدركون أبعاد فكره من خلال عبارات سهلة ميسرة.

الفلسفة نقطة التقاء العلوم وقمة المعرفة

وساعد على الوصول إلى ذلك أن العلماء فيما بينهم اتفقوا أكاديميًا وعلميًا على أن الفلسفة ذاتها هي نقطة التقاء مختلف العلوم، وأنها قمة المعرفة في كل فرع من أفرع المعرفة وفي كل فرع من أفرع العلم أيًا تكن نوعية ذلك العلم؛ ولذلك استطاعوا منذ عصر بعيد أن يقدموا درجة الدكتوراه باسم الفلسفة بداخل الجامعات ذاتها. وكان ذلك شبه اتفاق على أن الفلسفة قمة بلوغ العلم في أي فرع من أفرع التخصص، وساعد ذلك على أن تصبح الفلسفة نقطة التقاء بين العلوم المختلفة. وصار ملتقى الفلاسفة لا يتحقق من خلال مذاهب شامخة بقدر ما يتحقق من خلال لغات العلوم المختلفة عندما تتصاعد في شكل نظريات عامة أكثر عمومية من مجال العلم البسيط

لم يستطع سارتر أيضًا بما قاله عن الماهية والوجود أن يتجاوز التفرقة بين الماهية والوجود، لأنه أعطى الوجود أسبقية على الماهية، وهذه ثنائية ترفضها الفلسفة العربية الإسلامية في الوجود الإرادي

المتخصص؛ فالفلسفة بذلك هي الإبداع في فرع العلم أيًا كان هذا العلم، وهي أخيرًا نقطة الالتقاء الرفيعة داخل إطار العلوم. فـإذا تحـولت الفلسـفـة بعـد ذلك إلى لغـة الجماهير في التخاطب (٤) انضاف بذلك عامل جديد إلى عامل تغيير وضع الفلسفة في أنظار الخاصة، هو حقيقة الفلسـفـة بالنسبة إلى أصحاب الفلسفات العامة، وإلى الناس المستفيدين من تفهم هذه الفلسفة ومن قراءتها. وتؤدي بذلك إلى وضع الفلسـفة في وضع جديد تصبح فيه أداة لتقريب الأفكار وتذويبها داخل إطار الرأي العام.


في الفلسفة حلول لقلق إنسان العصر


سارتر

عدم الاتفاق على فيلسوف وفلسفة بصورة مطلقة

ومن المأسـوف له أن الفلسـفـة لم تحظ برجـال يعتـرف بهم الناس في تاريخـهم الطويل فـمن أندر الأشياء في تاريخ الفلسفة أن يكون ثمة اعتراف كامل بأحـد الأشـخـاص في الفلسـفـة، ومن أندر الأشـياء أيضًـا أن يجمع كل المفكرين على الاعـتـراف بشـخص معين من رجـال الفلسـفـة. وصـار من المألوف . فضـلاً عن المأسـوف عليـه . أن يحـدث إجـمـاع حـول أحـد الأشـخـاص من رجـال الفلسـفـة، كمـا أنه من النادر أن ينصب الإجـمـاع على مـجـمـوع الأفكار التي يمثلهـا الفيلسوف الواحد. أو بعبارة أخرى يصعب أن يتفق الجمـهـور والمختـصـون أيضًـا على أن هذا الفيلسوف وفلسفته لهما أهمية مطلقة كما يصعب أيضًا اتفاقهم على أن فلسـفـة من الفلسـفـات أو رجـلاً من رجـالهـا يمثل اتجاهًا هو كل ما تتطلبه الفلسفة ومسائلها (٥). فـمثـلاً قـد يفضل القارئ هذا الفيلسوف على ذلك (نيتشه « على برجسون « مثلاً) وقد يرتفع بقدر ذاك الفيلسوف على غيره (برجسون على هيدجره مثلاً).

وقـد يفضل جـانبًـا مـعينًـا من جوانب النظر العقلي

لا يوجـد في الفلسـفـة فرض عـقلي لا يقـبل الرفـض، ولا توجـد نظرية تـتـفـوق عـلى مـا عـداهـا؛ وهذا هو مـا يخلق جـو الحـرية الكـامل داخل إطـار الفلسـفـة

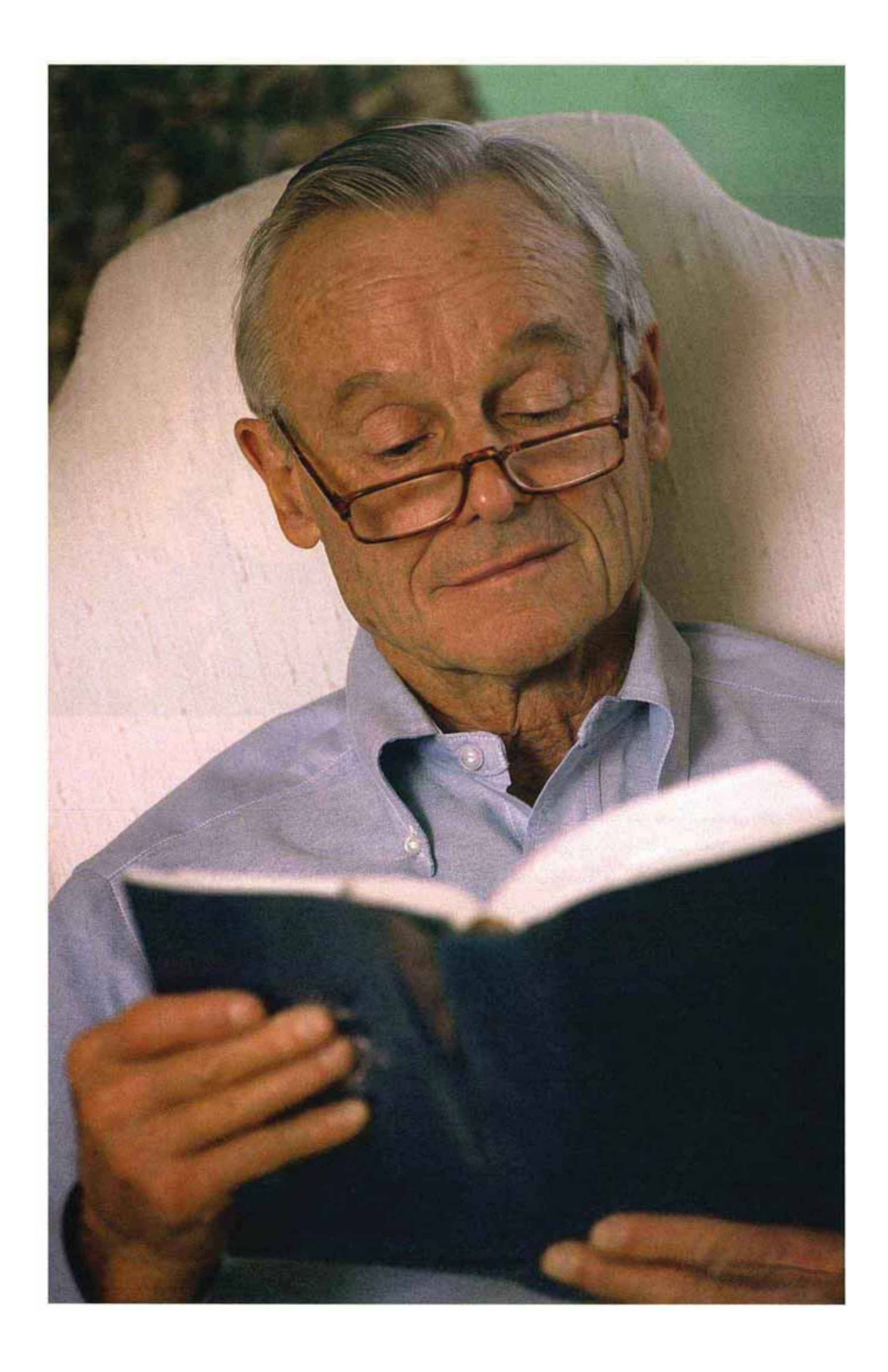


بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أحس العلماء أن الفلسفة هي الوسيلة الحقيقية لمخاطبة الجماهير

عند سارتر، فيلسوف «نظرية الحرية الوجودية» على ما عداها من جوانب فلسفته الأخرى. كما قد ينفر من أحد أوجه الفا فة وسماتها العامة (الذاتية والروحية) عند أحدهم مع تمييز جوانبها الأخرى من ذلك الوجه. ومن ثم فليس هنالك حكم عام يجمع الناس بمقتضاه على أهمية فيلسوف على من عداه.

الفلسفة: أحكام عامة غير مقيدة

إن الفلسفة: تميزت دون غيرها بعدم وجود أحكام عامة يلتزمها كل محب للفلسفة. فلكل إنسان أن يعشق ما يشاء من وجه النظر العقلي. وليس لأي إنسان أن يفرض فلسفة بكاملها على القارئ. فقد يستسيغ أحد الجوانب دون بقية الجوانب. وقد يحب ناحية في نظرية أحد الفلاسفة دون غيرها. وذلك يعني أنه لا يوجد في الفلسفة فرض عقلي لا يقبل الرفض. ولا توجد نظرية تتفوق على ما عداها: وهذا هو ما يخلق جو الحرية الكامل داخل إطار الفلسفة، فأنت تأخذ منها ما تشاء، وترفض منها ما تشاء، وتقبل ما تشاء، وتلفظ ما لا تطيقه.. وقد ساعد ذلك بالطبع على تقريب الفلسفة من أذهان الجماهير، فهم يقرؤون ما يحبونه، ويلفظون ما لايريدونه. فالفلسفة شأنها شأن أي معارض فكرية، ونماذج من النظر العقلي. يقبل الإنسان منها ما يشاء، ويرفض ما يشاء. وليس ذلك شأن العلم الجاف الذي يفرض على القارئ كل صغيرة وكبيرة فيه.. ولا وجه



للموازنة بين الفلسفة وغيرها من أفرع المعرفة من هذه الناحية. فالمعرفة العلمية الخالصة هي شيء يفرضه البحث ولا يتنازل فيه عن صغيرة أو كبيرة. أما الجوانب الفلسفية فلك أن تقبل منها ما تشاء، وأن ترفض ما تشاء.. وإذا جسد الآن لننظر في الفلسفات الحاضرة وجدناها فلسفات مجموعات بشرية. فالوضعية المنطقية هي فلسفة أمريكا وبعض العالم البريطاني الذي لا يزال في معظمه متمسكًا بالنفعية. أي أن الوضعية المنطقية هي علم تحليل الكلام الذي تقرؤه في أبواب العلم. أما النفعية البريطانية فهي التي تجعل المنفعة العلمية هي صاحبة السيادة على كل المبادئ وكل النظريات.. والماركسية (نسبة إلى كارل ماركس) كانت فلسفة روسيا الشيوعية، وكل ما دار مدارها من الدول الاشتراكية. وفرنسا لا تزال تحبذ «الموداث» العقلية، فهي تطلق عنان أفكار أبنائها من وقت إلى آخر لكي يطلقوا خيالهم بفكر جديد، ونظر عقلي جديد. وسادت (الوجودية) بعد الحرب العالمية الثانية في القرن الماضي من أجل فلسفة الأوضاع العامة، عقب سنوات الخراب في المجتمع المنهوك القوى.. والبنيوية هي المرحلة التالية لهذه الفلسفة الوجودية، بينما ظهرت (موجة الرواية الجديدة)، وتم خلال هذا كله استخلاص فلسفات عامة تبنى على مدارك الناس وتنوعها من فترة إلى أخرى.

> من أندر الأشياء في تاريخ الفلسفة أن يكون ثمة اعتراف كامل بأحد الأشخاص في الفلسفة، ومن أندر الأشياء أيضًا أن يجمع كل المفكرين على الاعتراف بشخص معين من رجال الفلسفة

ما الفلسفة؟ وما دور الفلسفة العربية الإسلامية في المعاصرة؟

والآن، ما هذه الفلسفة التي نسميها، ونتكلم عليها، ولا نعرف لها تعريفًا؟

الفلسفة في نظرنا، وبناء على ما تقدم قوله، هي الشيطنة العقلية، وهي كذلك نوع من شقاوة الفكر في الإحساس النابض بما يجري في حياتنا اليومية. وهي كذلك لأنها تعتمد أكثر ما تعتمد على الإبداع والابتكار، فلكل ما هو إبداع إزاء تفسير الأوضاع وتعديل الوقائع إلى مجالات الفكر هو الفلسفة.. الفلسفة هي الشيطنة العقلية التي يبديها الفيلسوف من أجل الانفراد بطابع معين يسبغه على أبناء وطنه، وينقله إلى كل من يحيط به من أبناء البلد الواحد. فإذا نظرنا في أمرنا، وحاولنا أن نجد لأنفسنا فلسفة معينة، وجدنا أن أهم فلسفة يمكن أن نعطيها لأبنائنا هي (نظرية الوجود الإرادي). لماذا هذه النظرية بالذات؟

هذه النظرية هي خلاصة موقف عقلي نابع من صميم كياننا العربي فكريًا ومعيشيًا. فالسؤال الذي نسأله دائمًا، ويتردد كثيرًا على ألسنة الشباب هو: لماذا نحن موجودون على هذه الأرض؟ وما حكمة وجودنا؟ وما دواعي خلقنا بصورة ليس لنا في تأليفها يد؟

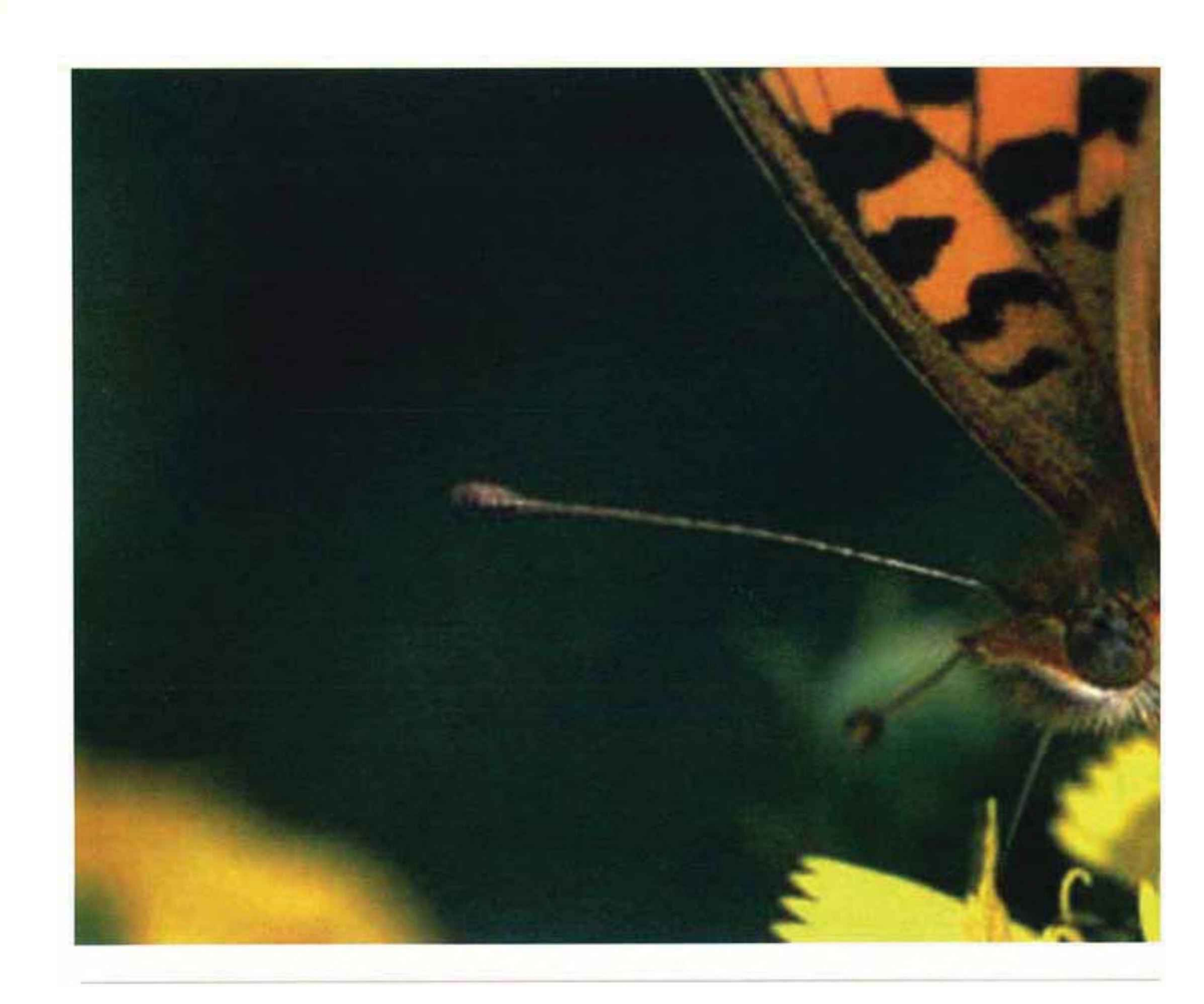
ونظرية الوجود الإرادي، تنص على أن الإرادة غير منفصلة عن الوجود، وتتمثل الإرادة في الوجود بمجرد وجوده، ولمجرد أنه موجود. ولا يظهر الوجود إلا مقترنًا بالإرادة. كما أن الإرادة لا تعني شيئًا إلا إذا تمثلت في صورة وجود. ويكفي أن نقول عن الوجود إنه موجود لنقرر في الحال انعدام العدم، وانعدام العدم في حد ذاته هو مظهر للإرادة. فبغير الإرادة ما كان العدم ليختفي، أعني لينعدم(٤). وليس الوجود شيئًا منفصلاً عن الإرادة؛ لأن الوجود لا يكون إلا بإرادة؛ ولذلك كله تعد الإرادة بمنزلة البديهية التي لا تحتاج إلى برهان.



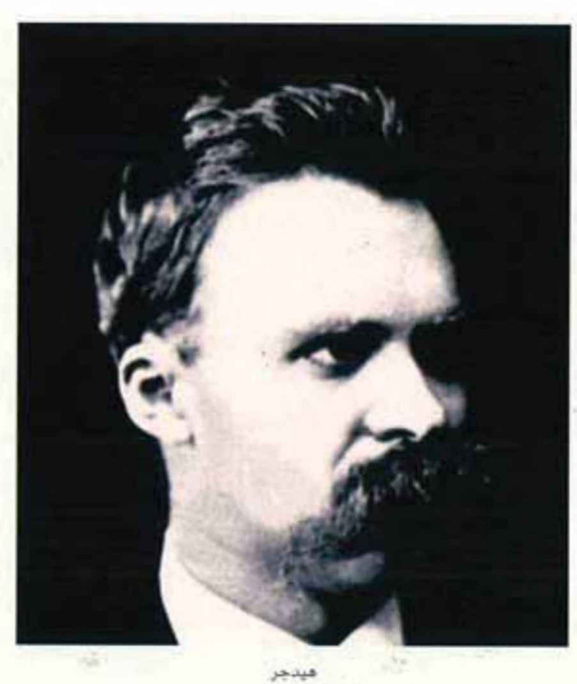
استشعار الجمال ركن من أركان الفلسفة

وإلا كان من الضروري أن نبرهن على أن ما حولنا وجود. ومعنى هذا بعبارة أخرى أن الوجود لا يحتاج إلى برهان: لأن وجوده في حد ذاته بمنأى عن إدراكنا لا يحتمل الصدق أو الكذب. وما لا يحتمل الكذب أو الصدق هو بمنزلة البديهية. وتعدّ الإرادة إذًا بديهية: لأنها لا تحتمل الصدق أو الكذب على نحو مساو تمامًا لقولنا: إن الوجود موجود. هذه النظرية هي أصدق ما يمثل فكرنا: لأننا لم نعتد أن نفرق في نظرتنا إلى الأشياء بين المادي والروحي، أو بين الهيكل والمضمون، أو بين الإرادة والوجود.. لقد انقسم عالم الغرب طويلاً بين ما هو روحي وما هو مادي. أما نحن في بلادنا العربية والإسلامية، وفي عقيدتنا الدينية والاجتماعية فلم ننقسم قط على أنفسنا.

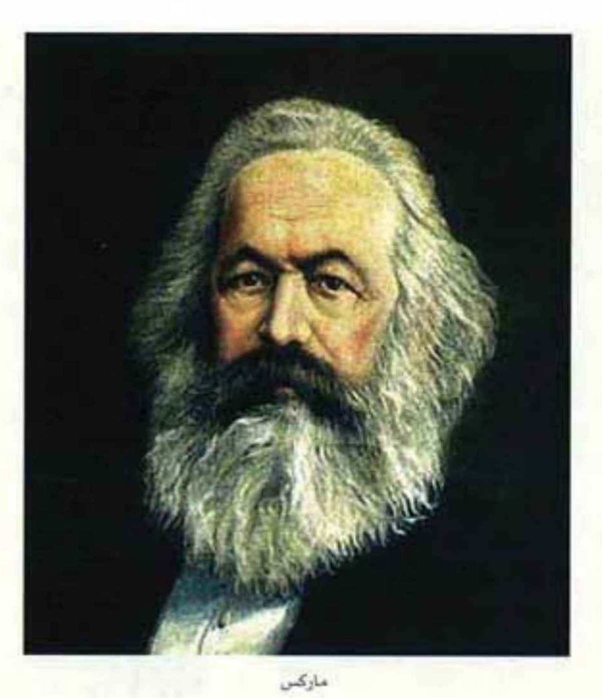
فالعالم المادي هو هو العالم الروحي، وعالم الوجود هو هو عالم الإرادة، ولا يمكن أن ننظر إلى العالم المادي كأنه منفصل أو مناقض للعالم الروحي. وعالم الإرادة لا يناقض عالم الوجود. كأنهما عالمان منفصلان في فضاءين معزولين. والصواب هو أن العالم كله قوى من طبيعة الروح التي نتصورها، والإرادة التي نستشعرها من داخلنا. وفي الموجودات من حولنا. وما الفرق بين الظاهر والباطن منها إلا في طريقة الإدراك واستعداد الحواس. فهما عالم واحد نسمي جانبًا منه بالوجود، ونسمي الجانب الآخر



بالإرادة أو بالروح أو بالباطن. ويكفي أن تعطي الفلسفة للإنسان المعاصر هذا الشعور بالثقة والأمان داخل إطار الوجود. يكفي أن تبرز له الإحساس بأن الوجود ما ظهر إلا بإرادة. وإلا فكيف انعدم اللاوجود. وإلى أين صار. ولم تحاول فلسفتنا العربية الإسلامية أن تقيم الإحساس بالوجود. والإيمان به على أساس مبدأ ذاتي على نحو ما فعل الغرب. و(الكوجيتو الديكارتي) يستمد حقيقته من الكيان الذاتي للإنسان. أما مصادر إيمانه بوجود الإرادة فهي بديهية نستشعرها في كل لحظة. وفي كل أوان على نحو بديهية الحياة والوجود في أن معًا (الكوجيتو الديكارتي) وأعني به الأساس الموضوعي للذاتية التي تستشعر وجودها. وتعكس هذا الإحساس بالوجود على الوجود الخارجي.. هذا (الكوجيتو الديكارتي) يتخطى الوجود من أجل العودة إلى إثباته مرة أخرى. ومن جديد عن طريق وجود الذات وجودًا يقينيًا أي أن (الكوجيتو الديكارتي) يرفض التسليم بمبدأ بديهية الوجود وأوليته.. وأدى هذا المبدأ الديكارتي إلى حدوث انقسام جوهري بين الوجود والماهية في كل الفلسفة الغربية حتى عاد (سارتر) في القرن العشرين فأنهى هذا الانقسام بقوله: «إن الوجود يسبق الماهية» وهو موقف آخر اختطفه سارتر من الموقف الإسلامي. والموقف الأول الذي اختطفه منا هو قوله: إن الحرية هي المسؤولية. وبهذين الموقفين



هيدجر



ماركس

استطاع سارتر أن يغذي وجوديته، وأن يحولها إلى تيار فكري عام، مع أن الموقفين موجودان بقضهما وقضيضهما في الفلسفة العربية الإسلامية. بل إن سارتر لم يستطع أيضًا بما قاله عن الماهية والوجود أن يتجاوز التفرقة بين الماهية والوجود، لأنه أعطى الوجود أسبقية على الماهية. وهذه ثنائية ترفضها الفلسفة العربية الإسلامية في الوجود الإرادي التي تجعل الوجود هو نفسه الإرادة، وكلاهما أولية أو بديهية واحدة يتلقفها العقل والوجدان في أن معًا، وفي لحظة واحدة. نحن نكتشف الوجود مجرد الوجود كمعنى من معاني الإرادة الماثلة في الكون والممتدة في الوجود، وفي الموجود معًا.. وهو، أي: موجود.. الموجود الموضوعي كالمرئيات والمدركات أو الموجود الذاتي كالجماعة والأفراد.. وبهذه النظرة لا يكون لدينا أي إحساس بالثنائية أو الازدواج، وهو ما عاناه الفكر الغربي سنوات وس نوات.. الوجود عندنا إرادة؛ لأنه وجود في ضرورات وأحكام تنبعث الإرادة تلقائيًا، وما نسميه الحياة هو الوجود والإرادة معًا.. الوجود هو الإرادة؛ لأنه بغير ذلك يمتنع الوجود نفسه. ويصبح بذلك مستحيلاً أو محال الوجود هو الإرادة وإلا لامتنع وجود الوجود نفسه، فالوجود إرادة إفناء العدم والقضاء عليه.. إن الوجود ذاته يحمل في ذاته إرادة استحالة العدم، ويحمل معنى انعدام العدم. والوجود لو ظهر بغير الإرادة لكان دوزا وخلطًا حيث لا تفهم عندئذ بأي وجه من الوجوه الضرورات والقيود والأحكام.. وإذا اتسق هذا كله في مفهوم واضح حققت نظريتنا جانبًا مهمًا، وهو جانب التناسق الذي يتحقق عن طريقه اكتمال الذوق والإحساس الجمالي البديهي.. واستشعار الجمال ركن من أركان الفلسفة تحاول أن تزود به الوعي والعقل جميعًا ولا تركن النفس إلى الجمال إلا بعد عناء، وإذا أمكن للفلسفة أن تشعر الإنسان بمبدأ التساوق الفكري والنفسي، أفضى بنا هذا

كله إلى الإحساس الفني بقيمة الحياة وهو أول إحساس يستقيه الإنسان من معنى الوجود. هذه هي الفلسفة وهذا هو الإنسان. ولو استطاعت الفلسفة أن تخلق جسرًا تنتقل به بنفسها إلى الإنسان لكان هذا أعظم انتصار في عالم الروح. أعني في عالم المادة الذي نعيش فيه ليلنا ونهارنا. ولا نرى كل ما يتحفنا به من ذخائر وكنوز.

المراجع والهوامش

1. تكنولوجيا السلوك الإنساني، تأليف ب.ف سكينر. ترجمة: د. عبدالكريم أحمد. القاهرة.1990م. ص25.
2. بحث الفلسفة الأخلاقية، تأليف برنارد وليامز. ترجمة: كامل يوري. بيروت 1992م، ص80.
3. الفيلسوف شبنهور، الفرق بين الفرد والشخصية. تأليف كريسون أندريه، ترجمة: أحمد كوني. دار بيروت للطباعة 1990م، ص75.
4. فلاسفة من الشرق والغرب، د. مصطفى غالب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1995م.
5. سيمون دي بوفوار، كاتبة فرنسية «الفكرة والمرأة الوجودية»، حوار في مجلة الهلال المصرية، أول سبتمبر 1985م، ص85.
6. اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، 1979م، ص90.

❖ نيتشه فردريك (1844 - 1900م)، ولد بمدينة ريكن في بروسيا. وقد أثر تأثيرًا عميقًا في فلسفة القارة الأوربية وأدبها، وخاصة في ألمانيا وفرنسا. غير أنه لم يكسب في العالم الذي يتكلم الإنجليزية. وكان له تأثير في الوجوديين وأصحاب التحليل النفسي، ومع أن الدين والأخلاق هما اللذان يكوّنان اهتمامات نيتشه التي تأتي في المقام الأول، فقد جارف أيضًا بالتعرض لنظرية المعرفة والميتافيزيقا (الموسوعة الفلسفية المختصرة. مكتبة الأنجلو المصرية 1967م، ص374).

❖ برجسون، هنري لويس. فيلسوف فرنسي معاصر (1859 - 1941م) ولد بباريس من أصل إنجليزي. ثم حصل على الجنسية الفرنسية. عين أستاذًا للفلسفة (بالكوليج) منذ عام 1900م. انتخب عضوًا بالأكاديمية عام 1914م، وفتح جائزة نوبل في الأداب عام 1928م. تشمل مؤلفاته «الزمن والإرادة الحرة»، «المادة والذاكرة»، «التطور الخلاق»، «الضحك». وقد كتب برجسون مؤلفاته بأسلوب غير اصطلاحي متدفق، وتتجلى في مؤلفاته معرفة واسعة بما كان سائدًا في عصره من نظريات في علم الحياة وعلم النفس. كما تتجلى فيها قوة عاطفية بلغت أحيانًا حد القدرة على الرؤيا. إلا أن غيره من الفلاسفة قد أخذوا عليه أنه يكتب مستخدمًا مجازات لا يقدم لها شرحًا. وأنه يفتقر إلى العرض الصارم للأفكار الرئيسة وخصوصًا فكرتي «الديمومة» و«الدافع الحيوي» والدعوى القائلة إنها شيء واحد.. «دائرة المعارف الحديثة» الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو المصرية، أحمد عطية الله، 1979م.

❖ هيدجر، مارتن 1889م فيلسوف ألماني، يعد في أوساط واسعة الانتشار الممثل الرئيس للوجودية، درس الفلسفة على يد أستاذه (هوسرل) وفي كتاب هوسرل السنوي ظهر عمل هيدجر الرئيس أول مرة عام 1927م. ويعد أستاذًا في إثارة النفوس، ثم في الإبقاء على شعور الارتقاب عند القارئ «الموسوعة الفلسفية المختصرة» المرجع السابق.

❖ جان بول سارتر. فيلسوف فرنسي، مؤسس المدرسة الوجودية، ومنهج التحليل النفسي الوجودي، الذي قصر له فصلاً في نهاية كتابه الفلسفي (الوجود والعدم) عام 1943م، والذي وضع فيه مبدأه القائل «إن الإنسان كلي وليس مجموعًا ومن ثم فهو يعبر عن نفسه بكليته في أكثر تصرفاته سطحية وأكثرها تفاهة. وبعبارة أخرى ليس هناك ذوق أو عادة أو عمل إنساني لا يكون كاشفًا (اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر)، نهاد التكرلي، عام 1979م، ص92.

❖ ديكارت، رينيه، فيلسوف فرنسي (1596 - 1650م) ولد بقرب مدينة تور، اشتغل بالفلسفة في سن الثالثة والعشرين عندما أخذ يفكر في أوجه تطبيق القواعد الرياضية على الفلسفة. أشهر مؤلفات ديكارت التي أبرزت له مكانًا في تاريخ الفلسفة «تأملات في الفلسفة الأولى، مبادئ الفلسفة، مقال في المنهج» ويعدّ ديكارت أبا الفلسفة الحديثة إذ اتخذ الرياضة أساسًا لقيادة الفكر نحو الحقيقة، ومن مبادئه أنه لا يجوز أن نقبل شيئًا على أنه حق إلا إذا عرفناه في وضوح لا يقبل الشك، في البحث عن الحقيقة يجب أن نبدأ بالأبسط المعروف وننتهي إلى الأكثر المعقد، ومن بديهياته الفلسفية قوله «أنا أفكر فأنا إذن موجود» وعلى هذا الأساس برهن على وجود الله. وإلى جانب هذا اشتغل ديكارت بالرياضة التحليلية، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم البصريات. (دائرة المعارف، أحمد عطية الله، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979م).

❖ ماركس، كارل (1818 - 1883م) ولد بمدينة ترير في ألمانيا، وتوفي بمدينة لندن. ولم يكن ماركس فيلسوفًا في بداية الأمر، وتركزت شهرته في جهده الهائل للكشف عن القوانين التي تتحكم في سلوك الناس في المجتمع وصياغتها. وفي خلقه لحركة قدر لها أن تغير حياة الناس لتلائم تلك القوانين. كان عالمًا في الاجتماع والاقتصاد، وثوريًا نشيطًا. دخلت الفلسفة في نظريته العامة عن الإنسان لا بوصفها دراسة مستقلة، بل بوصفها عنصرًا من عناصر تلك النظرية. والفلسفة الماركسية المعروفة في يومنا هذا هي مزيج مركب من المخطوطات المنشورة وغير المنشورة التي كتبها ماركس نفسه. ومن أهم مؤلفاته كتاب رأس المال وله كتب كثيرة في الاقتصاد والاجتماع والفلسفة «الموسوعة الفلسفية المختصرة» المصدر السابق ص85.



عندما تؤكل البذور:

مفهوم البنك الدولي الجديد حـ

ول الرخاء العالمي

غسان أبو السعود

عمان ـ الأردن

ليس ثمة إنسان عاقل يأكل البذور؛ لأن ذلك يعني فقدان الحصاد مستقبلاً، ولا أن يدمر التربة التي سينمو فيها غذاء أطفاله. هذه المقولة تتردد هذه الأيام في النقاش المتزايد حول التنمية المطردة بوصفها مهمة عالمية، وقد امتد هذا النقاش ليشمل قطاعات جوهرية في التحليل الاقتصادي الكلي وصياغة السياسات. وهناك دراسة مثيرة للاهتمام أجريت مؤخرًا(*)، قام البنك الدولي فيها بطرح طرق جديدة لتحديد معنى الرخاء والادّخار الجدي، وهذا التفكير الجديد يمكن أن يكون له أبعاد طويلة المدى على برامج الإصلاح الهيكلي والسياسة الاقتصادية، ليس في دول الجنوب فحسب، بل على نطاق العالم كله.

يبدأ تحليل البنك الدولي بالمعادلة التقليدية المتعلقة بحجم ادخارات الدولة، وبمنأى عن العلاقات التبادلية مع الدول الأخرى، يمكن استخدام الشكل التقليدي للحسابات القومية بناءً على المعادلة الآتية: الادخارات: تساوي قيم الإنتاج لفترة ما مطروحًا منها قيم عطب الآلات المنتجة له وتلفها (الاهتلاك).

فإذا ما كانت قيمة الإنتاج أعلى من مجموع الاستهلاك والاهتلاك فإن البلاد ستملك موجودات جديدة متراكمة، وهذا يعني أنها ستصبح أغنى.

غير أن هذه المعادلة يمكن أن يكون لها نتيجة سلبية أيضًا، إذ يحدث ادخار سالب عندما تكون قيمة الإنتاج أدنى من مجموع الاستهلاك القومي واهتلاك وسائل الإنتاج، وينتج من ذلك تمويل النقص من الموجودات، لذلك في نهاية الفترة تصبح البلاد أشد فقرًا موازنة مع بداية الفترة بعدما تم استهلاك جزء من رخائها الأصلي.

والمفهوم الجديد للبنك الدولي يذهب خطوة أبعد من ذلك، فعلى غرار اهتلاك الآلات يجب الآن حسم كلفة استهلاك الموارد الطبيعية من الأداء الاقتصادي الإجمالي؛ وذلك لغرض معرفة الادخارات الحقيقية للبلاد، وإلا فسوف يتم إدخال استهلاك الأصول بشكل خاطئ لكونه دخلاً، وليس على أساس أنه (ادخار سالب)، ومثل هذا الأمر سوف يقود إلى البرمجة المسبقة لأحكام خاطئة خطيرة في قرارات السياسة الاقتصادية.

ولتوضيح هذه الفكرة لنفترض أنك قد ورثت قطعة أرض مغروسة بأشجار الزيتون، ومأخوذًا بالرخاء الجديد الذي أصابك قمت باقتلاع الأشجار وبيعها، ومع أنك تستطيع استخدام هذه العوائد لزيادة استهلاكك إلاّ أن المال الداخل في جيبك لا يعدّ دخلاً حقيقيًا، بل مجرد استبدال للموجودات، وفي ذلك استهلاك لرأس مالك الطبيعي، أي أشجار الزيتون، وإذا قمت باستثمار هذه الأموال، وفي وقت لاحق قمت بنقل موجوداتك لأطفالك، فإن ذلك يوصف بأنه اطراد ضعيف، أما إذا أبقيت الأشجار في الأرض، ولم تقتلعها، فإن ذلك يسمى اطرادًا قويًا، وعندها فقط نستطيع وصف العوائد المتأتية من بيع ثمار الزيتون (وليس من بيع الأشجار) على أنها دخل، وإذا ما أخذنا

ضرب الجفاف والتصحر أنحاء كثيرة من العالم

النمو العالمي للسكان في الحسبان فإن تصرفك سيكون تصرفًا أكثر مسؤولية إذا ما استخدمت جزءًا من الحصاد لزرع أشجار زيتون جديدة.

حسابات البنك الدولي

إن التعرف إلى الادخار الحقيقي يحتاج إلى تقويم الاستهلاك الطبيعي بقيم نقدية. وفي التعامل مع هذه المهمة فإن الاقتصاديين مازالوا في مرحلة تمهيدية، والطرائق المنهجية المختلفة السائدة حاليًا أدت إلى نتائج مختلفة على نطاق واسع. ولكن الخبراء يتفقون على أن المستوى النقدي لا يمكنه سوى تسجيل جزء صغير من القيمة الكلية المتعددة الأبعاد. ومع ذلك كله فمن الممكن تطبيق تقديرات واقعية بدلاً من قيمة الصفر التي يقوم التحليل الاقتصادي الحالي بإعطائها عند تقويمه لمقدار الاهتلاك في رأس المال الطبيعي.

ويغطي الاستهلاك الطبيعي ثلاثة مواقع جوهرية هي:

- تضاؤل الموارد غير المتجددة مثل الفحم والحديد الخام.
- استخدام الموارد المتجددة بمعدل يتجاوز معدل النمو الطبيعي لتلك الموارد مثل المخزون من الأسماك والمياه الجوفية، والأخشاب.

. التدهور البيئي مثل تدمير التربة وانجرافها، وتلوث الجو.

غير أن التقويم للاستهلاك الطبيعي الذي يصفه البنك الدولي بشكل واضح بأنه حسابات مؤقتة ينحصر بعناصر قليلة جدًا هي:



. قيمة الموجودات للموارد غير المتجددة المبيعة بما فيها الأخشاب الاستوائية.

. تقاضي أجرة إضافية مقابل التلوث قيمتها عشرون دولارًا أمريكيًا لكل طن منبعث من غاز ثاني أكسيد الكربون.

وفيما يخص الموارد غير المتجددة يفترض البنك الدولي أن كلفة استخراج المواد الخام وتسويقها بما فيها الفائدة على رأس المال الموظف تمثل ما معدله نصف أسعار السوق العالمية. أما النصف الآخر من العوائد فلا يتم النظر إليها كدخل بل كقيمة للموجودات الطبيعية المبيعة.

المعطيات الإقليمية

لقد قام البنك الدولي بحساب معدل الادخارات الحقيقي لدول العالم كافة تقريبًا خلال فترة عشرين عامًا (١٩٦٩ إلى ١٩٩١م) مستخدمًا في تحليله معدل الادخارات المحلي، الذي يعدّ أكثر أهمية من المجموع الـ"ق: لأن حجم الادخارات يعدّ جزءًا من الناتج المحلي الإجمالي. فكانت المعطيات محبطة، وخاصة في بعض المناطق في دول الجنوب.

ولقد كانت منطقة شبه الصحراء الإفريقية أسوأ المناطق في هذا المجال، حيث لم يتجاوز معدل ادخاراتها الحقيقية ٥٪. وفي نهاية الثمانينات هبطت قيمته إلى ما دون الصفر لتصل إلى نسبة ١٢٪، وهذه تعدّ نتيجة مرعبة. واعتمادًا على التعريف السابق، فإن معدل الادخارات السلبي يعني انعدام وجود استثمارات صافية، وأن البلاد تأكل رأس مالها، وتقتات على بذورها. فأكثر من ١٠٪ من استهلاك المنطقة غير مستند إلى الدخل الذي يتم كسبه بشكل منتظم، بل على استهلاك الموجودات.

كذلك فإن معدل الادخارات الحقيقي لمجموعة الدول المصدرة للمواد الخام، باستثناء الدول المصدرة للوقود، هو معدل مثير للقلق بالدرجة نفسها. فمع انطلاقة أزمة الدين هبط المعدل إلى ما دون الصفر بكثير. وفي بداية التسعينيات هبط إلى ١٠٪. أما سيناريو الدول الأكثر فقرًا والأقل تنافسًا على النطاق العالمي فقد اتصف أيضًا بالتدهور. وعلى نحو مستمر بسبب افتقار تلك الدول إلى بدائل التصدير. فلم يكن أمامها من سبيل سوى بيع ثرواتها الطبيعية. وذلك يعني أن القواعد الإنتاجية لتلك الدول هي في حالة تناقص وانكماش في الوقت الذي يزداد فيه عدد سكانها.

كذلك كان معدل الادخارات في أمريكا اللاتينية والكاريبي في المنطقة السالبة بحلول نهاية الثمانينيات. وطبقًا لتقديرات البنك الدولي فإن هذه الأرقام الحمراء قد تبلورت مع بداية أزمة الدين. وتفسير ذلك أن العبء المتنامي للدين الخارجي قاد إلى استغلال أكبر للموارد الطبيعية مما أدى إلى حدوث انخفاض في معدل الادخارات الحقيقي. فالديون كانت تُخدم عن طريق صادرات رأس المال الطبيعي، وليس الدخل المكتسب. أما في منطقة جنوب آسيا فقد كان معدل الادخارات في الثمانينيات إيجابيًا، إلا أنه لم يتجاوز أبدًا نسبة ٥٪. وبالمقابل ارتفاع معدل الادخارات لشرق آسيا خلال الفترة نفسها إلى أكثر من ١٠٪ ويُعزى ذلك إلى حصول توسع في الإنتاج الصناعي، وليس إلى عدّ استغلال الموارد الطبيعية نموًا.

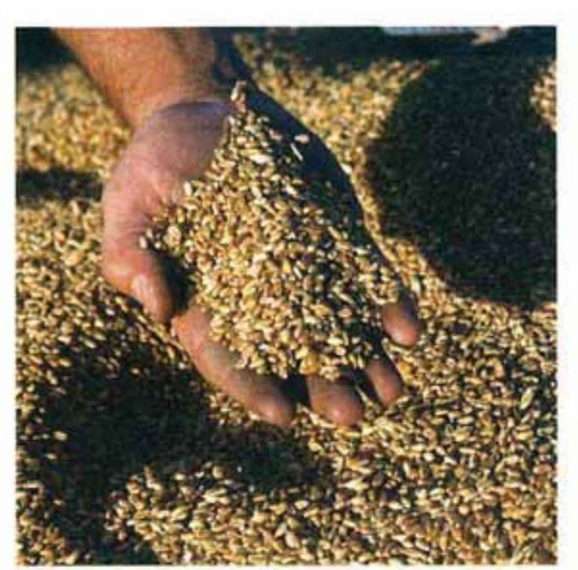
النتائج على السياسة الاقتصادية

إن معدلات الادخار السلبية للكثير من الأقاليم تجبرنا على عمل إعادة تقويم لإستراتيجيات التنمية التقليدية، فعند إلقائنا نظرة على غانا مثلاً، بوصفها مثالاً لسياسة الإصلاح الهيكلي، فإنها تُظهر مدى الحاجة إلى إجراء تغيير في معايير النجاح الحتنية لمثل هذه السياسات. ففي الفترة ما بين ١٩٨٥و١٩٩٠م بلغت







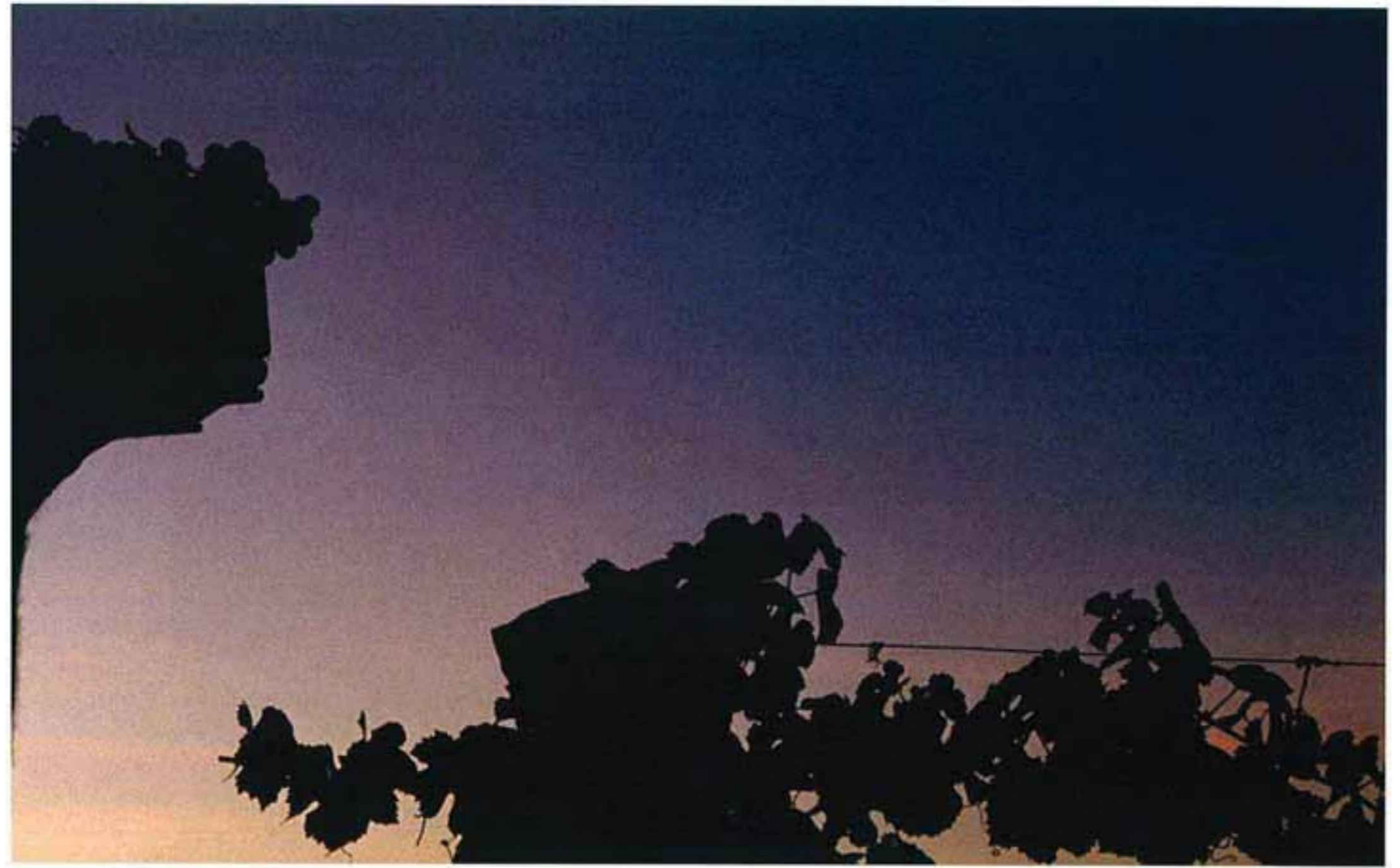


أكل البذور يعني فقدان الحصاد مستقبلاً

الاستثمارات الإجمالية للبلاد ١٤٪ من الناتج المحلي الإجمالي. وتحققت النسبة نفسها تقريبًا في القيمة الأصولية للمبيعات من الموارد الطبيعية. ولكن إذا ما أخذنا في الحسبان الانخفاض في قيمة المعدات الرأسمالية وتوسع الدين الخارجي، فإن ذلك سيعطي ادخارات سلبية بنسبة ١١٪ من الناتج المحلي الإجمالي.

ولذلك فإن غانا، وهي المثال المحمود كثيرًا، بعيدة كل البعد عن تحقيق هدف الاطّرادية، إذ يتم استثمار ما نسبته ٢٠٪ فقط من قيم موجوداتها من الموارد الطبيعية التي يتم تصديرها أساسًا، وخاصة الذهب والأخشاب الاستوائية. أما الباقي فيتدفق إلى استهلاك متكرر، ويعمل على تراجع قاعدة الغد الإنتاجية. وإذا ما ألقينا نظرة متفحصة على هذه الأمور، فإن النجاحات السطحية للإصلاح الهيكلي الناتج من تجاهل الاستهلاك الطبيعي هي نجاحات مقلوبة في حقيقة الأمر. وأن حالة غانا تشير إلى حالات قصور أساسية في برامج الإصلاح التي ينتهجها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، والتي غالبًا ما تكون معتمدة على استهلاك رأس المال الطبيعي.

كذلك توضح حالة غانا أن النظام الدولي الحالي المتعلق بميزان المدفوعات غير مناسب إذ يتم إدراج عوائد الصادرات من مبيعات رأس المال الطبيعي على أنها دخل منتظم، وفي الواقع يجب أن تدرج على أنها استبدال للموجودات، ومع استبدال الموجودات فإن المؤشر المضلل على نجاح الإصلاح الهيكلي للكثير من الدول سيتقلص، لما سيحدثه ذلك من تغييرات في الميزان التجاري الخارجي لتلك الدول، والإصلاح المطلوب في الحسابات سوف ينتج منه قصور واسع في ميزان المدفوعات خاصة للدول المصدرة للمواد الخام، وهذا سيُظهر التركيبة الحقيقية للتدفقات النقدية عبر الحدود في الكثير من دول الجنوب، فوارداتها ليست ممولة من قبل الدخل المتواتر من الصادرات، بل من بيع بذورها.

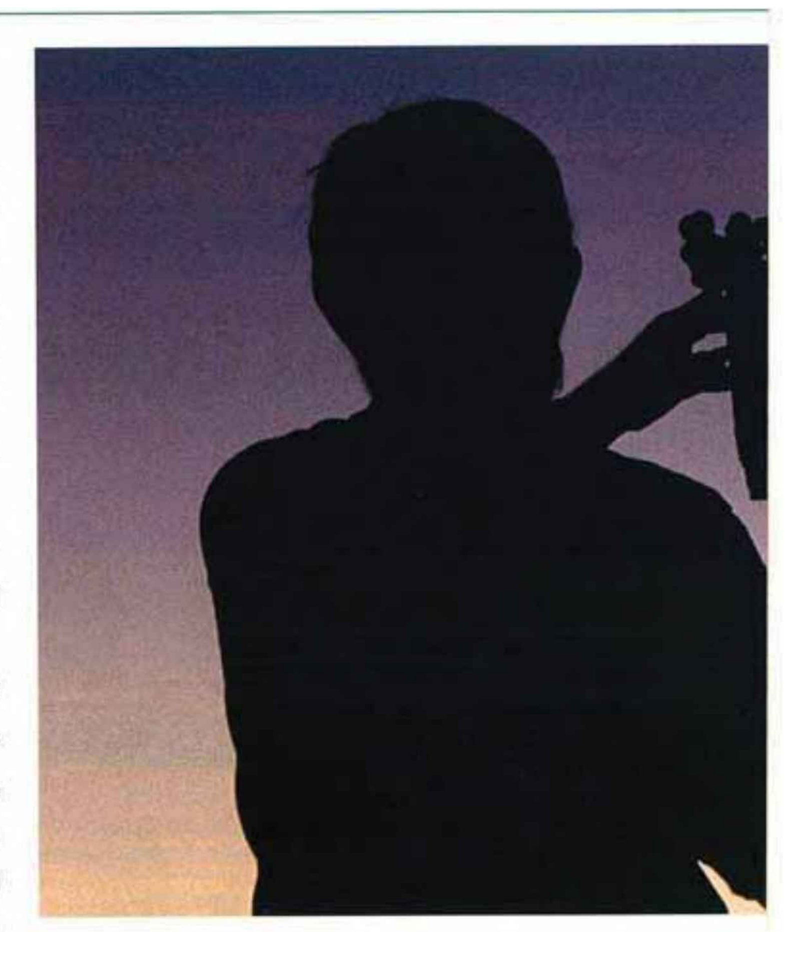

الإنسان في صراع مع الطبيعة

فرص ومحددات هذا الأسلوب

يؤكد البنك الدولي بشكل متكرر، أن حساباته للادخارات الحقيقية تتصف بالطابع التجريبي إلى حد كبير، فتصميمها وقواعدها الإحصائية يتوجب مراجعتها وتوسيعها بشكل مستمر. ولكن حتى النتائج الأولية المؤقتة تعطينا حافزًا مهمًا إلى إيصال النقاش الدائر حول التنمية المطردة إلى الحقائق الأساسية، وفي الوقت الحالي يمكن تلخيص إمكانات ومحددات هذا الاتجاه بما يأتي:

. مع أن التقويم النقدي مفيد في تحسين قاعدة البيانات الاقتصادية، إلا أنه لا يذكر سوى القليل حول القيمة الشاملة للموارد الطبيعية لدى مالكيها، فالأبعاد الجمالية والثقافية والدينية والروحية للطبيعة كالأماكن المقدسة - على سبيل المثال - لا يمكن قياسها بالأرقام، لذلك فإن التقويمات النقدية لا يمكنها سوى تسجيل جزء قليل من الخسائر الناجمة عن استهلاك الموارد الطبيعية، وهذا الأمر يتضح على وجه الخصوص مع الأحداث التي لا يمكن عكسها، مثل انقراض الكائنات الحية.

. تقديرات البنك الدولي تختصر العملية المفصلة والمكلفة للاحتساب الشامل للاقتصاد البيئي إذ تتناول فقط عدد البلدان، إضافة إلى أن التدهور البيئي الحالي الواسع الانتشار يُغطى بشكل غير كفي بالرسوم الزائدة المفروضة على انبعاثات ثاني أكسيد



الكربون. كما أن رأس المال الطبيعي الذي يأخذ شكل الوسط البيني عبر التربة والمياه والهواء يتعرض للضرر بطرائق مختلفة نتيجة للنشاط الإنساني وتنخفض قيمته الاقتصادية تبعًا لذلك. ومن الأمثلة على ذلك فقدان خصوبة التربة بسبب التلوث والحموضة والملوحة والتعرية والزحف العمراني. وتسميم البيئة بالمياه العادمة المستخدمة في تحليل المواد الخام المعدنية، وتدمير أنظمة المياه الساحلية بسبب الزراعة المعتمدة على الكيماويات.

وبالإدخال الشامل لهذه الأشكال من استهلاك الموارد الطبيعية فإن معدلات الادخار الحقيقية يجب أن تصحح جذريًا وعلى نطاق عالمي.

. هنالك حاجة ملحة إلى تنقية الأسس المنهجية لاحتساب الرخاء والادخارات. فمن جانب يجب أن تضع في الحسبان مسألة تقويم رأس المال الطبيعي والتغيرات في مخزونه. ومن جانب آخر فإن التقويم النقدي لرأس المال الاجتماعي أصبح بؤرة للاهتمام الدولي؛ لأن التماسك الاجتماعي والشبكات الاجتماعية ينظر إليها بشكل متزايد على أنها عوامل إنتاج مهمة. وبمساعدة هذين المؤشرين الرئيسين للتنمية المطردة يمكن معالجة قضية إعادة تصميم السياسات الاقتصادية والاجتماعية في كل من دول الشمال والجنوب.

المراجع

* للاطلاع على المزيد حول هذه الدراسة انظر المرجع رقم (١).

1- David Reed (ed) Structural Adjustment, the Environment, and Sustainable Development. Earthscan Publications. London. 1998.

2- Shobha Reghuram, Heiko Sievers Vindo Vyasulu (Pub). Structural Adjustment Economy Environment- Social Concerns. New Delhi Macmillan. 1995.

3- D + C Development and Cooperation. "Development Reports: Models for the world of Tomorrow" No. 3/1999. May/Jun. Germany.

4- Uwe Holtz. D + C Development and Cooperation "Towards a New Development Paradigm" No. 6/1995. November/ December. Germany.





المجتمع القرطبي في القرن الـ



عبدالقادر بلمعلم أحدو

تطوان – المغرب

من الملاحظ في الدراسات التاريخية حول الأندلس عامة وعصر الطوائف خاصة أن التاريخ السياسي حظي بنصيب الأسد من اهتمامات الباحثين. في حين أن المجتمع لم يحظ بعد بالدراسة التي يستحقها، وخصوصًا في عصر الطوائف. هذا العصر الذي يتميز بتعقد خاص وتشابك متميز يتجلى في خصوصيته واتسامه بظواهر وميزات تختلف عن العصور الأندلسية الأخرى.

وهناك الكثير من الأعذار التي ينتحلها بعض الدارسين لتفسير عدم العناية الكافية بدراسة المجتمع الأندلسي خلال عصر الطوائف. أهمها قلة المعلومات وتشتتها في مختلف المصادر الأندلسية. سواء كانت تاريخية أو أدبية أو فقهية أو غير ذلك. وعدم وجود دراسة شاملة ومعمقه للمجتمع الأندلسي خلال عصري الإمارة والخلافة لكي يتسنى للمختصين دراسة المجتمع في عصر الطوائف هذه الدراسة الشاملة التي يمكن أن تشكل الأساس الذي يمكن الاعتماد عليه.

انطلاقًا من هذه الأهمية التي يتميز بها البحث في المجتمع، سنحاول تسليط بعض الأضواء على المجتمع القرطبي خلال عصر دول الطوائف. ولا تخفى علينا أهمية المشكلات التي تطرحها دراسة موضوع محدد زمنيًا ومكانيًا كهذا، وذلك بسبب قلة المعلومات وتناثرها وصعوبة ضبط كل الفترة الزمنية، على الرغم من أنها تظهر للوهلة الأولى فترة زمنية قصيرة لا تتعدى قرنًا من الزمن.

ولدراسة الموضوع اعتمدنا على بعض المصادر المهمة وفي مقدمتها «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسّام (ت ٥٤٢هـ) و«البيان المغرب» لابن عِذاري (ت نحو٦٩٥هـ) ونصوص ابن حيان (ت٤٦٩هـ) المنقولة في البيان والذخيرة، و«طوق الحمامة» لابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، إلى جانب بعض المصادر المتأخرة الأخرى كـ «الإعلام» للسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ)، و«نفح الطيب» للمقّري (ت ١٠٤١هـ)، و«جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» لأبي عبدالله محمد بن فتوح الحميدي (ت ٤٨٨هـ) ، و«المُغرب في حلى المَغرب» لابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ)، و«الحلل المُوشّية» لمؤلف مجهول. هذا إلى جانب بعض الدراسات المتخصصة وفي مقدمتها كتابات الدكتور محمد بن عبود حول التاريخ الأندلسي في عصر الطوائف، والدكتور أحمد الطاهري والدكتور عبد الوهاب خلاف.

أما كيفية تصورنا لدراسة الموضوع، فإننا سنقوم قدر المستطاع بتجنب المنهجية الوصفية للمجتمع القرطبي في عصر الطوائف، وهذا لايدل على أن هذه الطريقة عديمة الأهمية أو سهلة، بل بالعكس فإن محاولة رصد ملامح هذا المجتمع المختلف الجوانب تتطلب مجهودًا كبيرًا. وهكذا فإننا سنحاول تجنب المنهج السردي الخالي من أي حسٍّ إشكالي: وذلك بمحاولة الوقوف عند أهم النقط والمحطات التي تثير النقاش والتساؤل بخصوص المجتمع القرطبي.

إذًا فدراستنا لهذا المجتمع لن تكون وحدة خاصة لها

بداية ونهاية، ولكن ستكون تساؤلات وطرح إشكاليات تكشف النقاب عن الكثير من الجوانب التي يمكن أن تثير النقاش، وتفتح آفاقًا جديدة أمام البحث والدراسة، وسوف يتضح انطلاقًا من هذا العرض المتواضع أننا ربما سنقصِّر في حق دراسة بعض المصادر، وذلك راجع إلى أننا حاولنا ألا نأخذ من كل مصدر عددًا كبيرًا من النصوص، بقدر ما حاولنا أن نأخذ النص الذي يهمنا ويتماشى مع الزاوية التي اخترنا أن ندرس الموضوع انطلاقًا منها. كما أن تكثيف العرض بقدر كبير من الاستشهادات النصية ربما يحد من قدرة الباحث الاستنتاجية ويطغى عليه، لدرجة أنه، مع وفرة هذه النصوص، قد يقبل التسليم بما جاء فيها دون مناقشة وإبداء رأي خاص ومختلف.

وعلى أي حال فإننا لا نقول: إن هذه المنهجية هي الأصح، ولكن على الأقل أنها يمكن أن تساهم في خلق النقاش، وتساعد على تعوّد طرح الأسئلة عند البحث في موضوع معين.

بعض الأسئلة التي يطرحها الموضوع

إن دراسة المجتمع القرطبي خلال القرن الخامس الهجري، تعترضها عدة مشكلات، وذلك راجع إلى الخصوصية التي تميز بها هذا القرن، والمتمثلة بالأساس في كونه عرف ظاهرة فريدة تمثلت في انهيار دولة إلى مجموعة من الدول الطائفية. ومن هذا المنطلق فإن دولة قرطبة الطائفية بدورها تتميز بعدة خصائص تتجلى في التطورات التي عرفتها خلال هذا القرن، هذه التطورات التي تتجلى في تعاقب عدد من الحكام عليها في فترة وجيزة لم تتجاوز القرن من الزمن.

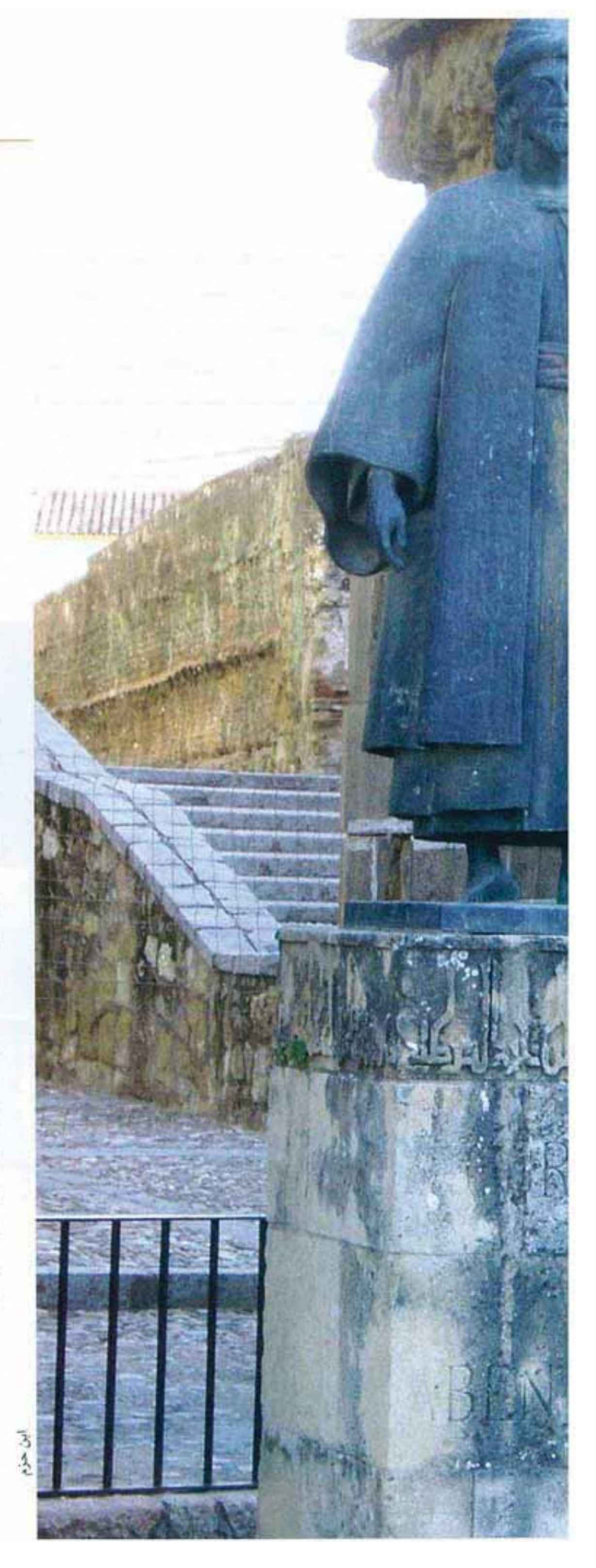
وهكذا نرى أن أي محاولة للبحث في المجتمع القرطبي في هذه الفترة تحمل معها عدة تساؤلات، منها مثلاً: هل يمكننا أن ندرس المجتمع القرطبي

خلال القرن الخامس الهجري قبل أن ندرس المجتمع الأندلسي ككل؟ سواء من الناحية الزمنية، والمقصود هنا دراسة المجتمع الأندلسي خلال الفترات التي سبقت هذا القرن (فترتي الإمارة والخلافة)، أو من الناحية المكانية، وهي دراسة هذا المجتمع في جميع المناطق التي تدخل ضمن إطار الدولة الأندلسية.

وفي هذا الإطار نسوق بعض الأسئلة المهمة التي طرحها الدكتور محمد بن عبود في كتابه «مباحث في التاريخ الأندلسي ومصادره»(١)، وهي: هل يتعلق الأمر بمجتمع واحد أو بمجتمعات متعددة؟ وهل كان المجتمع الأندلسي في عهد بني أمية هو المجتمع الأندلسي في عهد دول الطوائف؟ وهل كان المجتمع الأندلسي في قرطبة خلال عهد الطوائف مثلاً، مماثلاً للمجتمع الأندلسي في إشبيلية أو شلب أو غرناطة ...؟ ومن ناحية أخرى نجد بعض الدارسين، ومنهم ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ الدكتور محمد عبدالوهاب خلاف في كتابه «قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي ـ الخامس الهجري» (٢) يقسمون تاريخ قرطبة في القرن الخامس الهجري إلى عهود متعددة: أولها فترة الفتنة ثم عهد بني جهور وبني عباد وأخيرًا فترة حكم المرابطين.

انطلاقًا من هذا التقسيم تطرح علينا عدة أسئلة منها: هل يمكن القول إن المجتمع القرطبي في القرن الخامس الهجري هو مجتمع واحد خلال هذه الفترات أم هو يختلف حسب كل فترة؟ وهل يمكننا التحدث عن مجتمع قرطبي في فترة الفتنة وفترة حكم بني جهور؟ وعن مجتمع إشبيلي في فترة حكم بني عباد لأن قرطبة صارت جزءًا من دولة إشبيلية الطائفية؟ ومجتمع مرابطي لأن قرطبة صارت إحدى مدن المرابطين؛ وذلك بعد ضم الأندلس إلى حكمهم؟

يتضح لنا من خلال هذه الأسئلة أن محاولة البحث

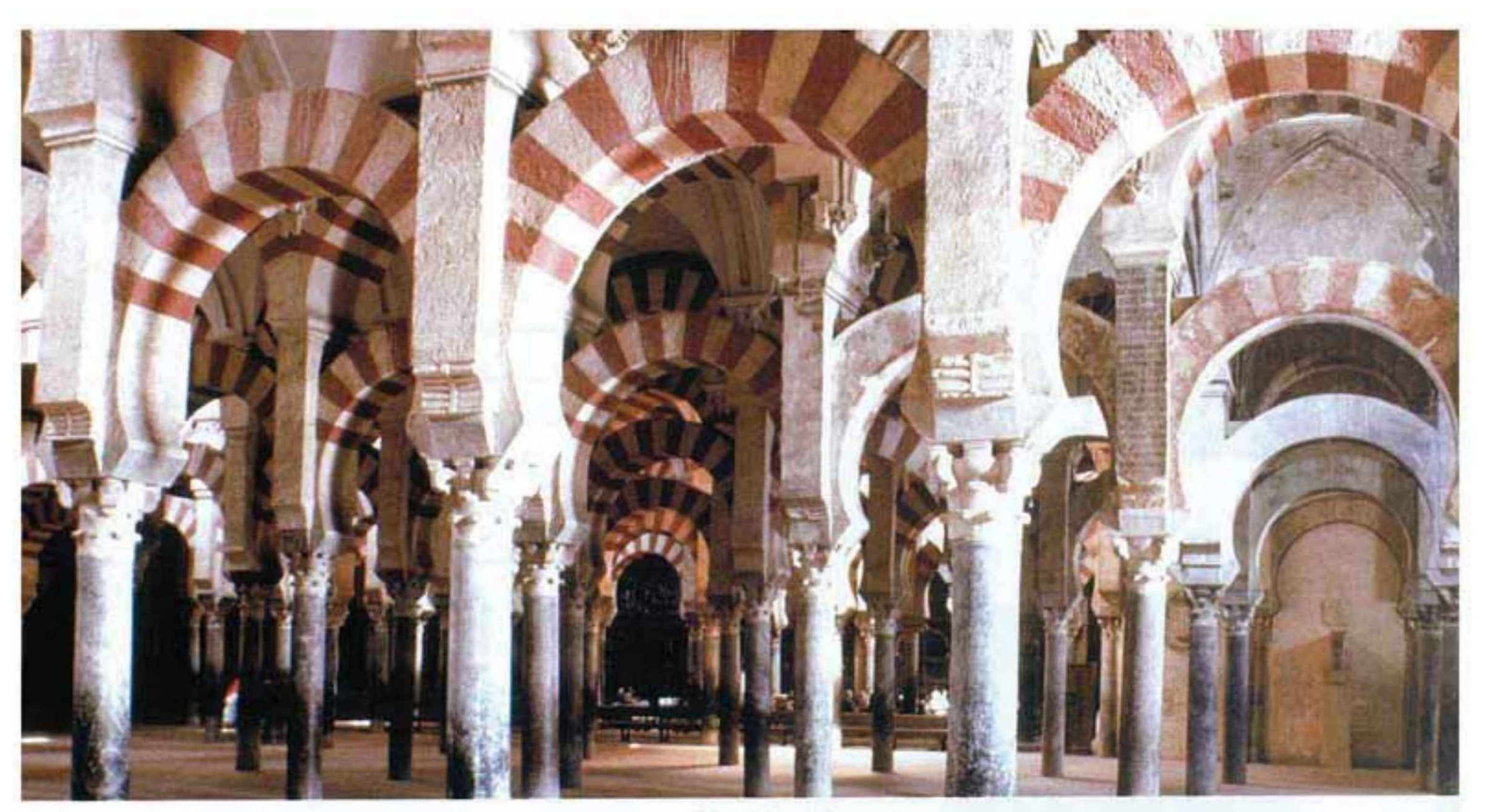


ابن حزم

في المجتمع القرطبي في الفترة قيد الدراسة تتطلب إيجاد الحلول ومحاولة الكشف عن الكثير من النقاط الملتبسة التي يزخر بها الموضوع. وبما أن دراسة المجتمعات بصفة عامة تكتسي صبغة خاصة تميزها من دراسة الواقع السياسي والعسكري، وتتجلى هذه الصبغة في صعوبة التطرق إلى مثل هذه الموضوعات؛ وذلك ما يؤكده الأستاذ أحمد الطاهري في كتابه «عامة قرطبة في عصر الخلافة» بقوله: «فالمتتبع مظاهر الحياة الاجتماعية .. يجد صعوبة كبيرة في جمع معلومات دقيقة عن هذا الجانب المهم، من ثم الاكتفاء برأي عام ..» (٣). فإننا سنحاول في هذا العرض التطرق إلى نقاط محددة من الواقع الاجتماعي القرطبي في القرن الخامس الهجري. ولن نعمل على محاولة رصد مختلف مكونات المجتمع القرطبي بما في ذلك فئاته وعناصره والعلاقات السائدة فيما بينها، لأننا نظن أن ذلك لن يأتي بجديد، خصوصًا أن الكثير من الدارسين سبق أن تطرقوا إلى هذه القضايا بما تستحقه من بحث وتمحيص. ثم سيقتصر تركيزنا على طرح بعض الأسئلة



المحاريب المتمقة والمقاصير المزينة بدت كأفواه السباع فاغرة تؤذن بفناء الدنيا



المسجد الكبير بقرطبة

على بعض الجوانب المتعلقة بهذا المجتمع، وهذا لا يعني أن ما سنتطرق إليه من نقاط هي الأهم والأجدر بالبحث، ولكن لكونها أثارت انتباهنا، ولكونها تتمشى مع النظرة التي حاولنا تطبيقها في هذا العرض.

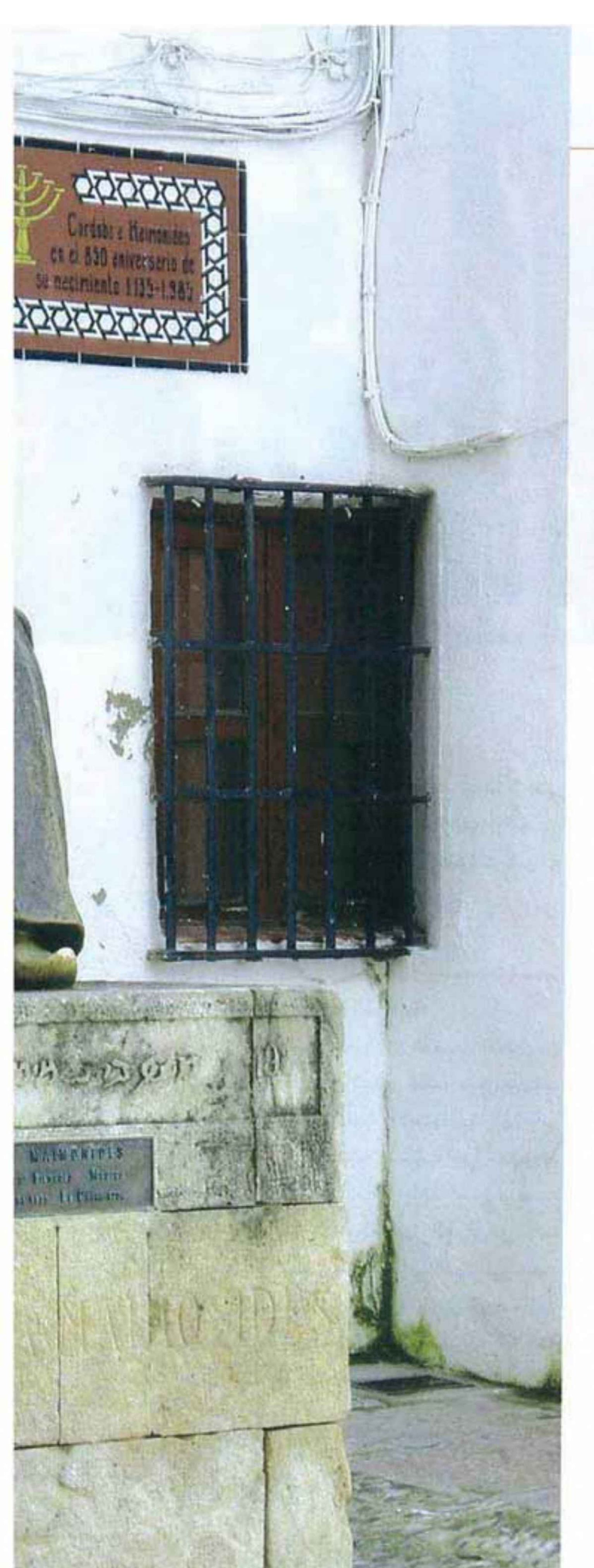
ظواهر اجتماعية في قرطبة القرن الخامس الهجري

ـ الهجرة: إحدى نتائج الفتنة القرطبية:

تسببت الفتنة القرطبية خلال العقدين الأولين من **القرن الخامس الهجري في تدهور خطير شمل مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فهذا ابن حزم يصف لنا آثار هذه الفتنة بأسلوب أدبي معبر، إذ يقول في كتابه «طوق الحمامة»: «ولقد أخبرني بعض الورّاد من قرطبة وقد استخبرته عنها، أنه رأى دورنا ... وقد امّحت رسومها، وطُمست أعلامها، وخفيت معاهدها، وغيّرها البلى وصارت صحاري مجدبة بعد العمران، وفيافي مُوحشة بعد الأنس، وخرائب مُنقطعة بعد الحسن، وشعابًا مفزعة بعد الأمن، ومأوى للذئاب،**

ومعازف للغيلان ... ومكامن للوحوش بعد رجال كالليوث، وخرائد كالدمى تفيض لديهم النعم الفاشية، تبدّد شملهم فصاروا في البلاد أيادي سبا، فكأن تلك المحاريب المنمقة والمقاصير المزيّنة، التي كانت تشرق إشراق الشمس، ويجلو الهمومَ حُسنُ منظرها، حين شملها الخراب، وعمها الهدْم، كأفواه السباع فاغرة، تؤذن بفناء الدنيا وتريك عواقب أهلها، وتُخبرك عما يصير إليه كل من تراه قائمًا فيها. وتَزْهَدُ في طلبها بعد **أن طالما زهدت في تركها ....»(١).**

وفي الاتجاه نفسه يصف لنا ابن بسام هذه الفتنة في كتابه «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» بقوله: «ولمَّا أدارت تلك الفتنة رحاها، على حضرة قرطبة وما والاها. إذ كانت على ما قدمنا ذكره منتهى الغاية، ومركز الراية فقلّصت أذيالها، وانتسفت جبالها، واشتفّت الماء من عودها، وألْوَت بمعظم طارفها وتليدها، شذّ قوم من أهلها على حال لو رآها ابن جبير لقال بالتقية، وبين يدي قتال لو أحاط ببني ذبيان ليئسوا من البقية، بأذماء



أنفُس قد نازعهم الموت أرماقها، وبقايا أحوال قد هتكت النوائب أستارها وأرواقها، فأصبحوا طرائد سيوف وجلاء حتوف ... وأسلمتهم غفلات الزمان إلى محنة، يلوذون بآفاق هذه الجزيرة المنكوبة...»(٥)

تكمن أهمية هذين النصين في كونهما صادرين من رجلين معاصرين للفترة المدروسة. وعلى الرغم من الأسلوب الأدبي لهذين النصين فهما يصوران لنا الواقع المزري الذي نتج عن الفتنة القرطبية. وإذا كان هذان النصان يقدمان لنا نظرة شاملة عن الحالة الرهيبة التي مسّت أهل قرطبة بصفة عامة، فإن المَقَّريّ يورد نصًا مهمًا في كتابه «نفح الطيب» يوضح فيه أن النكبة أصابت أيضًا أشخاصًا سوف يكون لهم وزن كبير في مستقبل دولة قرطبة الطائفية، إذ يقول: «وانتزع (علي بن حمود) الإسلام من أهل قرطبة، وهدم المنازل، واستهان بالأكابر ووضع المغارم، وقبض على جماعة من أعيانهم وألزمهم بمال، فلما غرموه سرحهم، فلما جيء إليهم بدوابهم ليركبوها أمر من أخذ الدواب، وتركهم ينزلون إلى منازلهم على أرجلهم، وكان منهم أبو الحزم الذي ملك قرطبة بعدُ وصارت دولته بوراثة ولده معدودة في دول الطوائف...» (٦).

وإذا كانت بعض الدول الطائفية الأخرى التي عرفت نوعًا من الاستقرار كإشبيلية مثلاً، قد عرفت نوعًا من التحسن في حالتها الاجتماعية «فإن المستوى الاجتماعي بقرطبة. نظرًا لتحول مركزها من عاصمة مركزية للأندلس إلى عاصمة لدويلة طائفية تتعرض لحملات عسكرية يقوم بها بعض المغامرين أحيانًا وحكام دويلات الطوائف أحيانًا أخرى. قد عرف نتائج معكوسة» (٧) كما يقول الدكتور محمد بن عبود في كتابه «التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف».

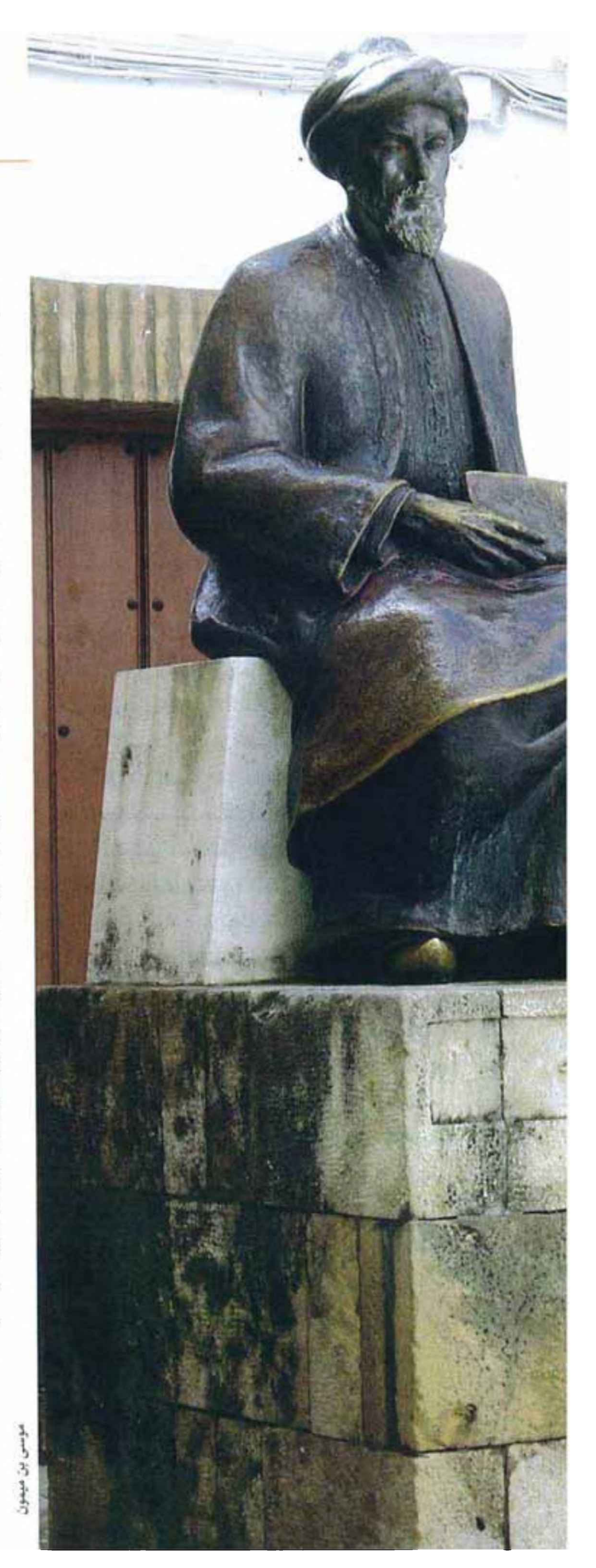
المهم هو أن الفتنة القرطبية أدت إلى الكثير من النتائج السلبية على جميع الأصعدة، إلا أننا سنقتصر

على إحداها، وهي ظاهرة اجتماعية ومأساة إنسانية، تمثلت في هجرة سكان قرطبة هربًا من ويلات الفتنة وأخطارها. وبالفعل فقد أدت هذه الاضطرابات التي شهدتها قرطبة في بداية القرن الخامس الهجري إلى هجرة الكثيرين من الناس تاركين ديارهم إلى موطن آمن ومطمئن.

وهناك الكثير من النصوص التي تتطرق إلى هذه الهجرة منها نص لابن حيان نقله ابن بسام في ذخيرته يتحدث عن حاكمي بلنسية مظفر ومبارك اللذين توجه إلى مدينتهما الكثير من القرطبيين هربًا من الفتنة، جاء في النص ما يأتي: «... وشرع هذان الرئيسان مظفر ومبارك، لأول سلطانهما هنالك في بناء بلنسية وتحصينها وسدّ عورتها بسور أحاط بالمدينة، تحت أبواب حصينة، فارتفع الطمع عنها وأقبل الناس إليها من كل قطر بالأموال، وطمحت بسكانها الآمال، واستوطنها جملة من جالية قرطبة القلقة الاستقرار، فألقوا بها عصا التسيار، وأجمل عشرتهم، فبنوا المنازل والقصور، واتخذوا البساتين الزاهرة، والرياضات الناضرة، وأجروا خلالها المياه المتدفقة» (٨).

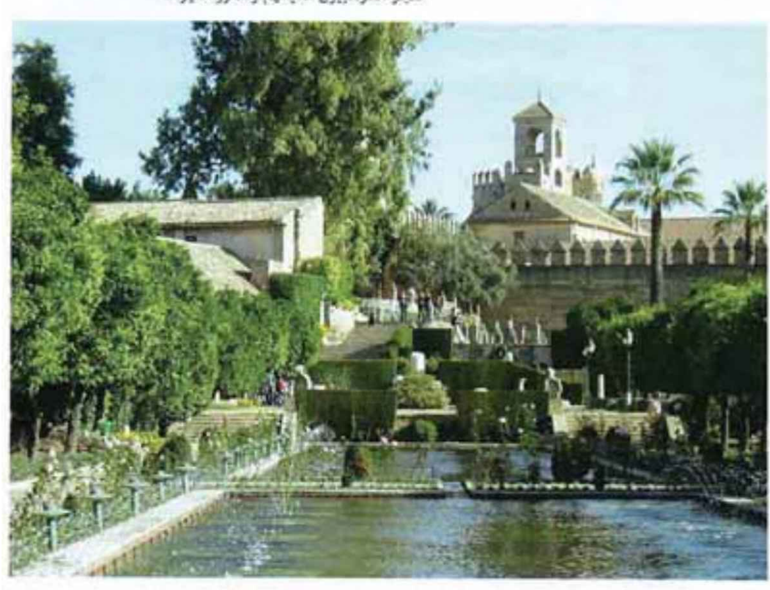
يبدو من خلال هذا النص أن الذين هاجروا من قرطبة إلى بلنسية كانوا من الفئة الميسورة بدليل أنهم بنوا القصور، واتخذوا البساتين والرياضات الناضرة. كما أن هناك نصًا آخر لابن بسّام يطلعنا فيه على هجرة بعض الأدباء القرطبيين إلى «مجاهد» حاكم دانية والجزائر الشرقية «ميورقة ومنورقة...»، جاء فيه: «... على أن إليه كانت هجرة أولي البقية، وذوي الحرية من هذه الطبقة الأدبية القرطبية، للين جنابه، وذكاء شهابه ...» (٩). وفي الاتجاه نفسه يقول ابن حيان: «واجتمع عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملةٌ وافرة، وحلبةٌ ظاهرة» (١٠).

لقد أتينا بهذه النصوص لكي تساعدنا على طرح


موسى بن ميمون

بعض الأسئلة حول مسألة الهجرة القرطبية خلال القرن الخامس الهجري. منها: هل يمكن اعتبار هذه الهجرة هجرة داخلية أم خارجية؟ وذلك في ضوء نظرنا إلى الأندلس ككل أو كدول طائفية. ما هي الفئات الاجتماعية القرطبية التي هاجرت وما مصير الفئات الدنيا منها بصفة خاصة؟ وكيف تعاملت الدول أو

هجر القرطبيون مدينتهم وعمّروا غيرها



المناطق المستقبلة مع هذه الهجرة؟ وهل يمكن القول: إن اتجاهات الهجرة اقتصرت فقط على دول الطوائف أم شملت دولاً أخرى كالمغرب الأقصى مثلاً أو غيره؟

إن هذه الأسئلة تدل على أن الهجرة القرطبية شكلت بالفعل مشكلة اجتماعية ومأساة إنسانية كانت إحدى النتائج السلبية والخطيرة للفتنة القرطبية.

. عادات بعض شرائح المجتمع القرطبي:

من المعلوم أن الدارسين اختلفوا في تفسير المجتمع الأندلسي في عصر الطوائف، فمنهم من رآه مجتمعًا إقطاعيًا، ومنهم من جعله مجتمعًا قبليًا كما هو الشأن بالنسبة إلى «بيير كثيشار». ولكن الدكتور ابن عبود يقول في كتابه «جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري»: «... إلا أننا اعتبرناه مجتمعًا حضرياً بالدرجة الأولى في القرن الهجري الخامس ...»(١١). وهكذا فإن المجتمع القرطبي في القرن الخامس الهجري كان مجتمعًا حضريًا. وكأي مجتمع حضري، فإن لهذا المجتمع خصائصه الإيجابية وسماته السلبية، ومن هذه السمات السلبية ظهور ما يمكن تسميته بالأمراض الاجتماعية المرتبطة بفئات واسعة من المجتمع القرطبي في هذه الفترة، وهي جملة من العادات والتصرفات غير العادية يمكننا أن نطرح الكثير من الأسئلة حول أسبابها ودوافعها.

وفي هذا الإطار هناك نص أورده المقّريّ في كتابه «نفح الطيب» يعطينا صورة واضحة عن بعض هذه العادات، جاء في النص ما يأتي: «... ومن محاسنها (يقصد قرطبة) ظرف اللباس، والتظاهر بالدين، والمواظبة على الصلاة ... والتفاخر بأصالة البيت وبالجندية وبالعلم، وهي أكثر بلاد الأندلس كتبًا، وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب،

وينتخب فيها ليس إلا لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به»(١٠).

انطلاقًا من هذا النص نطرح سؤالاً هو: إلى أي حد يمكن القول: إن المجتمع القرطبي في القرن الخامس الهجري كان مجتمعًا حضريًا، أمام هذه العقلية وهذا التفكير؟

أورد المقّري نصًا طريفًا يعبر عن إحدى الظواهر الاجتماعية المهمة، جاء في النص على لسان أحد العلماء: «... أقمت مرة بقرطبة، ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع، وهو بخط فصيح، وتفسير مليح، ففرحت به أشد الفرح، فجعلت أزيد في ثمنه، فيرجع إلي المنادي بالزيادة علي، إلى أن بلغ فوق حده، فقلتُ له: يا هذا، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلّغه إلى ما لا يساوي، قال: فأراني شخصًا عليه لباس رياسة، فدنوت منه، وقلت له: أعز الله سيدنا الفقيه! إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بَلَغَتْ به الزيادة بيننا فوق حده، قال: فقال لي: لست بفقيه، ولا أدري ما فيه، ولكني أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنْعَمَ به من الرزق، فهو كثير، قال .. : فأحرجني وحَمَلني على أن قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيرًا إلا عند مثلك، ويُعطَى الجَوْزُ من لا لَهُ أسنان، وأن الذي أعلم ما في هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به، يكون الرزق عندي قليلاً، وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه»(١١).

تجدر الإشارة هنا إلى أن كتاب «طوق الحمامة» لابن حزم يزخر بنصوص ومعلومات مهمة جدًا بخصوص الكثير من الأمراض الاجتماعية المختلفة، بل والأمراض والانحرافات الأخلاقية أيضًا، وهنا نتساءل: ما العلاقة التي يمكن أن تربط بين مثل هذه العادات والتصرفات، والواقع القرطبي ككل خلال القرن الخامس الهجري؟ وهل يمكن القول: إن هذه الأشياء كان لها دخل وتأثير في مجرى الأمور في قرطبة خلال الفترة التي هي قيد الدراسة؟ وهل يمكننا أن نفسر التطورات العامة التي شهدتها قرطبة انطلاقًا من هذه العادات؟



المجتمع القرطبي على الرغم من تحضره برزت فيه أمراض اجتماعية كثيرة



القرطبيون والسياسة خلال القرن الخامس الهجري

ـ مشاركة سكان قرطبة في اتخاذ القرارات السياسية:

الملاحظ أن المجتمع القرطبي تميز من باقي المجتمعات الأخرى في باقي الدول الطائفية، بالمشاركة في اتخاذ القرارات السياسية، وتسيير الشؤون العامة للدولة، ويتجلى ذلك في التدخل



العمارة شاهدة على ما بلغه المجتمع القرطبي من مدنية وتحضر

لتنحية الحكام وتنصيب آخرين مكانهم، ما كان الشأن مع الوزير أبي الحزم بن جهور الذي تم تنصيبه حاكمًا لقرطبة من طرف سكانها، وذلك غداة سقوط آخر الخلفاء الأمويين سنة ٤٢٢هـ. وبهذا الصدد جاء في «البيان المغرب» ما يأتي: «واجتمع الناس بقرطبة على تقديم الوزير أبي الحزم بن جهور»(١٦). وفي الاتجاه نفسه يقول ابن الخطيب في كتابه «الإعلام»: «ولما خُلعَ هشام الأخير واتفق رأي الجماعة بقرطبة على مَحْوِ رسْم الخلافة الأموية لعدم الصلاح في أهل بيتها وسوء الجوار ... اتَّفَقَ الملأ على إسناد الأمور بالحضرة إلى شيخ الجماعة وبقية الأشراف من بيوت الوزارة أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور ...»(١٤).

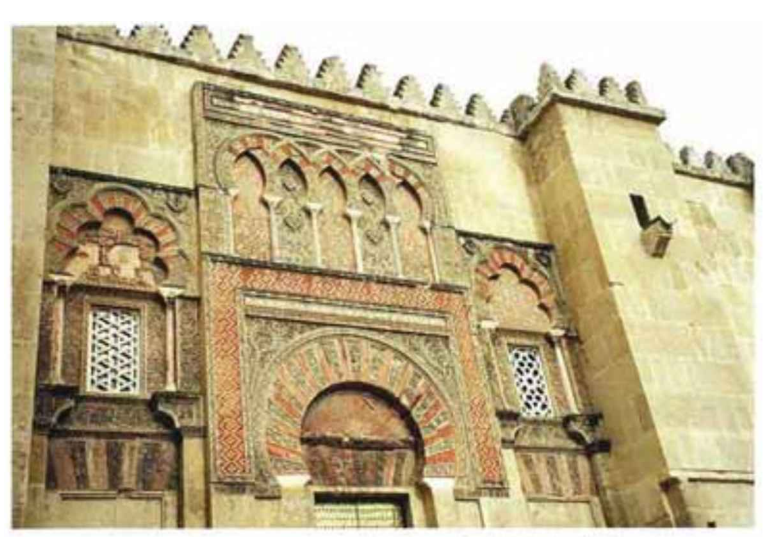
وهنا تطرح علينا عدة أسئلة منها: لماذا انفرد سكان قرطبة دون غيرهم من سكان دول الطوائف الأخرى بهذه الميزة؟ ما الدوافع التي تكمن وراء ذلك؟ هل يعود الأمر إلى كون المدينة كانت عاصمة للأندلس في عصر الخلافة، وبذلك اكتسب أهلها نوعًا من التجربة السياسية؟ أم يرجع السبب وراء ذلك إلى عدم الاستقرار الذي شهدته قرطبة في القرن الخامس للهجرة بخصوص تعدد حكامها؟ أم يعود إلى التكوين الفكري لسكانها ولمكانتهم الاجتماعية؟

لعل من بين الأمور التي تساعدنا على الإجابة عن بعض هذه الأسئلة هي شخصية الوزير أبي الحزم بن جهور نفسه، فالملاحظ أن الكثير من المصادر تتفق على أنه كان داهية وصاحب حيلة وحنكة سياسية، فهذا أبو عبدالله الحميدي يقول في كتابه «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس»: «... وكان موصوفًا بالفضل متقدمًا في الدهاء والعقل»(١٦) وفي الإطار نفسه يقول: صاحب «المُغْرب في حلى المغرب»: «أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور ... كان من وزراء الدولة العامرية قديم الرئاسة، موصوفًا بالدهاء والسياسة»(١٧). ومن بين الأشياء التي ساعدت على الاختيار الجماعي للوزير أبي الحزم جهور، هناك السياسة التي كان يطبقها والتي ترمي إلى مشاركة الأهالي في تسيير دواليب الحكم، يتضح لنا ذلك في نص أورده عبدالواحد المراكشي في «المعجب»، جاء في هذا النص: «ولم ينتقل إلى رتبة الإمارة ظاهرًا .. بل دبَّرها تدبيرًا لم يُسبق إليه، وذلك أنه جعل نفسه ممسكًا للموضع إلى أن يجيء من يتفق الناس على إمارته فيسلِّم إليه ذلك ... وجعل ما يرتفع من الأموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو

المشرف عليهم وصيّر أهل الأسواق جندًا له، وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم مُحْصاةً عليهم يأخذون ربحها ... وفرّق السلاح عليهم وأمرهم بتفريقه في الدكاكين والبيوت، حتى إذا دهمهم أمر في ليل أو نهار كان سلاح كل واحد معه ...."(١٨).

وهكذا يتضح لنا أن الوزير أبا الحزم بن جهور لم ينفرد في حكمه، بل عمل على إشراك القرطبيين معه، وهو ما خلص إليه الدكتور محمود علي مكي في تقديمه لكتاب «المقتبس من أنباء أهل الأندلس» بقوله: «وكان أبو الحزم جهور بن محمد ابن جهور بعد إلغاء الخلافة الأموية قد ابتكر لأهل قرطبة نظامًا جديدًا للحكم أشبه ما يكون بالنظم الجمهورية، فإنه لم يستبد بالسلطة استبداد غيره من ملوك الطوائف»(١٩). وهذا ما يؤكده ابن حيان في نص له «البيان المغرب» بقوله: «.... واجتمع الملأ من أهل قرطبة على تفويض أمرهم لأبي الحزم جَهْور ... فاخترع لهم لأول وقته نوعًا من التدبير حملهم عليه وأجادوا السياسة فيه. فانسدل الستر على أهل قرطبة مدّته ... وصيّر ذلك في أيدي ثقات من الخدمة مشارفًا لهم بضبطه. فإن فضل شيء تركه بأيديهم مثقفًا مشهودًا عليه لا يتلبس لهم بشيء منه ومتى سُئل قال: ليس لي عَطَاءٌ ولا مَنْعٌ، هو للجماعة وأنا أمينهم. وإذا رابه أمْر أو عزم على تدبير أحضرهم وشاورهم ...."(٢٠). وقد كانت نتائج هذا الاختيار الجماعي إيجابية قد انعكست بشكل جيد على الأوضاع بقرطبة. وبهذا الصدد يقول ابن عِذاري: «فرخصت الأسعار وصاح الرخاء بالناس ... وتحرّكت الأسواق ...."(٢١).

ويتجلى تدخل سكان قرطبة في تسيير أمور الحكم في عزلهم لبني جهور لما استبد أحدهم بالحكم، وهو عبدالملك بن جهور. وفي هذا الشأن يقول ابن عذاري: «لما أقلع ابن ذي النون عن قرطبة اجتمع أهلها في السر على أن يخلعوا ابن جهور، ويولّوا ابن عبّاد، فأبرموا أمرهم، وأحكموه، وقاموا بأجمعهم لما ضجروا من جهور بن جهور وتعدّيه هو وحاشيته السفلة على الناس وثاروا في صبيحة اليوم الذي اتفقوا فيه مع قوّاد ابن عباد. وقام أصحاب ابن جهور دونه وكانوا طائفة قليلة فغلب عليهم أهل قرطبة. واستوى الخائن عبدالملك بن جهور في يد ابن مرتين قائد ابن عباد وانقرض ملك بني جهور ...."(٢٢).



آثار ظلت باقية على الرغم من عوادي الزمن

وبعد كل ما سبق نتساءل: ألا تدل مشاركة القرطبيين في اتخاذ القرارات السياسية ونتائج هذه المشاركة، على أن المجتمع القرطبي في القرن الخامس الهجري، كان بالفعل مجتمعًا حضريًا؟

- موقف سكان قرطبة من التدخل المرابطي في الأندلس:

سنحاول الاطلاع على هذا الموقف انطلاقًا من نص أورده صاحب «الحُلَل الموشيّة»، وهو وصية يوسف بن تاشفين لابنه علي، وجاء في هذا النص ما يأتي: «فلما قربت وفاته (يقصد يوسف بن تاشفين) أوصى ابنه وولي العهد بَعْدَهُ أبا الحسن علياً بثلاث وصايا:

الوصية الأولى ألا يهيج أهل جبل درن ومن وراءه من المصامدة وأهل القبلة. الثانية أن يهادن بني هود وأن يتركهم حائلاً بينهم وبين الروم. الثالثة أن يقبل مَنْ أحسن من قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم»(١٠٣). يبدو انطلاقًا من هذا النص أن أهل قرطبة قد حظوا بمكانة خاصة لدى يوسف بن تاشفين. وهنا نسأل: لماذا؟ هل ذلك يعني أن القرطبيين رحبوا بمقدم يوسف وبضمه للأندلس؟ وهل يمكن القول: إن القرطبيين فقدوا الثقة في الحكام الذين تعاقبوا على حكمهم لذلك أيدوا يوسف بن تاشفين؟

المهم هو أن وصية يوسف تدل على أن سكان قرطبة رضوا بحكم المرابطين. وإلا لما كان يوسف بن تاشفين يعطيهم كل هذه الأهمية بجعلهم ثالثة وصاياه لابنه علي بن يوسف. وتتضح أهمية هذه الوصية في كونها كانت السبب في حل نزاع خطير وقع فيما بعد بين علي بن يوسف وسكان قرطبة أدى به إلى جوازه إلى الأندلس في جيش كبير. وقد أورد هذه الحادثة صاحب «الحُلَل الموشيَّة» بقوله: «... ولما طال مقامه عليها تردد إليه وجوه قرطبة وأعيانها وذكّروه بوصية أبيه أمير المسلمين أن يقبل من أحسن من أهل قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم فوقع الاتفاق...»(١٠٤).

وهكذا يتضح انطلاقًا من أهمية هذه الوصية المكانة الخاصة التي كانت للقرطبيين عند يوسف بن تاشفين، هذه المكانة لم تأت مصادفة ولكن أتت نتيجة لموقفهم المساند له.

خاتمة

مجمل القول: أن محاولة البحث في المجتمع القرطبي خلال القرن الخامس الهجري، تحمل معها الكثير من الإشكالات، وذلك راجع إلى خصوصية الدراسة في المجتمع بصفة عامة واختلاف هذه الدراسة بالمقارنة مع دراسة جوانب أخرى سياسية مثلاً. وإلى خصوصية المجتمع القرطبي نفسه خلال هذه الفترة، وذلك بسبب تميز مدينة قرطبة من باقي المدن الأندلسية الأخرى من عدة نواح.

إن اختيارنا موضوعات محددة ومركزة من هذا المجتمع القرطبي، راجع إلى كوننا حاولنا أن نلقي بعض الأضواء على الكثير من القضايا التي يزخر بها هذا المجتمع، وذلك بطريقة تساؤلية وإشكالية.

كما أننا سعينا من وراء التركيز في هذه النقاط إلى محاولة فتح سبل جديدة للبحث في قضايا، ربما تبدو للوهلة الأولى أنها قضايا هامشية، إلا أنها تكتسي أهمية بالغة في تفسير الكثير من التطورات التي شهدتها قرطبة في القرن الخامس الهجري.

فمثلاً قضية الهجرة القرطبية التي نتجت من الفتنة، يمكن أن تكون موضوعًا مهمًا يستحق المزيد من البحث والدراسة، وذلك بطريقة تختلف قليلاً عن الدراسات التي يمكن أن تكون قد تطرقت إليها. كما أن مسألة الأمراض الاجتماعية والانحرافات بدورها تشكل موضوعًا في غاية الأهمية لما يمكن أن يكشف عنه من

دراسة المجتمع القرطبي في حاجة إلى نظرة شاملة



حقائق ربما ما زالت غامضة ومبهمة.

أما قضية مشاركة أهالي قرطبة في اتخاذ القرارات السياسية وتسيير دواليب الحكم، فتشكل بدورها موضوعًا يستحق الكثير من البحث؛ لأن ذلك أدى إلى ظهور تجربة فريدة من نوعها فيما يخص الحكم إبان القرن الخامس الهجري أو عصر دول الطوائف.

وبطبيعة الحال فإن الاقتصار على مثل هذه النقاط والموضوعات لا يعني أن كل شيء أو أهم شيء متعلق بالمجتمع القرطبي في القرن الخامس الهجري قد تطرقنا إليه، بل العكس؛ لأن المجتمع القرطبي في هذه الفترة كغيره من المجتمعات الأخرى يتميز بالكثير من الجوانب المهمة التي تستحق البحث والدراسة. وما تركيزنا في هذه الجوانب التي تناولناها في هذا العرض المتواضع إلا جزء صغير وبسيط من هذا المجتمع القرطبي. وما فعلنا ذلك إلا اعتقادًا منا أنه بهذه الطريقة يمكن لنا أن نتماشى مع المنهجية التي حاولنا تطبيقها في دراسة هذا الموضوع، وهي القائمة على تجنب السرد والوصف، وتوظيف الأسئلة وطرح الإشكاليات سعيًا وراء إثارة النقاش وفتح موضوعات جديدة للبحث والدرس.

المراجع

١- د. محمد بن عبود. «مباحث في التاريخ الأندلسي ومصادره». الرباط ١٩٨٩م. ص٧٩-٨٠).

٢- د. محمد عبدالوهاب خلاف. «قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي - الخامس الهجري». تونس. ١٩٨٤م. ص٢٧٣.

٣- د. أحمد الطاهري. «عامة قرطبة في عصر الخلافة». الرباط. ١٩٨٩م. ص ١٧١

٤- ابن حزم. «طوق الحمامة في الألفة والألاف». ت: حسن كامل الصيرفي. القاهرة. د.ت. ص٩٤.

٥- ابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ). «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة». القسم الثالث. المجلد الأول ت: احسان عباس. الطبعة الثانية. بيروت. ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م. ص٩-١٠.

٦- أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ). «نفح الطيب...». الجزء الثاني. ت: محمد محيي الدين عبدالحميد. الطبعة الأولى. مصر. ١٣٦٧هـ /١٩٤٩م. ص ٢٨.

٧- د. محمد بن عبود. «التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف». تطوان. ١٩٨٣م. ص٢١٢.

٨- ابن بسام. المصدر السابق. ص ١٧.

٩- نفسه. ص٢٢.

١٠- نفسه. ص٢٣.

١١- د. محمد بن عبود. «جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري». تطوان. ١٩٨٧م. ص٤.

١٢- المقري. المصدر السابق. ص١١.

١٣- المقري. المصدر السابق. ص ١١.

١٤- ابن عذاري المراكشي. «البيان المغرب». الجزء الثالث. تحقيق ومراجعة كولان ول. بروفنسال. الطبعة الثانية. بيروت. ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. ص١٨٥

ابن الخطيب. «أعمال الأعلام». القسم الثاني في أخبار الجزيرة

١٥- الأندلسية. ل. بروفنسال. رباط الفتح ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م. ص ١٧١،١٧٢.

١٦- أبو عبدالله الحميدي. «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس». ت محمد بن تاويت الطنجي. (ت٤٨٨هـ) الطبعة الأولى. القاهرة. بغداد. ١٣٧٢هـ /١٩٥٢م. ص١٧٦.

١٧- ابن سعيد. «المغرب في حلى المغرب». الجزء الأول. ت شوقي ضيف. القاهرة. ١٩٥٣م. ص٥٦.

١٨- عبدالواحد المراكشي. «المعجب». ت محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي. الطبعة الأولى القاهرة.١٣٦٨هـ/١٩٤٩م. ص٥٩-٦٠.

١٩- ابن حيان. «المقتبس». ت: محمود علي مكي. القاهرة. ١٣٩٠هـ /١٩٧١م. ص٣٢.

٢٠- ابن عذاري. المصدر السابق. ص ١٨٦.

٢١- ابن عذاري. المصادر السابق. ص ١٨٧.

٢٢- نفسه. ص ٢٥٩.

٢٣- مجهول. «الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية». ت: علوش. رباط الفتح. ١٩٣٦م. ص ٦٧.

٢٤- مجهول. «الحلل الموشية». مصدر سابق. ص ٧١.





الأرجنتين: ملتقى الباحثين ع

ن أسرار الطبيعة

غازي سليمان حاتم

اللاذقية ـ سورية

تعدّ الأرجنتين من البلاد الأكثر عراقة وتشويقًا وسحرًا في العالم. تتميز بعض مدنها بأبنيتها المعمارية الضخمة، وبجوها الثقافي المرموق بين دول أمريكا اللاتينية. لها نكهة خاصة من خلال ما تقدمه مناطقها الشاسعة والمختلفة فيما بينها من طبيعة خلابة أبرزها الشواطئ الطويلة والبحيرات الواسعة والجبال والقمم المرتفعة والغابات الاستوائية الكبيرة والسهول الفسيحة.

تسمى الأرجنتين بلغة أهلها أرخنتينا Argentina، وقد عُرفت بهذا الاسم أو بالجمهورية الفضية منذ القرن التاسع عشر، عندما نادت بعض الولايات التي أنشئت في حوض نهر بلاتا (نهر الفضة) بالاستقلال، واتحدت فيما بعد.

تبلغ مساحتها ٣.٨ ملايين كيلو متر مربع، وتقع في النصف الجنوبي من القارة الأمريكية، وتمتد أراضيها على طول ٣٨٠٠ كيلو متر بين خطي عرض ٢٢ و٥٥ يحيط بها كل من الأرغواي والبرازيل والباراغواي شرقًا والبارغواي وبوليفيا شمالاً وتشيلي غربًا وتبلغ واجهتها البحرية مع المحيط الأطلسي ٥١١٧ كيلو مترًا.

لمحة تاريخية

في العام نفسه الذي سقطت فيه مدينة غرناطة، آخر معاقل العرب المسلمين في الأندلس، في أيدي ملك إسبانيا عام ١٤٩٢م تم اكتشاف القارة الأمريكية من قبل كريستوفر كولومبس، وبدأ تاريخ هذه البلاد بالوجود البرتغالي ـ الإسباني عليها. ولم يمض وقت طويل حتى بدأ البحارة بارتياد تلك القارة، ففي عام ١٥٠٢م وصلها أمبرغيو فيسبوثيو Ambrgio Vespucio، وفي عام ١٥١٦م قام خوان دياس دي سوليس Juan Dias de Solis بارتيادها، واكتشف نهر البلاتا والساحل البرازيلي، وفي شباط عام ١٥٣٦م وصل إلى الأراضي التي تسمى الآن الأرجنتين بيدرو دي ميندوزا Pedro de Mendoza، وأسس على شاطئ نهر بلاتا مدينة بوينس آيرس وسمّاها ميناء القديسة ماريا ديل بوينس، ولم تساعده ظروفه الصحية على متابعة إنشاءاته فاضطر إلى العودة إلى أوربا.

وفي عام ١٥٤١م هاجم الهنود المنشآت الحديثة، وقتلوا الكثير من م[illegible]، بينما صعد الآخرون على ضفاف نهر اسمه أسونسيون Asuncion، وفي عام ١٥٨٠م شيد خوان دي غاراي بوينس آيرس للمرة الثانية، تحت اسم مدينة القديسة ماريا ديل بوينس آيرس، وظهرت عام ١٥٩٣م حكومة لنهر البلاتا والبارغواي، وكانت عاصمتها أسونسيون تابعة لملكة بيرو، ومن ثم انقسمت هذه الحكومة عام ١٦١٧م قسمين، وبين العامين ١٦٢٠ و١٦٢٢م، سُمح لبوينس أيرس أن تمارس بعض التبادلات التجارية التي أعطتها دفعًا كبيرًا، وفي عام ١٧٧٦م تّمت إقامة ولاية نهر البلاتا وكانت الأرض الأرجنتينية تشمل، بالإضافة إلى

أراضيها الحالية، النهر الكبير والحزمة الشرقية والبارغواي وأعالي البيرو. ومنذ تلك الفترة بدت علائم النهوض ضد الأجانب تظهر، حيث بدأ الخصام بين إسبانيا وإنكلترا التي غزت بوينس آيرس في عام ١٨٠٦م ففرّ الحكام، لكن المواطنين نظموا مقاومتهم وطردوا البريطانيين. ثم حدث الصراع بين الأرجنتين



العاصمة بيونس أيرس أهم مدن أمريكا الجنوبية

وإسبانيا، وهُزم الإسبان في منطقة قرب نهر البلاتا في معركة مونتيفيدو Montevideo في ٢٢يونيو/ حزيران عام ١٨١٤م، وتم إعلان الاستقلال عن الإسبان في التاسع من يوليو/تموز عام ١٨١٦م إذ كان الجنرال الأرجنتيني خوسي سان مارتين من الرجال المنادين بالحركة في أمريكا الجنوبية، ومحاربًا بارزًا ضد الإسبان الذين كانوا يسيطرون على كامل الأراضي الأمريكية الجنوبية باستثناء البرازيل.

تتالت الأحداث على الأرجنتين من حروب داخلية، وهجرات أوربية وعربية إليها فضلاً عن حدوث ثورات عسكرية، ووصول الكولونيل بيرون إلى الحكم، إلخ.. حتى انتقلت إلى المرحلة الأخيرة من تاريخها إذ تتمتع حاليًا بنظام سياسي حر (ليبرالي) ويرأس البلاد رئيس الجمهورية المنتخب.

الأرجنتين والمغريات السياحية

ونتيجة لما تتمتع به الأرجنتين من مقومات سياحية بارزة، فقد ركزت الجهات المختصة في هذا القطاع المهم، إذ يقدم العاملون في المجال السياحي في الأرجنتين الإرشادات اللازمة للمسافرين من أجل الاستغلال الأمثل لرحلاتهم إلى تلك البلاد، والتمتع بالأجواء المناسبة بحسب فصول السنة، إذ تكون درجة الحرارة لطيفة والأيام طويلة خلال الصيف في الجزء الجنوبي من الأرجنتين، ومن ثم تكون المحطة السياحية ملائمة في باتاغونيا، بينما يُنصح في الشتاء بالسفر إلى المناطق الشمالية والشمالية الغربية، حيث تنخفض نسبة هطل الأمطار ودرجات الحرارة. أما من يريد زيارة مدينة بوينس آيرس فيجب عليه أن يقوم برحلته خلال فصلي الخريف والربيع اللذين يُعدّان فصلين مثاليين للقيام بزيارة هذه العاصمة العريقة.

ولكل منطقة في الأرجنتين ما يميزها من غيرها،



تضم العاصمة مراكز ثقافية وحضارية كثيرة

سواء من حيث مناخُها أو من خلال ما تقدمه طبيعتها من بحيرات وغابات وجبال أو بما تحويه من حيوانات مائية وبرية، أو بما تمتاز به مدنها الكبرى مثل بوينس آيرس وقرطبة وروزاريو وسنتافيّ وبلانكا، من مراكز عمرانية وصناعية وثقافية. وعلى الرغم من أن غالبية السياح والمصطافين يصلون إلى الأرجنتين عن طريق شركات الطيران إلى المطار الدولي مينيسترو بيستاريني (ايزيزا) الواقع على بعد ٤٧ كم من مدينة بوينس آيرس. إلا أنهم ينتقلون جوًا بسبب اتساع مساحة الأرجنتين إلى المدن الأخرى التابعة للمنطقة الوسطى، أو إلى المدن الأخرى التابعة للمنطقتين الشمالية والجنوبية اللتين تبعدان كثيرًا عن العاصمة الأرجنتينية.

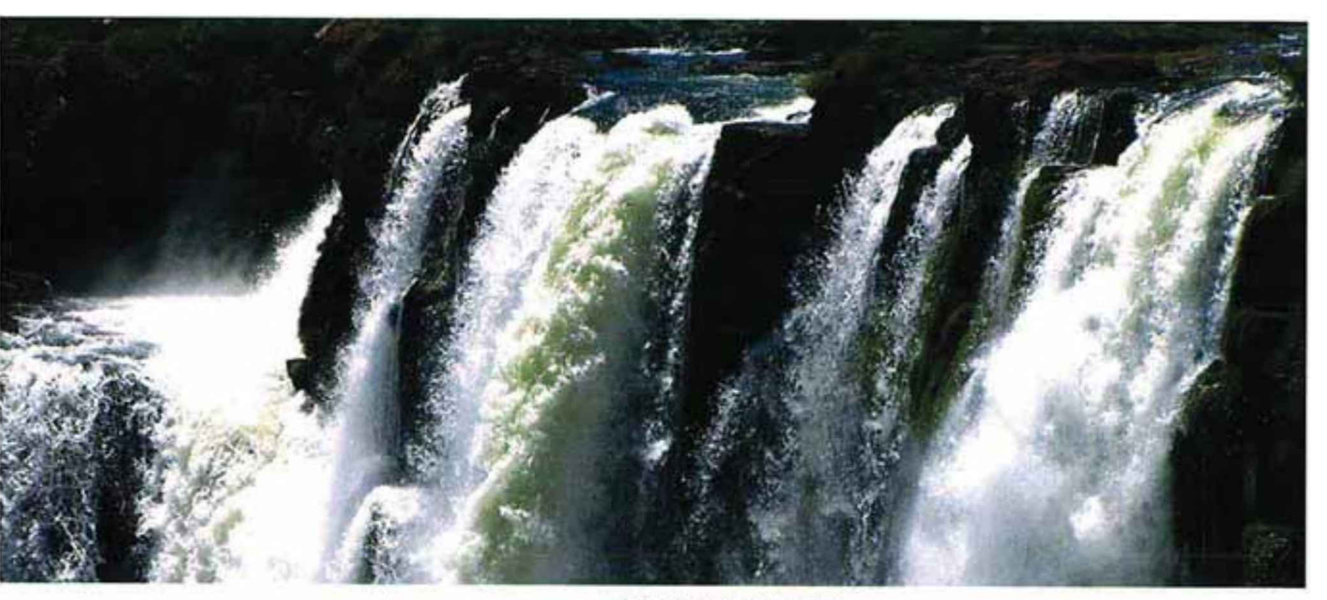
المنطقة الوسطى

تعدّ المنطقة الوسطى في الأرجنتين من أهم مناطق البلاد لما تتضمنه من سهول عشبية خضراء، واسعة تغطي ربع مساحة الأرض الأرجنتينية؛ ولكونها مهد رعاة البقر الأسطورية في جنوب أمريكا، ولاحتوائها على حقول القمح والذرة والدوار وعبّاد الشمس التي تُقدّم للبلاد محصولاً زراعيًا وحيوانيًا جيدًا يشكل دخلاً قوميًا مهمًا. وتضمُّ هذه المنطقة كلاً من العاصمة الأرجنتينية مدينة بوينس آيرس Buenos Aires والمناطق المحيطة بها والتابعة لها، والبامبا La Pampa وجنوب سانتافيّ Santa Fe، وشرق مدينة قرطبة Cordoba، وأهم مدن هذه المنطقة هي العاصمة بوينس آيرس التي تقع في الجهة الشرقية

الوسطى للأرجنتين. وهي مدينة ساحرة وغنية لها شخصية خاصة بها. وتمتاز بأبنيتها الفخمة وعاداتها وتقاليدها. وبحسن تعامل أهلها. ويبلغ عدد سكانها أحد عشر مليون نسمة. وأهم مناطقها السياحية هي بلازادي مايو التي تحوي صرحًا يُحيي ذكرى أول حكومة وطنية. والقصر الجمهوري الأرجنتيني. وتفخر بكونها مركزًا فنيًا. ومنبرًا ثقافيًا يشهد لها بين دول أمريكا الجنوبية. كما تحوي مسارح ونوادي وصالات عرض ومراكز ثقافية مهمة. مرتبطة مع مؤسسة عائدة إلى إسبانيا وبقية الدول الناطقة بالإسبانية. وقد شهدت منذ الثلاثينيات من هذا القرن اهتمام كتّاب إسبانيا وموسيقيّيها المشهورين. فقد ذهب إليها الشاعر الأندلسي فيديريكو غارثيا لوركا عام ١٩٣٥م قبل استشهاده بعام واحد. وقدم فيها أولى مسرحياته التراجيدية الشعرية «عروس الدم» التي لاقت إعجابًا كبيرًا. كما ذهب إليها الموسيقي الإسباني الكبير مانويل دي فايا في العقد الرابع من هذا القرن. الذي كان يحظى بسمعة موسيقية كبيرة. وكان صديقًا حميمًا للشاعر الإسباني لوركا وللكثير من المثقفين الإسبان المحبين للعرب والمسلمين.

المنطقة الشمالية

وتتميز المنطقة الشمالية الشرقية باحتوائها على غابات مغطاة بأشجار كبيرة ونباتات وحيوانات خاصة بتلك البلاد. وأهمها غابات كاتاراتاس ديل إغوازو Catarata del Iguazu وهي إحدى الغابات الرائعة والجميلة في العالم. إذ توجد فيها مواقع للرصد والتمتع لكي تؤمن للناظر ساعات ممتعة وجذابة لا تنسى. أما المنطقة الشمالية الغربية من الأرجنتين فهي منطقة ذات قمم مرتفعة وتشققات وصحارى وهضاب وبراكين. وبسبب ارتفاعها الشاهق يقال: إن أمريكا تتكلم مع السماء في هذه المنطقة. وأهم هذه المرتفعات الرائعة والجذابة هي



مواقع جميلة في المنطقة الشمالية



لاباتا غونيا ... سلاسل جبلية رائعة في الجنوب

المرتفع المسمى بور ماماركا ومرتفع الألوان السبعة.

المنطقة الجنوبية

وفي جنوب الأرجنتين تقع لاباتا غـونيـا أنديـنا (الغرب) ولاباتا غونيا أتلانتيكا (الشرق) حيث تتميز الأولى بغاباتها الكبيرة الهادئة، وبحيراتها الجميلة، وأنهارها الجليدية إذ من الصعب وصف روعة ما تقدمه السلاسل الجبلية دي لوس أنديس باتا غوينا. يقال عن قمم جبالها: إنها من الجبال الأكثر روعة في العالم. بينما تتميز الثانية بتنوع حيواناتها وطيورها البحرية الجذابة التي تعيش بعض الفترات في السواحل الوعرة البرية، وأهم هذه الحيوانات والطيور هي الحوت الذي يُقدم مشاهد جذابة، وكذلك عجل البحر وطير البطريق الجميل، وغيرها من الطيور الصغيرة الأخرى.

شعب متنوع الأعراق

يبلغ عدد سكان الأرجنتين الحالي ٣٥ مليون نسمة، وهو شعب مختلف الأعراق يسكن نصفهم تقريبًا في العاصمة بوينس أيرس وضواحيها القسم الكبير منهم ٩٥٪ من الجنس الأبيض وهم من أصل إسباني وإيطالي؛ ولكن بعد وصول الهجرة الأوروبية والعربية المكثفة إلى الأرجنتين وحصول التهجين بين السكان من مختلف الجنسيات بدأ هذا الرقم ينقص شيئًا فشيئًا. وقد أدى هذا التمازج إلى تغيرات في شخصية البلاد وسماتها. ويتكلم الشعب الأرجنتيني اللغة الإسبانية وهي لغتهم الرسمية، بينما يتكلم سكان من الأرجنتين لهجات مختلفة، منها اللونفاردو والخيرغا والغواراني والإيمار إلخ .. أما الديانة الرسمية فهي الكاثوليكية. وتوجد عدة ديانات أخرى منها الديانة الإسلامية والبروتستانية وغيرها والعملة الرسمية للبلاد هي البيزو وتعادل قيمته دولارًا أمريكيًا واحدًا.

التانغو .. رقصة أرجنتينية مشهورة عالميًا

يتميز الشعب الأرجنتيني بحبه للفرح والموسيقا



من الرياضات المحببة... البولو



تتميز الأرجنتين بعمارتها



حيوانات وطيور متنوعة توجد على أراضي الأرجنتين وفي مياهها

والفنون، وأكثر المدن الأرجنتينية التي تمثل هذا النوع من الثقافة هي بوينس آيرس، حيث تحوي مسرح كولون المشهور عالميًا، الذي يقدم برامج رائعة في الأوبرا والدانز (الرقص)، ومراكز موسيقية مهمة. علمًا بأن الرقص المميز للأرجنتين هو التانغو الذي بدئ بالتفكير فيه وتقديمه في الحفلات في نهاية القرن الماضي، فقد كان يُرقص الرجلان بمرافقة الشبَّابة بدلاً من اشتراك ذكر وأنثى كما هو الحال الآن. كما يرقص الأرجنتينيون رقصات الباسو دوبلسي والرمبو والسامبا والتشاتشا وإلى ما هنالك من الرقصات ذات الأثر الإسباني ومنها العربي. كما يوجد في مدينة بوينس آيرس كثير من المراكز الثقافية والمتاحف والمنتديات الواقعة في شارع بيانونال فلوريدا يستطيع الزائر الذي لم تروه الحفلات الموسيقية والبالية الليلية أن يتابع اهتماماته الثقافية والفنية، حيث سيكون أكثر سرورًا إذا كان الزائر عربيًا، عندما يكتشف بنفسه الحضور العربي في الأدب الأرجنتيني وخاصة في كتابات الشاعر والكاتب خورخي لويس بورخيس، الذي كتب بعض المقالات عن العرب والمسلمين، منها مقاله المعنون بـ: ابن رشد .. متحدث واحد يمكن أن يحكي كل شيء، كما عُرف بنزعته الشرقية والعربية وميله إلى الحضارة الإسلامية بشكل عام، ولا سيّما في كتابه «الأحلام الشرقية»، وقد وُلد عام ١٨٩٩م وتوفي عام ١٩٨٦م، ويعدّ من أبرز الشعراء الروائيين في أمريكا اللاتينية في القرن العشرين لكثرة ما ترك من مؤلفات وقصص، أهمها: القمر المقابل ١٩٢٥م، فلنتحاور ١٩٣٢م، تاريخ العار العام ١٩٣٥م، تاريخ الخلود للأبدية ١٩٣٦م.

أطباق أرجنتينية

وأهم المأكولات التي يتناولها الأرجنتينيون في مناطق الأرجنتين عامة هي اللحوم المشوية والمحشوة، وخاصة في المناطق الوسطى (البامبا وما حولها) حيث تمتاز بغناها بالثروة الحيوانية. أما المناطق القريبة من البحار والبحيرات، فكمية طعام سكانها من مستخرجات المياه كالسمك، وبالأخص السلمون والتروتشاس، أكبر بكثير من

كمية طعامهم الذي يعتمد على البروتين الحيواني والنباتي. أما المطاعم الأرجنتينية فتُجهز وجباتها على الطريقة البرازيلية والعربية والإسبانية واليابانية والإيطالية والفرنسية، وتلبي طلبات جميع السياح الذين يرتادون الأرجنتين بمختلف أديانهم، وبتنوع طبيعة حياتهم.

العلاقات الثقافية والاقتصادية المتميزة مع إسبانيا

من أهم الأشياء التي تركها الحكم الإسباني في الأرجنتين اللغة الإسبانية، اللغة الرسمية للبلاد. ولا تزال مدن وقرى أرجنتينية تحمل أسماء إسبانية حتى الآن، ومن أهمها مدينة قرطبة التي أظهرت حبها الكبير نحو أخواتها في إسبانيا بشكل خاص، ودول أمريكا اللاتينية بشكل عام. ولهذا تم إقرار إنشاء جمعية تحمل اسم هذه المدينة، بهدف تقديم المعلومات ذات الصفة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وتسهيل التعاون والتبادل لمصلحة بلديات المدن الأعضاء كافة. وإضافة إلى ذلك، تقدم الحكومة الإسبانية مساعدات ومنحًا ثقافية وعلمية للطلاب الأرجنتينيين المتيمين في إسبانيا، وتوجد علاقات اقتصادية متميزة جدًا مع الحكومة الإسبانية، والدليل على ذلك الاستثمارات الإسبانية الكبيرة في الأرجنتين، والاتفاقية الثنائية للتعاون الاقتصاد والمالي بين البلدين بهدف تحريك اقتصاد الدولتين.

العرب في الأرجنتين

تعدّ الجالية العربية من الجاليات المهمة في الأرجنتين حيث تفخر وتعتز بأنها ما زالت متعلقة بالوطن الأم، وتُعرف باندماجها الكامل في الحياة الأرجنتينية، وما يؤكد ذلك هو وصول بعضهم إلى مراكز قيادية في البلاد سواء في السلطة أو في الصحافة أو الأدب.

كما يسهم كثير من المثقفين المنحدرين من أصل عربي في دعم كرامة الأرجنتين التي يعيشون فيها، ويقدمون براهين جديدة على أن الدم العربي الأصيل مملوء بالوفاء وحب الخير والعرفان بالجميل. والجالية العربية في الأرجنتين هي واحدة من الجاليات النشيطة جدًا، حيث تجمعها منظمة الفياراب في الأرجنتين، والتي ترتبط مع مثيلاتها في المهجر الأمريكي مثل البرازيل وتشيلي وكولومبيا وفنزويلا .. كما وتصدر الجالية صحيفة اسمها «الوطن». وأسست جمعيات عربية في غالبية المدن الأرجنتينية تعمل على تعليم اللغة العربية، وتتكفل بإعطاء الرأي العام الأرجنتيني الفكرة الحقيقية عن العرب والمسلمين التي حاول الغرب تشويهها.

مقر الحكومة الارجنتينية





1- Histaria de America Latina G. Vazquezy N.M. Diaz, Ediproyectos. S.A, Barcelona. 19...

2- Argentina Guia del Viajero. Bueves Aires, 1996

3- Tribuna de Actualidad, N - 542, Madrid, 1998

4- مجلة الآداب الأجنبية، العدد ٩٠ دمشق، ١٩٩٧م.

5- مجلة الرافد، العدد ٢٥، الشارقة، ١٩٩٩م.





تلاميذ المدارس في الشعر الـ

ـعربي المعاصر

أحمد حسن الخميسي

حلب ـ سورية

المدرسة هي أهم مكان لتربية الأطفال (التلاميذ) الذين يتطايرون فيها كالعصافير التي تزقزق وهي فرحة مسرورة بين الصفوف والملاعب والمرافق. ترعاهم أعين المعلمين والإداريين. وتربيهم وتجعلهم يمارسون أنشطتهم المفيدة ليكونوا جيلاً مثقفًا واعيًا ينهض بالأمة، ويبني لها عزها، ويحقق لها كرامتها. لقد رصد الشعراء هذه الحياة التي يعيشها التلاميذ، وقدموها لنا صورًا جميلة ومعبرة عن جد التلاميذ وهواياتهم ولعبهم.

إن العام الدراسي يبدأ في فصل الخريف، وينتهي في أوائل فصل الصيف، فيفرح التلاميذ، ويقبلون على المدرسة زرافات ووحدانًا وهم ينشدون:

عُدنا عدنا بدفاترنا
بأغانينا وبشائرنا
البسمة في شفتي
ما أحلى مدرستي
ما أحلى الدرب عصافيرا
وفراشات وأزاهيرا
والفصل خريف (١)

وعن بدء الدراسة وإقبال التلاميذ أفواجًا أفواجًا وهم مرفوعو الرأس، يقول الشاعر التونسي مصطفى عزوز:

أدبر الصيف سريعًا
فهلموا يا رفاقْ
ساعة العودة دقت
للِقا بعد الفراقْ
مرحبًا يا معهدي
أنت ذخري في غدي
هذه الأطفال تسعى
كالسيول الجارفه
تملأ الدنيا نشاطًا
في خطاها زاحفه
ترفع الرأس تنادي
نحن آمال البلاد ! (٢)

ويمضي التلاميذ في الاجتهاد والتحصيل، ويجتازون الامتحان في نهاية العام، وتعلن النتائج، ويُعرف الناجحون، وتبدأ عطلة الصيف فيقول الشاعر مصطفى عزوز:

أقبل الصيف ضحوكًا كالصباح
وانقضى العام جهادًا وكفاحْ
كل من كد فقد نال النجاح
سَيُقَضّي الصيف لهوًا وانشراحْ
نحن قوم ليس يعرونا الكسل (٣)

التلاميذ في المدرسة

في كل يوم من أيام الدوام المدرسي، يقف التلاميذ لتحية الصباح، ثم يتوجهون إلى الصفوف مثنى مثنى بانتظام، لتمتد إليهم يد المعلم برفق وحنان، تزيل عنهم غشاوات الجهل، وتربيهم ليشبوا على الاستقامة. وفي الصفوف يسمعون ويكتبون، ويناقشون ويتحدثون.

وأحيانًا يشاغبون.

كل ذلك رأته أعين الشعراء والمعلمين منهم خاصة، فرسموا تلك المشاهد. يقول الشاعر جابر خير بك على لسان أحد التلاميذ:

رفاق الصف أصحابي

وخلاني وأترابي

هموم الدرس تجمعنا

كإخوان وأحباب

وننهل من منابعه

سنا علم وآداب

ندوّن في دفاترنا

خلاصة رأي كُتّاب

فندرسها ونحفظها

ونبقى خير طلاب

يداعب بعضنا بعضًا

بلا عنف وإرهاب

المعلم يهب للأجيال عصارة جهده



التعليم عمل شاق، ومهمة صعبة، ويزيد من متاعبه شغب التلاميذ وضجيجهم، مما يجعل المعلمين يشكون، ويرفعون أصواتهم بالشكوى بسبب ما يلاقونه من عنت الذي يعلمون

أبادل من يبادلني

بأقلامي وألعابي

ونقضي اليوم في مرح

وفي درس وإعراب (٤)

فإذا ما خرجوا إلى ملعب المدرسة علا صياحهم، وهم يلعبون ويتراكضون، فيرتاحون من عناء الدرس، يغمرهم الحب والوئام:

أجمل الساعات بعد التعب

هي ما تمضي بنا في الملعب

نتلاقى في عراك ليّن

ناعم اللمس شديد الصخب

نملأ الملعب من أصواتنا

بعضنا يعدو كعدو الأرنب (٤)

وإذا سنحت الفرصة لإجراء مباراة بكرة القدم أو بأي لعبة أخرى، يقسّم اللاعبون أنفسهم إلى فريقين، وكل فريق له ما يميزه، ويدورون في الملعب كالكواكب في كبد السماء:

كل فريق ينتقي أصحابه

صادق الحب نبيل المطلب

وفريق في لباس أسود

وفريق في لباس الكوكب

وعلى الصدر خطوط برزت

بحروف من حرير القصب



المدرسة أهم مكان لتربية الأطفال

وجموع في حماس صاخب

يغمر الدنيا لأدنى سبب

تتلوى كفراشات الضحى

كلما دقت طبول اللعب (٦)

إلى جانب هؤلاء اللاعبين الصاخبين، توجد فئة هادئة، تقضي الفرصة بين الدروس في أحاديث وسمر، يصفهم الشاعر جابر خير بك بقوله:

ولفيف هادئ يمشي معًا

يتناجى في حديث طيّب

وأظنهم قلة بين تلاميذ المدارس في هذه الأيام.

وتطير العصافير فرحًا إذا ما نظّم لهم المعلم رحلة إلى الآثار التاريخية، أو صحبهم في نزهة إلى حديقة أو غابة.

وذات يوم قام الشاعر المعلم مصطفى أحمد النجار برحلة مدرسية مع تلاميذه إلى قلعة حلب. وأمام القلعة وقف أحد التلاميذ أمام الباب الكبير، يسأل عن حامل مفتاح باب القلعة، الذي يظنه كبيرًا يحتاج إلى رجل قوي لحمله، فوقف المعلم عند هذا السؤال ليدخل إلى عالم الأطفال، ويقدم لهم جوابًا للسؤال، ويقدم لهم بعض الوصايا التي تنير لهم الطريق. يقول لهم الشاعر بعد أن يصف فراشاته أمام باب القلعة:

عندما يقوم المعلمون بواجبهم، وتهتم الأمة بتربية الأجيال، ويتعاون الجميع من أجل ذلك، يبزغ فجر جديد؛ لأن مستقبل الأمة سيقوم على أكتاف جيل عرف طريقه، وتسلح بالعلم والإيمان



ويسأل طفل بريء سؤالاً

فيفتح قلبي ... تطير فراشات

تجري قناديل ... أشهَقُ أشعُرُ

أن دموعًا تسيل

صغيري .... صغاري

تلاميذ هذا الزمان العصي العجيب

أود جواب السؤال

وحالاً أريد التفكر في مقفلات الحصون ...

فهذا الزمان خطير المراس

وهذا الزمان جميل ...

فكونوا خيولاً

تراكض فوق سنام الوجود

وفرسان عصر بغير حدود

لنفتح بالسيف بابًا وبابا

وبالحرف نفتح باب الحياة ..(٧).

لقد طالب الشاعر التلاميذ بالصعود إلى المجد منذ الصغر ليفتحوا العالم بالحرف والسيف. ولكل من الحرف والسيف دلالاته.







العلم في الصغر كالنقش في الحجر

دور المعلم في تربية التلاميذ

إن المعلم يهب للأجيال عصارة فكره، ويرعاهم بعينه، حتى يشتد عودهم، وينشؤوا وقد تزودوا بالعلم، وتحلوا بالأخلاق الفاضلة.

فعن تأثير المعلم بتلاميذه وتأثرهم به، نسمع الشعراء يقولون معترفين بفضل المعلم وعطاءاته، فيقول الشاعر مخاطبًا المعلم:

غسلت عن عقولنا الظلاما

فأعشب الطريق واستقاما

زرعتنا سنابلاً تموج

زنابقًا تفوح أو خزامى (٨)

ويقول الثاني:

أحبيبَ هذا النشءِ تسـ

ـقيه على ظمأ دماكْ

كم وردة من غرس نفـ

ـسك راح يجنيها سواكْ!!

تروي الظّماءَ القاصديـ

ـك ولا تبلُّ به ظماكْ (٩)



يجد المعلم صعوبة في التعامل مع الصغار

ويقول الثالث عن المعلم:

يرعى مع الأيام قافلة

تحدو جبين الشمس تأتزر

تجتاز درب النور عاشقة

في علمها تنمو وتزدهر

عين على الأطفال تحرسهم

والنور في الألواح ينتظر [10]

ويعلن الشاعر المعلم محمد فهمي الحمدان أنه يقوم بتربية الجيل: لأن ذلك حق لأمته عليه:

وننشئ الجيل مشدودًا بأجمعه

لدورة الفكر والأخلاق والهمم

حق لأمتنا الا نخيبها

أشبالها من دواعي العز والعظم [11]

وعندما يقوم المعلمون بواجبهم، وتهتم الأمة بتربية الأجيال، ويتعاون الجميع من أجل ذلك، يبزغ فجر جديد: لأن مستقبل الأمة سيقوم على أكتاف جيل عرف طريقه، وتسلح بالعلم والايمان، فمن المدارس شع النور، وانبثق الضياء:

من هنا ينبثق الشعب منارًا

مبدعًا فالليل ينداح نهارا

من هنا يطلع فرسان الضحى

حُلُمًا حلوًا على الليل أغارا [12]

إن الأطفال هم أمل الأمة وغدها المشرق. إن تلقوا العلم النافع ارتفعوا إلى المعالي. وكانوا درعًا يدافعون عن وطنهم وقيمه السامية. يقول شوقي في صغير تعلم:

فرب صغير قوم علّموه
سَمَا وحَمَى المسوّمة العِرابا
وكان لقومه نفعًا وفخرًا
ولو تركوه كان أذًى وعابا (١٢)

وينظم الشاعر محمد صالح علوش قصيدة يبيّن ما حققه المعلم فيه وفي أقرانه:

علمتنا شتى المعارف سُقْتَهَا
عبر الدروس وكلّنا إقبالُ
ففتحت آفاق الحياة أمامنا
وبذي المآثر تعظُمُ الأفعالُ
يامن يصوغ من الصمود ملاحمًا
تروي جميع فصولها الأطفالُ
قد أثمر الغرس الذي روّيته
وغدتْ له تحت الغصونِ ظلالُ
فارفع جبينك عاليًا بين الورى
فخرًا فقد كبرت بك الآمالُ (١٤)

ويحدثنا الشاعر المعلم: رضوان الحزواني عن أفعال تلاميذه، وما حققوه في ميادين الحياة بعد أن سقاهم من عصير روحه فيقول:

أسقيتهم قطر الجبين فازهروا
وعصرت روحي فيهمُ فاخضوضروا
زرعوا الليالي العابسات مشاعلاً
صنعوا الحياة من الجراح وعمروا
من كل شبر منهمُ لي كوكب
تشدو به الدنيا وتزهو الأعصر (١٥)

ولكي يقوم المعلم بدوره، ويواصل مسيرته في تربية الجيل، ويحقق الآمال يجب أن يُرفع شأنُه، ويحْترم ويقدَّر، ويُعطى حقه كاملاً، يقول الشاعر محمد حمزة:

ولترفعوا شأن المدرّس كي نرى
جيلاً مناه العيشُ في الجنات
جيلاً قويًا صالحًا ومثقفًا
مترفعًا عن سيّئ العادات (١٦)

شغب التلاميذ ومعاناة المعلم

إن التعليم عمل شاق، ومهمة صعبة، ويزيد من متاعبه شغب التلاميذ وضجيجهم، مما يجعل المعلمين يشكون، ويرفعون أصواتهم بالشكوى بسبب ما يلاقونه من عنت الذي يعلمون، خاصة إذا ضاعت جهودهم هباء ولم تحقق ثمارها المرجوة، مما دفع بعض المعلمين الشعراء إلى تصوير هذه الظاهرة تصويرًا دقيقًا فهم أقدر على ذلك من غيرهم.

إن الشغب هذا يؤثر في سير الدرس، فلا يصل المعلم إلى ما يريد من نتائج، فيخسر التلاميذ، ويتراجعون في دروسهم، يقول الشاعر محمد فهمي الحمدان يصف الشغب والنتائج:

ليس المعلم هانئًا أبدًا ولو
قد مارس التعليم شهرًا في فتور
إذ كيف يهنأ من يصاحب صبية
طول النهار ولا أقول مدى الشهور
فضجيجهم دومًا كاصخب آلة
لا يتعبون من الزعيق من النفير

ويتابع فيصف لنا ما يلاقيه من الجيل من صدود عن العلم فيقول:

وأسير في عرض الدروس بهمة
جبارة تجثو لها صم الصخور
وأظن أني قد برعت بهمتي
وصنعت جيلاً يمتطي هول البحور
وأجيل طرفي في الوظائف كي أرى
جهدًا وكدًا في تضاعيف السطور

فأرى حمارًا جاثمًا في هيكل

لا يشبه الإنسان إلا في القشور [١٧]

وكذلك الشاعر السعودي عبدالله سليم الرشيد يعدّ شغب التلاميذ وضجيجهم من الأسباب التي تؤدي إلى شقاء المعلم وتعبه فيقول:

إذا ما دخلت الفصل حوقلت هامسًا

وناديت يا رباه كن خير ناصر

تلامذة مثل العفاريت أجلبوا

علي فمن شادٍ بلغو ونافرِ

وأحسب أني بالتلاميذ مبدل

شيوخًا كبحر باللآلي زاخرِ

فألقاهم من بعد شر عصابة

وإذ بصياحي كان صفقة خاسر [١٨]

هذا الحال بالإضافة إلى متاعب أخرى، جعلت قسمًا من بناة الأجيال، ينظرون إلى التعليم نظرة سوداوية، عبروا عنها شعرًا، وبثوا من خلالها أحاسيسهم ومعاناتهم، وأغرق بعضهم في التشاؤم حتى قالوا: إن المعلم نهايته الانتحار بسبب ما يعاني. يقول الشاعر إبراهيم طوقان ردًا على الشاعر أحمد شوقي الذي رفع من شأن المعلم والتعليم:

شوقي يقول وما درى بمصيبتي

(قم للمعلم وفه التبجيلا)

اقعد فديتك هل يكون مبجلاً

من كان للنشء الصغار خليلا

ثم يقول عن نهاية المعلم كما يراها:

لا يعجبوا إن صحت يومًا صيحة

ووقعت ما بين البنوك قتيلا

يا مَنْ يريد الانتحار وجدته

إن المعلم لا يعيش طويلا [١٩]

ويقول الشاعر محمد سعيد الكيلاني الذي قضى عمره في التدريس حتى أحيل إلى التقاعد:

لا تلوموا معلّمًا إن تداعى

بعد طول التدريس والإعياء

إنها جلطة وأرحم يومًا

من دخول التعليم وقت الغلاء [٢٠]

ولم يكن الشاعر إبراهيم طوقان محقًا في رده على شوقي: لأن شوقي يعلم ما يلاقيه المعلم، لكنه نظر إليه نظرة المعلم الذي يحمل رسالة العلم التي هي أشرف رسالة، ولم ينظر إليه نظرة معلم موظف يعاني من عمله.

ولئن سئم بعض المعلمين من صحبة الدفاتر والصبية العفاريت، إن بعضهم عصب على جرحه، واستمر في جهده وجهاده صابرًا محتسبًا: لأن عزاءه - على الرغم من عنائه - في أطفال بعمر الورد، سيشتد ساعدهم، ويسمو شأنهم، ويبنون حضارة الأمة ومجدها.

يقول أحدهم:

سنعصب الجرح مهما اشتد مبلغه

ولينهض الجيل ولتنهض بنا العربُ

درب الكفاح قد اختارته أنفسنا

ولن نحيد ولم نمنن بما نهبُ [٢١]

والشاعر رضوان الحزواني يعدّ عزاءه القلم والدفتر، وبناء النفوس على الفضيلة على الرغم من جحود الآخرين لفضله، فيقول في قصيدته «الشمعة المنسية»:

قلم عزائي في الحياة ودفترُ

إن كان فضلي في الورى لا يذكرُ

إن كان يغفلني الزمان بجهله

فالعلم يذكرني وهذي الأسطرُ

حسبي من الدنيا الكَفَافُ وأنني

أبني المعالي في النفوس فتزهرُ

ويقدم لنا المعلم الشاعر محمد باكير في قصيدته «ما ضاع عمري» بأنه معتز برسالته، ويرى المعلم أكرم من مشى على الأرض: لأنه يحمل مشعلاً وضاء، ولو



كثير من المعلمين يعتزون بدورهم مع ما يجدونه من عناء

خيروه بين أن يكون معلمًا يربي الأجيال أو ملكًا يحكم الرعية لاختار الأولى:

قم للمعلم أنت أكرم من مشى
فوق التراب بعفة وتكرم
ستظل في ليل العروبة مشعلاً
يهدي خطانا للسبيل الأقوم
لو خيروني أن أكون مـلـكًـا
أو قيصرًا للبست ثوب معلم (٢١)

وصايا للتلاميذ

لم يكتف الشعراء بوصف التلاميذ في مدارسهم، وإظهار العلاقة بينهم وبين معلميهم وأصدقائهم. بل وجهوا لهم النصائح التي تدعوهم إلى التحلي بالأخلاق، والتزود بالعلم، قال الشاعر خضر عكاري في قصيدة -قالت لنا المعلمة-:

قالت لنا المعلمة ...
تيقظوا ... وثابروا ...
على طريق العزم والأمان
هذي يدي
أمدها ... إليكم
بالعطف ... والحنان
قالت لنا المعلمة:
تسلحوا ... بالعلم والعرفان
محبة ... الإنسان! (٢٢)

ولقد دعا الشاعر مصطفى عزوز من تونس، في قصيدة قدمها لأبناء المدارس، إلى التمسك بالفضيلة، ونبذ الرذيلة، والتسلح بالعلم، وترك الجهل، فأنشد يقول:

كن في حياتك للفضيلة جارا

وامسح عليك من الجهالة عارا

واحمل على الجهل البغيض مهنّمًا

حتى تشاهد صرحه منهارا

وعليك بالدرس الحثيث منقبًا

من كل فن خذ له مقدارًا

واسهر فإن الحظ معقود لمن

باتوا الليالي بالدروس سهارى

العلم مفخرة الزمان فَلُذْ به

واجعل نصيبك في الحياة فخارا(٢٤)

لقد رصد الشعراء حياة التلاميذ في المدارس في الصف وخارجه، ونسجوا حولها قصائد شعرية مباشرة، فيها المحبة والود والحرص على أمل الأمة وغدها، وفيها الحس بالمسؤولية، كما وصفوا الأطفال في المدارس بصفات جميلة، فقالوا عنهم: زنابق وخزامى وأزهار ونعتوهم بالثمار الطيبة، وأنهم لبنات يبنى بهم صرح الوطن، وقالوا عنهم: إنهم الأشبال والنشء الذي يسقيه المعلمون من روحهم وأفكارهم ما يسمو بهم إلى المعالي. إلى جانب ذلك رأينا المعلمين الذين ينظرون إلى التعليم نظرة سلبية لما فيه من متاعب يصفون التلاميذ بالغباء والبلادة؛ لأنهم لا يفهمون، وأكدوا أن أعصاب المعلم تكاد تتقطع من شغبهم.

لقد قدم الشعر كثيرًا من الجوانب التي تتعلق بالتلاميذ، ولكن يبقى في المجال متسع لقول الشعر الجميل في زهرات المدارس من زوايا متعددة، فهل من قصيدة عن نظامهم ومظهرهم وجمال محياهم ولباسهم الموحد؟ وهل من قصيدة عن ساعة الامتحان وانهماك التلاميذ فيه؟ وما يحمل الامتحان من دلالات ورموز في حياة الصغار والكبار؟

وربما قيل في ذلك ما قيل، ونتمنى في يوم من الأيام أن نعثر على قصائد أجمل، فإن التغني بالأطفال أشد سحرًا من التغني بالأشجار والأنهار والأطيار؛ لأن ما في الطبيعة من خيرات وجمال خُلِقَ من أجل عيون ابن آدم.

المراجع

١. سليمان العيسى، الأناشيد المدرسية، مطبوعات وزارة التربية، دمشق، سورية، ص ٢٧٢.

٢. العصافير، أناشيد، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م، ص ١٢.

٣. المرجع نفسه، ص ٤٤.

٤. الرياحين، مجموعة شعرية، دار المجد، دمشق، ص ٥٩.

٥. المرجع نفسه، ص٦٧.

٦. المرجع نفسه، ص٦٧.

٧. من سرق القمر، مجموعة شعرية، مطبعة المعري، حلب، ١٩٧٧م.

٨ الشاعر عبدالرحمن حيدر، دمشق.

٩. الشاعر الأخطل الصغير (بشارة الخوري)

١٠. الشاعر احمد دوغان، قصيدة المعلم هذا المعنى نشرت في صحيفة الجماهير، العدد ٣٦٤١، عام ١٩٧٧م

١١. محمد فهمي الحمدان، متاعب المعلم، مجموعة شعرية ١٩٦٩م.

١٢. نصوح فاخوري، صانع الأجيال، مجموعة شعرية، وزارة التربية.

١٣. أحمد شوقي، حياته وشعره، إعداد ضحى عبدالعزيز، إصدار دار كرم، دمشق، ص٦٤.

١٤. مجلة بناة الأجيال، العدد ١٢١، عام ١٩٩١م.

١٥. مجلة بناة الأجيال، العدد ١٢٢، عام ١٩٩١م.

١٦. مجلة الفيصل، العدد ١٧٨، ص ١١٨

١٧. متاعب المعلم، مجموعة شعرية، طبعت عام ١٩٦٩م.

١٨. الشاعر عبدالله سليم الرشيد، قصيدة (صفقة خاسر)، السعودية.

١٩. الأمثال والحكم، احمد قبش.

٢٠. شعر إلى أبنائي، مجموعة شعرية من قصيدة المعلم المتقاعد.

٢١. فهمي الحمدان، متاعب المعلم ...

٢٢. الثقافة الأسبوعية، دمشق، العدد ١٥، عام ١٩٩٣م.

٢٣. أناشيد للطفولة، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٧م.

٢٤. العصافير، أناشيد مدرسية، الشركة التونسية، ص ٤٠.

ردود ...... وتعقيبات

استدراكا على «فلسطين: التاريخ المصور»

سعدت بما قامت به الفيصل في العدد ٣٣٤، ربيع الآخر ١٤٢٥هـ يونيو/حزيران ٢٠٠٤م في تعريفها بكتاب د. طارق سويدان الأخير «فلسطين.. التاريخ المصور: دراسة تحليلية متسلسلة منذ بدء التاريخ حتى أحداث الساعة بالصور».

والكتب الموسوعية التي تحدثت عن القضية الفلسطينية كثيرة، فقد صدر قبل أكثر من ثلاثين عامًا كتاب موسوعي كبير للأستاذ مصطفى مراد الدباغ في اثني عشر مجلدًا، وعدّ في وقتها أفضل كتاب موسوعي تكلم على فلسطين تاريخيًا وجغرافيًا وسياسيًا وإحصائيًا وغير ذلك، وفي عام ١٩٨٥م صدرت من دمشق الموسوعة الفلسطينية في أربعة مجلدات كبيرة، واثير جدل كبير حولها ما بين مؤيد ومعارض حتى اصدر الأستاذ زهير الشاويش كتابًا في ٢٧٠ صفحة أسماه «الملحوظات على الموسوعة الفلسطينية» عن المكتب الإسلامي ببيروت وذلك سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ولدى قراءتي لكتاب فلسطين.. التاريخ المصور، وجدت أنه كتاب قيم يستحق الاقتناء لما حوى من معلومات مهمة حول فلسطين منذ أقدم العصور حتى أيامنا المعاصرة إذ يعد سجلاً مهمًا مدعمًا بالصور الكثيرة قلما تجد مثيلاً لها في موسوعة كبيرة، ولكن لا بدّ من الإشارة إلى عدة أخطاء تاريخية وجغرافية وسياسية وقع فيها مؤلف الكتاب حتى يتم تداركها في الطبعات القادمة ليكون الكتاب أكثر كمالاً وإتقانًا، علماً بأن هذه الملاحظات، كما يقال، من الهنات الهينات، وذلك للجهد الكبير المبذول في هذا الكتاب، ومن هذه الأخطاء:

- في ص ٤٠ من الكتاب عرض صورة وقال عنها: إنها لقبر داود عليه السلام في القدس!! وأظن أن مصدر الصورة من المراجع اليهودية، لأن اليهود يحاولون البحث عن أي مصدر لتاريخهم في فلسطين، فعلى الرغم من الادعاءات الكثيرة فإنه لم يثبت شيء من ادعائهم، وصاروا يلجؤون إلى الكذب والخداع، فالصورة المنشورة في الكتاب موشحة بنجمة داود، وبكلام عبري فهل نعتمد مصادرهم وتدليسهم!! وكذلك فإن المراجع العربية لا تجزم بمكان قبر داود عليه السلام، وهم - أي اليهود - يألون جهدًا في إثبات أي أثر يدل على وجودهم في فلسطين فلم يجدوا، لقد حفروا الأنفاق الكثيرة حول الأقصى، ولكن محاولتهم كلها باءت بالخيبة والإخفاق، ويحاولون التدليس والتزوير، فهل نساعدهم على نشر أكاذيبهم وادعاءاتهم؟

- في ص ٥٨ صورة لقلعة بناها الملك هيرود، ذكر المؤلف عنها: فيها انتحر ٩٦٠ من اليهود بدلاً من الاستسلام للرومان. أقول وهذه المقولة كذلك من المراجع اليهودية التي ليس لها أصل عندنا، فالغاية من ذكر ذلك إظهار الظلم الذي وقع على اليهود، وفي الوقت نفسه إظهار قوة شكيمتهم وعزمهم ورفضهم للذل والهوان.

- في ص ٧٥ عند حديثه عن غزوة خيبر يذكر: «...... ورحل قسم منهم نحو فلسطين ممن ضاق به العيش

تحت هذه الحال .... وأنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه طردهم منها أيضًا فرحلوا إلى سيناء أولاً. ثم توجهوا إلى فلسطين. وبدأ من جديد التجمع اليهودي في فلسطين». والصحيح كما تذكر كتب السير أن الرسول صلى الله عليه وسلم أجلاهم نحو الشمال. أما عمر فلم يجلهم من سيناء لأنهم لم يصلوا إليها. بل أجلاهم شمال الحجاز فاتجهوا نحو تيماء وأريحاء كما ذكر البخاري في الفتح (١١٨٦/١٢) ومسلم (١١٨٧/٣).

. في ص ٨٠ ذكر عن معركة أجنادين أنها إعجاز عسكري فريد. والصواب إنجاز عسكري فريد.

. في ص ٨٧ ذكر أنّ أبا عبيدة عين معاوية واليًا على الشام. والصحيح أن عمر بن الخطاب هو الذي أقر معاوية واليًا على الشام بعد أن استخلفه ابو بكر الصديق بعد موت أخيه يزيد .

. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٥١) وغيره من المراجع.

. في ص ٩٨ ذكر في حوادث عام ٣٥٩: ذكر أن الحاكم الفاطمي أرسل وزيره «جعفر بن صلاح» إلى الشام وفلسطين. والصواب هو جعفر بن فلاح الكتامي «الذي أرسله جوهر الصقلي الذي كان غلامًا للمعز لدين الله. الكامل في التاريخ حوادث سنة ٣٥٨هـ.

. وفي ص ١٠٠ ذكر المؤلف في حوادث سنة ٤٧٢هـ أنّ الحاكم الفاطمي «المستنصر بالله أوصى بالخلافة قبل موته لابنه المستعلي بالله» والصواب أن المستنصر لم يوص لابنه المستعلي. بل قام بذلك وزيره الأفضل: لأن المستعلي كان ابن أخته: وقد نحّى الولد الأكبر نزارًا. وقد ذكر ذلك ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ... «وكان قد عهد بالخلافة في حياته لابنه نزار. فخلعه الأفضل. وبايع المستعلي» حوادث سنة ٤٨٧هـ. لا كما ذكر المؤلف سنة ٤٧٢ هـ.

. في ص ١٢١ ذكر «أنّ الفاطميين قاموا باغتيال عماد الدين زنكي» والحقيقة أن الذي اغتال عماد الدين زنكي جماعة من مماليكه عندما كان يحاصر قلعة جعبر شمال سورية. ذكره ابن الأثير في حوادث ٥٤١هـ. وذكر ابن القلانسي ص٢٨٤ أنّ الذي قتله يرنقش. وأصله أرمني . وهو أحد خدمه . وكان في نفسه حقد عليه لإساءة تقدمت منه عليه: ووافقه عليه بعض الخدم. وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ثلاثة نفر من خدامه ذبحوه على فراشه.

. في ص ١٢٤ذكر المؤلف أنّ الخليفة الفاطمي في مصر«العابد» قد عين ثلاثة وزراء. والصحيح الخليفة «العاضد» لا «العابد» وهو آخر الخلفاء الفاطميين. وقدعين وزيرين هما «شاور» و«درغام» والثالث الذي تولى الوزارة هو «العادل» ابن الصالح بعد وفاة أبيه لا العاضد كما ذكر المؤلف. «ابن الأثير الكامل في التاريخ حوادث ٥٥٨».

ـ في ص ١٣٠ ذكر أن حصن الكرك في فلسطين، والصحيح أنه في الأردن.

ـ في ص ١٣٨ ذكر أن أرناط أمر سفنه بالتوجه إلى الجزيرة، والصحيح إلى الحجاز.

ـ في ص ١٨٣ ذكر أنّ «طوران شاه» كان في الموصل وقت موت أبيه، والصحيح أنه كان في حصن كيفا جنوب تركيا.

ـ في حوادث عام ٦٥٦هـ في ص ١٨٦ ذكر«أن العز ابن عبد السلام أعلن عزل الخليفة المنصور ابن العشر سنين وأعلن الخلافة لقطز» والصحيح أنه أعلن السلطنة له لا الخلافة، وفي الصفحة نفسها ذكر أن المغول تحركوا نحو الشام فاستسلمت لهم دمشق دون قتال، فتوجهوا نحو حلب فقاوم أهلها، والصحيح عكس ما ذكر المؤلف فالمغول توجهوا إلى حلب أولاً ثم إلى دمشق.

ـ في ص ١٨٨ ذكر «مؤلف أن قطز استعاد كل البلاد الشامية، وفرّ المغول أمامه، ولم يتوقفوا إلا في بخارى، والصحيح بقي التتار في شرق الفرات بالعراق مدة من الزمن. وفي الصفحة نفسها يذكر(أن قطز قتله أحد الخونة، وقيل: إنه نائبه «بيبرس» غير أن الدلائل تشير إلى أنه لا علاقة لـ «بيبرس» بذلك، ولم يعلم قاتله). لم أدر ما الدلائل التي تشير إلى غير ذلك، كنا نتمنى لو أطلعنا عليها المؤلف، إذ إن جل من أرخ لتلك الفترة يذكر أن بيبرس قتل «قطز» حسداً على مكانته، ذكره ابن تغري بردي في كتاب النجوم الزاهرة في قصة طويلة، وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء.

«وكان المظفر عزم على التوجه إلى حلب لينظف آثار البلاد من التتار، فبلغه أن بيبرس تنكر له وعمل عليه، فصرف وجهه عن ذلك، ورجع إلى مصر، وقد أضمر الشر لبيبرس، وأسر ذلك إلى بعض خواصه فاطلع على ذلك بيبرس، فساروا إلى مصر وكل منهما محترس من صاحبه، فاتفق بيبرس وجماعة من الأمراء على قتل المظفر، فقتلوه في الطريق في ثالث عشر شهر ذي القعدة، وتسلطن بيبرس، ولقب بملك القاهرة، ودخل مصر، وأزال عن أهلها ما كان المظفر قد أحدثه عليهم من المظالم».

• تاريخ الخلفاء ج١/ص٤٧٦.

ـ في ص ١٨٩ يذكر أن حصن الكرك من أعمال طرابلس، والحقيقة أن الكرك بعيدة عن طرابلس فكيف تكون من أعمالها!!.

ـ في ص ٢٠٢و٢٠٣ يذكر المؤلف أن نابليون ارتكب مذبحة ضد العثمانيين عند انسحابه إلى مصر، والحقيقة أن نابليون ارتكب هذه المذبحة وهو في طريقه إلى يافا عند تقدمه إلى عكا.



وليس عند انسحابه إلى مصر.

ـ في ص ٢٠٤ يذكر أن قوات الخديوي محمد علي باشا بسط سيطرته حتى بلغ أطراف الشام. أقول: وصلت قوات محمد علي باشا الشام وما بعد الشام [illegible] وصل حتى أطراف الأناضول. وعندها حصل اتفاق بينه وبين العثمانيين برعاية بريطانيا تم بموجبه الانسحاب حتى أطراف الشام.

ـ في ص ٢١٦ يذكر المؤلف «... ثم جاء سلطان آخر يسمى عبد المجيد محمد وحيد الدين. لقد جمع اسمي سلطانين في سلطان واحد» فالمعروف أن محمد رشاد تولى الخلافة بعد عبد الحميد ثم محمد السادس المعروف بمحمد وحيد الدين ثم كان آخر الخلفاء عبد المجيد الثاني الذي طرد من البلاد بعد أن تجرد من لقب السلطان، ومات في فرنسا عقب دخول الجيش الألماني لها، ثم نقل إلى البقيع، ودفن هناك حسب وصيته. وفي الصفحة نفسها يذكر أن مصطفى كمال أتاتورك كان [illegible] الجيش في عهد الخليفة محمد رشاد. والصحيح أن محمد رشاد توفي عام ١٩١٨م ويومها لم يكن لأتاتورك ذكر. فربما كان ضابطًا صغيرًا لم يرق بعد إلى البطش والقوة. لا في قمع الثورة، ولا في الحياة السياسية في البلاد. وقد برز نجمه بعد ذلك بعدة أعوام في عام ١٩٢٢م، يوم ألغى السلطنة، وطرد الخليفة عبد المجيد الثاني.

ـ في ص ٢٢٢ عدة أخطاء جسيمة، وذلك عند الحديث عن حركة الشريف حسين ١٩١٥م فقد ذكر: «ولما ذاع خبر الثورة انضمت أعداد كبيرة لها، وانضم إليها شخصيات عربية وإسلامية معتبرة في العالم العربي، ونذكر منهم هنا:

الشيخ محمد رشيد رضا اللبناني الأصل.

الشيخ محمد عبده في مصر.

الشيخ جمال الدين الأفغاني، وصاحب جريدة المنار.

الشيخ محب الدين الخطيب الشهير المعروف، صاحب المؤلفات الشهيرة.

الحاج أمين الحسيني، الذي استطاع أن يحرك الآلاف في فلسطين والشام للانضمام إلى الثورة.

الحاج سعيد الكرمي، مفتي طولكرم.

الحاج سعد الدين الخطيب، إمام المسجد الأقصى».

والمتأمل لهذه الصفحة يجد اضطرابًا واضحًا في الأسماء المذكورة منها: أن الشيخ محمد عبده توفي عام ١٩٠٥م أي قبل قيام الثورة بـ ١١سنة، وأن الأفغاني توفي عام ١٨٩٧م أي قبل الثورة بنحو عشرين سنة، وأن صاحب المنار هو رشيد رضا لا الأفغاني، والحاج أمين الحسيني لم يكن قد سطع نجمه حيث كان طالبًا يدرس في «دار الدعوة والإرشاد» التي أنشأها الشيخ محمد



رشيد رضا، فهو من مواليد ١٨٩٧م ووقتها كان شابًا صغيرًا لم يبلغ العشرين بعد، إلا أنه في عام ١٩١٨م وضحت ميوله ضد الحكم العثماني.

- في ص ٢٥٢ وفي حديثه عن الحرب العالمية الأولى ذكر معركة العلمين، والمعروف أن معركة العلمين كانت في الحرب العالمية الثانية.

- في ص ٢٣٧ ذكر أن المجاهد عز الدين القسام من مواليد ١٨٧١م والصحيح هو ١٨٨٢م حسب ما ذكره محسن صالح في كتابه التيار الإسلامي في فلسطين ص ٢٣١. كما ذكر المؤلف أن القسام قاتل الإنجليز ثلاث سنوات متتالية في سورية، والصحيح أنه قاتل الفرنسيين فقط، ولم يقاتل الإنجليز إلا في فلسطين.

- في ص ٢٢٨ يذكر أن الشيخ القسام صار رئيسًا لحركة الإخوان المسلمين في فلسطين بعد تأسيسها في مصر في هذا العام ١٩٢٨م. أقول: لم يذكر أحد من الذين أرخوا للقسام أو أي ممن بقي على قيد الحياة ممن عرف القسام هذه الرواية .

- في ص ٢٥٥ يذكر أن المجموعة التي انشقت عن الأرجون سميت بـ «عصب شتام» والصحيح أن اسمها هو «شيشرن».

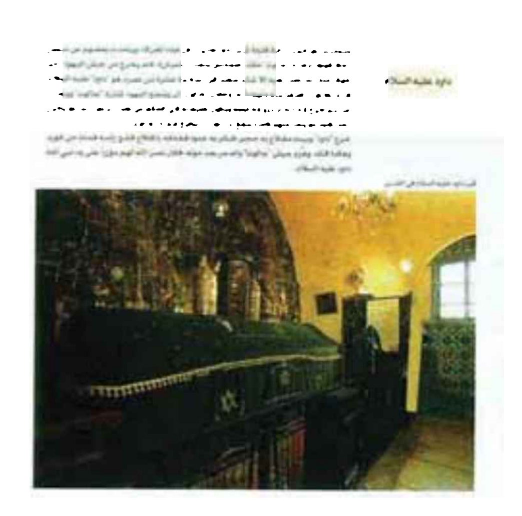
- في ص ٢٥٨ يذكر أن هتلر أرسل القوات الألمانية عبر ليبيا متجهة نحو فلسطين، رغم تهريب السلاح...... لم يرسل هتلر جيشه نحو فلسطين بل ساعد حليفه الإيطالي موسيليني. وفي الصفحة نفسها ذكر أن اليهود قاموا باغتيال اللورد مورين وزير الدولة البريطاني في أثناء زيارته للقاهرة، والصحيح اللورد موين وكان وزير بريطانيا المقيم في القاهرة، وقد حملته العصابات الصهيونية مسؤولية غلق أبواب الهجرة إلى فلسطين.

«رفيق النتشة، الاستعمار وفلسطين ص ٣٢٦».

- في ص ٢٦٤ وتحت عنوان «أحداث النكبة» ذكر : «.... واغتيال أعداد كبيرة من القادة الفلسطينيين، وعلى رأسهم الشهيد عز الدين القسام» الصحيح كان القسام سوريًا، ولم يكن فلسطينيًا، على الرغم من أن هذه النعرات الطائفية لم تكن موجودة في ذلك الوقت.

- في ص ٢٩٣ عرض صورة وكتب تحتها «الملك حسين يستقبل المشير عبد الحكيم عامر قائد القوات العربية المشتركة ١٩٦٤م» والصحيح أن الذي في الصورة المشير علي علي عامر.

- في ص ٣٤٩ ذكر أنَّ أعضاء الحركة الإسلامية استطاعوا أن يأخذوا بعض الأسرى اليهود، وبدأت المفاوضات مع إسرائيل على تبادل الأسرى ...... ووافقت إسرائيل على شرط إطلاق حماس أسراها، وفي ٢٠/٥/١٩٨٨م أطلق سراح الشيخ. ولم أجد توثيقًا لهذا الخبر، فالشيخ أطلق سراحه في المرة الأولى عام



١٩٨٥م بعد أن أمضى ١١شهرًا في عملية تبادل مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة ـ وكان الواجب أن يذكر ذلك ص ٣٣٩ عند ذكر خبر (١١٤٥) مقابل (٣)! أما المرة الثانية التي تم فيها إطلاق سراح الشيخ فتمت بعد المحاولة الخائبة لاغتيال خالد مشعل في عمان: وذلك عام ١٩٩٧م.

ـ في ص ٣٥٦ ذكر أن المحكمة الإسرائيلية أصدرت حكمها على الشيخ أحمد ياسين بالحبس المؤبد في ١٦/١٠/١٩٩١م، وقد تجاوز الشيخ الستين من عمره! أقول: الشيخ ـ رحمه الله ـ من مواليد ١٩٣٨م، وفي تلك الفترة كان عمره ٥٣ سنة فقط.

ـ في ص ٣٥٨ يقول: «وفي تلك الفترة ـ أي ١٩٩٢م ـ برز اسم حزب جديد على الساحة اللبنانية وهو اسم حزب الله الشيعي...» أقول إن ظهور حزب الله قبل التاريخ الذي ذكره المؤلف بنحو عشر سنوات.

هذه الملاحظات القليلة لا تقلل من قدر الكتاب الذي يعد من أفضل الكتب الموسوعية المصورة التي باتت لا غنى عنها للمكتبة العربية في الوقت الذي يميل فيه القراء إلى المختصرات والقراءة السريعة التي تناسب عصرنا. آمل أن يطلع الدكتور طارق سويدان، وكذلك المدقق التاريخي الأستاذ عيسى القدومي على الملاحظات التي ذكرتها وأن يضعاها في الحسبان عند صدور الطبعة الثانية، والكمال لله وحده.

خليل محمود الصمادي

الرياض ـ السعودية





اعتذار

فوزية العلوي

القصرين ـ تونس

عُذْرًا إذا حَطَّ القَطَا

سهْوًا على شُبَّاكِكُمْ

أَوْ أزْهرَتْ فِي غفلةٍ من عُمْرِها نَارَنْجَةٌ

أَوْ نسمةٌ حطَّتْ على أعْنابِكُمْ

أَوْ نَجْمَةٌ أغْفَتْ إذا حلَّ المَسَا

أَوْ دَمْعَةٌ نامتْ على أهدَابِكُمْ

عُذْرًا فمَا.....

عُذْرًا فما في خاطري أنْ أستبيح الرّيحْ

او أصْطلِي نَارَ اللّظى

فلا رَنَتْ غزلانُ قلبي للمدَى

ولا شَدَتْ زيتونةٌ في خِدْرِهَا

ولا هفتْ أقداحُ رُوحي للنَّدَى...

عُذْرًا فمَا....

عُذْرًا فما في خاطري أن أغْزوَ الأنهارْ

أَوْ مَوْجَةٌ تأتي إليّ

عُذْرًا إذا ضاقَ المَحَارْ

بوميضِ قلْبي أوْ يَدَيّ

عُذْرًا فمَا في خاطِري أنْ اطْفِئَ الأقْمارْ.

عُذْرًا فما فِي نيَّتي أَنْ أستفزَّ المَوْج

أوْ أخطفَ الملاحَ مِنْ احْزَانِهِ

أَوْ أشتهي الاَّ يضُوعَ المَزْج

أَوْ أُرْبِكَ الحسُّونَ فِي الحَانِهِ

عذرًا فمَا فِي نيّتِي أَنْ أُفْزِعَ الأطْيَارْ

عُذْرًا إذا رَفَّ اليَمَامْ

أوْصيتُه ألا ينوحْ

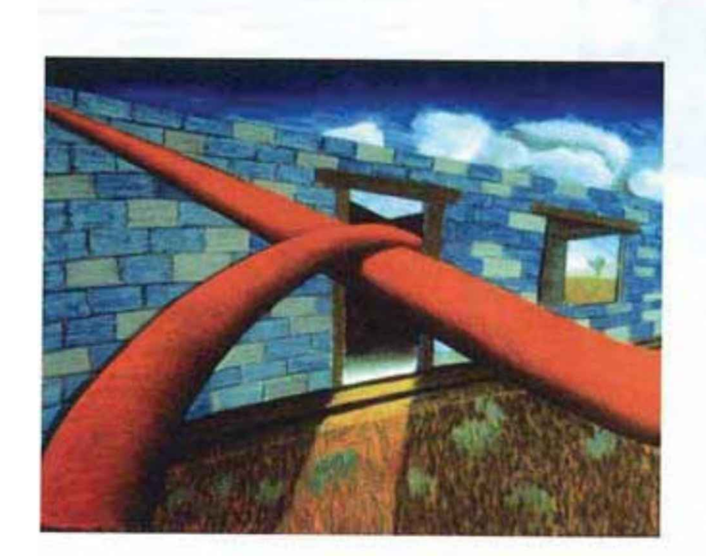
أَوْ فَجْأَةً حطَّ الغَمَامْ

وَرَمَانِي قَمْحًا للسّفُوحْ

لَمْ ارْتضِ للمَاءِ يَوْمًا أن يبُوحْ

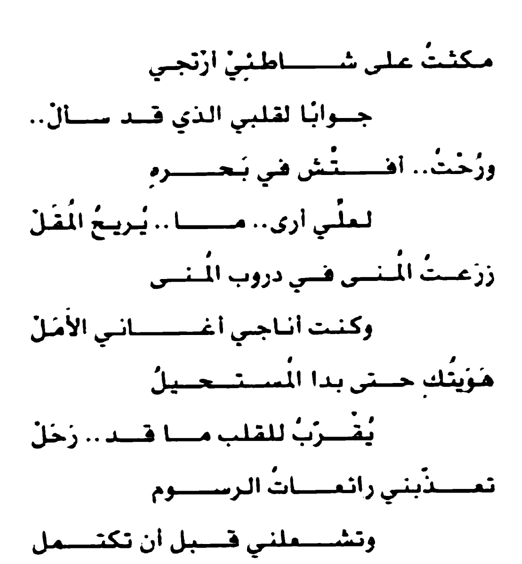
ولا رضيتُ مُطْلَقًا انْ تَغْضَبَ الأمطَارْ

عُذْرًا فَمَا فِي خَاطِري أنْ أُوقفَ التيّارْ



هناك

محمد الجلواح
الأحساء – السعودية



مكثتُ على شاطئيْ ازتجي
جوابًا لقلبي الذي قد سألْ..
ورُحتُ.. أفتّش في بَحره
لعلّي أرى.. ما.. يُريحُ المُقَلْ
زرعتُ المُنى في دروب المُنى
وكنت أناجي أغاني الأمَلْ
هَوَيتُك حتى بدا المُستحيلُ
يُقرّبُ للقلب ما قد.. رَحَلْ
تعذّبني رائعاتُ الرسوم
وتشعلني قبل أن تكتمل

يُعذبني (اللون) في (مَشغل)
(يُشكّلُ) شوقًا ويرمي (شُغلْ)
ويأسرني الفنُّ من ريشةٍ
تُدبّجُ.. للحُبّ أحلى الجُمَلْ
صَحَتْ مُقلتي من سُباتٍ طويلٍ
ولبّتْ نداءَ رفيعَ المَحَلْ
أيا بنتَ قومي: أيا مُنْيَتي
أحبّكِ حقًّا فجودي بِحَلْ
لمستُ نجومَ السماءِ الحِسانَ
وصِرْتُ قريبًا لأرضِ زُحَلْ
حسمتُ.. بحبّكِ حُبّي... الأخيرَ
فيا.. لَلأخيرِ ويا.. لَلعَسَلْ..!





الدن الصغير

جي دي موبسان*

ترجمة: عبدالجليل مصطفاوي

تلمسان – الجزائر

أوقف السيد «شيكُو» صاحب فندق «إيبرفيل» عربته أمام مزرعة الأم «مَاقْلُوار».. إنه رجل ضخم، في الأربعين من عمره، أحمر، أكرش، وعلى سيماه شيءٌ من الدّهاء.

ربط حصانه بأحد أعمدة السياج ثم دلف إلى الساحة. منذ زمن بعيد وهو يغالب رغبة ملحة في امتلاك أراضي العجوز: فقد اختلف إليها أكثر من عشرين مرةً محاولاً إقناعها بالبيع، ولكن الأم «مَاقْلُوار» رفضت بشدّة. كانت تقول له دائمًا: فيها ولدت، وفيها أموت....

وجدها تقشّر حبات البطاطا أمام بيتها. هي امرأة في الثانية والسبعين من عمرها، جافة المزاج، كزّة، محدودبة، وعلى جسدها غضون كثيرة. غير أنها لا تتعب، ولا تمل، كما لو أنّها فتاة صغيرة. ربّت «شيكُو» على ظهرها بلطف، ثم جلس إلى موطئ بجانبها.

- كيف الصحة يا أم.. هل أنت بخير؟.

- لا بأس، وأنت يا شيكُو..

- بعض الآلام.. لولاها لكنت مرتاحًا....

- إيه.. لا عليك..

وسكتت.. أخذ «شيكو» ينظر إليها، وهي منهمكة في عملها، أصابعها المعقوفة والمتصلبة مثل أرجل العقرب، تمسك الحوايا العفنة، والأدران وتضعها في سلة بجانبها، كما لو أنها ملاقط، واصلت التقشير بحيوية، كانت تنتزع قشورًا طويلة بمُديتها القديمة، وحينما تصبح حبّة البطاطا صفراء، لا شيء عليها، تلقيها في دلو من الماء أمامها، تسارعت إليها ثلاث دجاجات جسورة فالتقطت القشر ثم فرّت مسرعة تحمل مغنمها.

كان «شيكُو» يبدو منزعجًا، مترددًا، ضجرًا، وعلى لسانه يحتبس شيء عصيّ.. وبعد لأي قال:

- .. يا أم «مَاقْلُوار»....!

- هل لك حاجة...

- .. هذه المزرعة.. ألا تزالين على رأيك بشأنها...

- .. لا.. لا تضعها في حسابك.. أنت تعرف رأيي.. أرجوك.. لا تتعب نفسك..

- لقد اهتديت إلى فكرة جديدة، تخدمنا نحن الاثنين..

- تكلّم.. ما هي؟

- تبيعينني مزرعتك، وتبقين فيها.. لا تندهشي.. افهميني..

توقّفت العجوز عن التقشير، ونظرت إليه بعيون فيها كثير من الحيرة، والقلق.. ثم أردف:

- سأشرح لك.. سأعطيك كلّ شهر مئة وخمسين فرنكًا.. هل تسمعين؟.. سأحضرها إليك كلّ شهر بعربتي.. ثلاثون قطعة من الذهب، ثم لا شيء يتغيّر.. لا شيء مطلقًا.. تبقين في مزرعتك، ولا تكترثين بي..



لا أطلب منك شيئًا.. أنت فقط تقبضين دراهمي.. هل يناسبك هذا الحل؟!.

أخذ ينظر إليها بشيء من السرور وبمزاج صاف. أمّا هي فكانت تتأمله بحذر، وهي تبحث عن موضع الفخّ الذي ينصبه، ثم قالت:

ـ هذا بالنسبة إليّ.. وأنت.. بماذا ستستفيد؟

ـ لا تهتمي لذلك.. ستمكثين فيها ما دمت حيّة.. إنك في بيتك.. فقط.. فقط تكتبين لي شهادة صغيرة عند الموثق، حتّى تؤول إليّ فيما بعد.. أنتِ ليس لك أولاد.. فقط بعض الأحفاد الذين لا تكترثين بهم.. هل توافقين؟.. تحتفظين بأملاكك ما دمت حيّة.. وسأعطيك ثلاثين قطعة من الذهب كل شهر.. ذلك كسب كبير..

ظلت العجوز مشدوهة، مكتئبة، لكنّها كانت تشعر بالإغراء، والشوق، وأجابت:

ـ دعني أفكّر في الأمر، وعُدْ إليّ في الأسبوع القابل لنتناقش، سأعطيك جوابًا قاطعًا...

وغادرها السيد «شيكو» مزهوًا مثل ملك فتح إمبراطورية جديدة، أمّا العجوز «ماڤلوار» فانبرت تفكّر وتعصر دماغها، ولم تنم تلك الليلة.

أصابتها حمى التردد طوال أربعة أيام. إنّها تشم رائحة خبث في هذه الصفقة، غير أنّ الثلاثين قطعة من الذهب، هذه القطع الثمينة التي ستلقى كل شهر في حجرها، محدثة فرْقَعَةً محبّبة، هذه الدنانير التي ستسقط عليها من السماء، دون أن تقدّم مقابلاً، كانت تؤجّجُ رغبتها...

ثم ذهبت إلى الموثق، وسردت عليه قصّتها، فنصحها بقبول اقتراح «شيكو»، ولكن على أن تطلب

منه خمسين قطعة. فمزرعتها تساوي، على أقل تقدير ستين ألف فرنك. قال لها موضحًا: إذا عشت خمسة عشر عامًا فإنه يكون قد دفع إليك خمسة وأربعين ألف فرنك فقط..

شعرت العجوز بقشعريرة لدى سماعها مشروع الخمسين قطعة ذات المئة قرش في الشهر. غير أنها ظلت تتحلّى بشيء من الحذر والتحرّز: لأنّها تخشى من ألف شيء غير متوقع، وحيل مستورة... واستمرّت تسائل نفسها حتى المساء، وهي غير قادرة على أن تتخذ موقفًا حاسمًا.. وأخيرًا أمرت بتحضير الوثيقة، ثم عادت إلى بيتها مضطربة كما لو أنّها شربت دوارق من النبيذ...

ولمّا جاء «شيكو» ليعرف جوابها أخذت تتوسّل إلى الله طويلاً. كانت تخشى ألاّ يرضى بمنح خمسين قطعة كل شهر... وبعد إلحاح منه أعلنت عن مطالبها. فارتجف مصابًا بخيبة أمل. ورفض...

ولكي تقنعه أخذت تحدثه عن المدّة المحتملة التي بقيت من عمرها..

فقالت:

ـ لن يكون ذلك أكثر من خمس سنوات أو ست. ها أنا ذي الآن أنيّف على السبعين... ولست قوية، في أمسية سابقة قالت إنها النهاية. أحسست كما لو أنّهم يفرغون جسدي من الحياة.. وحملت إلى سريري...

ولكن «شيكو» لم يترك لها الفرصة فقال:

ـ هيا.. هيا أيتها العجوز الماكرة، إنك صلبة مثل ناقوس الكنيسة. ستعيشين، بلا ريب، مئة وعشر سنوات.. أنت التي ستدفنينني بلا ريب...

وأمضيا معظم النهار في الجدال.. وتحت إصرار العجوز وتمسّكها بمطلبها، رضي صاحب الفندق أن يقدّم الخمسين قطعة. فوقّعا العقد في الغد. وطلبت الأم «ماقلّوار» عشر قطع ذهبية بقشيشًا.

◆◆◆

ومرّت ثلاث سنوات. كانت العجوز تبدو مثل شجرة طويلة، كما لو أنّها لم تكبر يومًا واحدًا. ويئس «شيكو». كان يخيل إليه أنّه يدفع هذه الضريبة منذ نصف قرن. وتبيّن له أنّه أخطأ في تقديره للصفقة، وأنّه يبتزّ، وأنه سيفلس. كان يذهب لزيارة العجوز بين فترة وأخرى، مثلما يذهب المزارعون في شهر تموز إلى حقولهم لمعاينة سنابلهم وتحسّس نضجها لبدء حصادها. وكانت هي تنظر إليه بمكر حتى ليخال أنّها كانت فرحة بالمكيدة التي ارتدّت إليه، فيركب عربته بسرعة، وهو يتمتم: وبعد، أما أن لهذه الخشبة النخرة أن تموت...

وسُقط في يده، فلم يدر ما يفعل. كان يتمنى أن يخنقها بمجرّد أن يراها. أصبح يكرهها بحقد قاتل، حقد فلاح سُرقت غلاّته.. وبدأ يبحث عن سُبل الخلاص.. فجاءها يومًا وهو يفرك يديه كما فعل ذلك أوّل مرّة زارها وعرض عليها الصفقة.

ـ قولي يا أم.. لماذا لا تأتين للغداء معي في بيتي حيث تذهبين إلى «إيبَرفيل»؟.. نتحادث.. السنا أصدقاء، إنّ هذا يؤلمني.. أتدرين؟ عندي لا تدفعين فلسًا. أنا لا أهتم بثمن الغداء.. إنني أحدثك بصدق، تعالي عندي بلا حرج، إنّ ذلك يسرني...

وزارته فعلاً، بعد يومين. انتهزت فرصة ذهابها إلى السوق في عربتها التي يسوقها خادمها. أدخلت حصانها، بلا ضيق، إلى إسطبل السيد «شيكو». وطلبت الغداء الموعود. فعاملها السيد «شيكو» مثل سيدة شريفة. قدّم لها دجاجًا مشويًا.

ومرقًا. وفخذ خنزير مليئًا بالشحم المخلوط بالملفوف. ولكنها لم تأكل كثيرًا. أو قل لم تأكل شيئًا إنّها زاهدة في الأكل. فقد تعوّدت منذ صغرها على قليل من الحساء وقطعة من الخبز محشوة بالزبدة. ألحّ عليها «شيكو» بخيبة. ولم تشرب شيئًا. رفضت أن تتناول القهوة. وسألها:

ـ لن ترفضي طبعًا كأسًا صغيرة من النبيذ..

ـ أي نعم. هذه أقبلها..

وصاح بملء رئتيه. عبر الفندق:.. روزالي. هاتي الراح المعتقة. الخفيفة...

وظهرت الخادمة تحمل زجاجة طويلة ملفوفة بأوراق عنب اصطناعية فملأ كوبين صغيرين.

ـ ذوقي يا أمّ. إنها من النوع الرفيع..

وبدأت ترتشف بهدوء جرعات صغيرة كمن يبحث عن لذة مستديمة. وأنهت كأسها وهي تحتسي ما علق بها من قطرات.. وأعلنت: هذه نعم.. إنها خفيفة...

ولم تكد تنهي كلامها حتى صبّ لها «شيكو» كأسًا أخرى.. حاولت أن ترفض. ولكن الأمر قضي.. وعادت ترتشف على مهل.. وحاول أن يصبّ لها كأسًا ثالثة. ولكنها أبت. وألح قائلاً: إنها مثل الحليب انظري. أنا أشرب أكثر من عشرة أقداح بلا انقطاع إنّها مثل السكر. لا شيء في البطن ولا في الراس.. كأنما تتبخّر على اللسان... وهي مفيدة للصحة... ولم تستطع أن تقاوم رغبتها فخضعت. ولكنها لم تتناول سوى النصف. وحينئذ صاح مبديًا سخاءه: طيب.. ما دامت أعجبتك سأهديك دنّا صغيرًا يكون عربون صداقتنا...

ولم ترفض المرأة الطيبة عرضه. وانصرفت ثملة قليلاً.. وفي الغد ولج صاحب الفندق إلى ساحة الأم «ماقلّوار» ثم سحب دنًا جديدًا محصّنًا بالحديد. وشجعها كي تتذوقه لتتأكد من أنه المشروب الخفيف نفسه.. وحينما شربا ثلاثة أقداح على حدة. قال وهو يغادرها:

ـ هل تعرفين.. ما زال في حوزتي شيء منه.. لا تتحرجي. أنا لا أهتمّ كلما زرتني للتزود منه أكون مسرورًا...

وركب عربته. ثم زارها بعد أربعة أيام.. كانت أمام باب منزلها مشغولة بتفتيت خبز حسائها.. اقترب منها.. سلّم عليها وكلّمها أنفًا لأنف ليتنسّم أنفاسها.. وشمّ رائحة كحول. فأزهر وجهه. وقال لها:

ـ هل تمنحينني قدحًا من خمرك الخفيفة؟

وفرغا كأسيهما ثلاث مرات...

وبعد مدّة شاع في الناحية أنّ الأم «ماقلّوار» تثمل وحدها. وفي كل مرة كانت تلتقط من مكان.. فتارة تحمل من المطبخ. وتارة من ساحة مزرعتها. وتارة أخرى من الطرقات المجاورة.. كانت تحمل إلى غرفتها مخمورة. لا تعي شيئًا. مثل جثة...

ولم يزرها « شيكو».. وحينما يحدثونه عنها يتمتم. وعلى وجهه حزن مصطنع: أليس ذلك مأساة؟!.. أن تتعوّد على السُّكر. في سنّها المتقدمة.. تأملوا.. حينما نكون شيوخًا لا مورد لنا.. أمر فظيع.. لا شك أنّها ستنتهي نهاية مزرية...

وحصل ما توقعه.. فقد ماتت في الشتاء الموالي. في رأس السنة الميلادية.. وقعت من شدّة سكرها على الثلج مثل خشبة متآكلة...

وورث السيد «شيكو» المزرعة. وهو يعلن:

ـ يا لهذه الصعلوكة!.. لو أنّها لم تكن مدمنة لعاشت عشر سنوات أخرى...

* من رواد القصة الفرنسية والعالمية. ولد في عام ١٨٥٠م. وتوفي في عام ١٨٩٣م. له عدة مجموعات قصصية منها: «كرة من شحم». و«حياة». و«قوي كالموت». و«الآنسة فيفي»... وهذه القصة مأخوذة من مجموعة: حكايات مختارة.



نورة ضحيان العتيبي

الرياض ـ السعودية

الساعة الخامسة:

في الصباح... يستيقظ سريرها ويلفظها على رنين المنبه إلى العالم لتعيد حكاية الكرّ والفرّ. هذا الرنين يبعثرها.. تتحسس كل صباح على صوت الساعة شيئًا بداخلها منذ سنين. الساعة تركض في أوردتها كسكين باردة تتكسر في صدرها منذ عشرين عامًا.

وقفت أمام المرآة طويلاً.. فركت عينيها بشدة.. حاولت أن تواري الأفكار السوداء بابتسامة واهية.. جربت صوتها بكحة خافتة.. لتبدو أكثر صلابة.. لا فائدة.. عيناها حمراوان والحزن ينسكب مع صوتها رغمًا عنها... وينزلق السؤال على رأسها كل صباح: لماذا لم تنامي البارحة؟ (ويتكرر الجواب نفسه بالابتسامة ذاتها: كنت أعد أغنامًا تقفز من فوق السور حتى طلعت الشمس).

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

الوقت يمضي... أمامها عشر دقائق تلتهمها... تحتسي سُمًا... ترتدي أكفانها على عجل... تركض على صوت عجلات الباص الأصفر العملاق... تصعد الباص وتسير بسرعة كي لا تسقط على وجهها لأن السائق المغفل يتحرك ما إن تضع قدمها الأولى. تصل إلى المقعد الخلفي... تستقر وتسند رأسها إلى النافذة.. تبدو كسعف نخلة ذاوية. تعلو الأصوات شيئًا فشيئًا تصل إليها كل الحكايات.

ما زال الوقت مبكرًا.. ولم تشرق الشمس بعد. ولكن هناك شذرات من ضوء تتسكع في الشوارع.. في الطريق الموحش كان النخيل يرتعش على حافتيه.. تساءلت في نفسها: .. ترى كم من فتاة ستموت لو انقلب (الباص) فجأة؟

ماذا لو انشقت الأرض وابتلعت كل السيارات؟!

أم أيهذا الموت كيف تهبط على الناس؟

تتراكض الأسئلة في رأسها المتعب مع ميلاد كل ثانية.. الباص يسرع متفاديًا الوقوع في الحفر المتناثرة على وجه الشارع الترابي. الساعة لا تمل من الدوران. ما زالت تنجب آلاف الدقائق والثواني. ما زالت تركض ويتزايد معها ركض النبضات.

تتمنى لو التفتت إلى ساعتها مرة فوجدت عقاربها قد كسرت الدائرة وهربت.

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

تجلس طويلاً.. طويلاً والجلوس على المقعد الأخضر يذكرها بجلسة (أبي الهول).. وكل ساعة تجيء من عمق المجهول يطبق عليها الماضي شدقيه فلا تعود.

يتوقف الباص وتتقافز الفتيات على الرصيف.

الساعة السابعة:

في المباني الكبيرة... وجوه عائمة.. عيون

ملونة... شفاه تتأرجح قد أثقلتها الحكايات وهي تبحث عن مكان لخطواتها... وكل ممر يلفظها إلى آخر... تسير وهي تتفقد الوجوه والمرارة تعلق بلسانها.

كم شخصًا مات البارحة؟ تسير وأمامها ساعات تمضغها.. وتُهلك ما تبقى فيها..

الممرات المعلقة بين المباني تجعلها تجزم أن (حدائق بابل المعلقة) إنما اختفت لتظهر ها هنا.. تتخيل أن السور يتحطم.. ويتساقط العابرون.. تتخيل كيف ستصبح هي وكومة من البشر سطرًا من جريدة في (خبر نعي).

الساعة الثامنة:

تصعد الدرج المتعب من وقع الخطوات.. تلهث الساعة وتلهث هي. تجلس كعادتها في المقعد الأول تمسح الغبار من أسفل أطراف تنورتها السوداء.

(السواد. ما دام السواد علامة الحزن منذ الأزل لماذا لا تكون أكفاننا سوداء إذن؟!!)

لماذا نجمل وجه الموت بالبياض؟!!

الساعة العاشرة:

الساعة تتلوى كأفعوان يلتهم بقية اليوم. تحمل حقيبتها وتسلك الطريق نفسه الذي تسلكه دائمًا إلى (مطعم الكلية).. تتماثل للموت.. إنها مثابرة الألم.. تشعر بتخثر الدم في عروقها.. وعيناها ثقيلتان تديرهما على الجدران.

تقرأ.. إعلانات..... إقامة طبق خيري..... ندوة في المصلى... وموعد المكافآت تنهـ سبقت بكلمة (غدًا).

(غدًا)...

تتخذ طاولة وكرسيًا في ركن قصي من المطعم تجلس هناك تلوك الألم: في زجاج الأبواب بريق يشعرها بالضيق ويضفي عليها حزنًا أكبر. الدموع تغلق أوردتها.. الرهبة تحاصرها.. تجلس بلا هدف.. تنظر بلا أمل.. وتراقب البشر.. يأكلون.. يشربون.. يتكلمون.. يتنفسون.

ترى من أين يدخلنا الموت؟!

احتست كوبًا من الشاي.. شعرت بطعم الرماد.. وضعته جانبًا وحملت دفتر المحاضرات متجهة إلى المكتبة.

(ستفقدين بصرك من هذه الكتب.. انتبهي لا تتكئي على الرف.. ستسقط الكتب يومًا على رأسك العنيد..)

كلمات الأصدقاء تطرق أذنيها بشدة كلما طلبت منهم الذهاب إلى المكتبة.

- (أوه.. لا يعرفون أن الكتّاب المجانين يكتبون أحيانًا أشياء جميلة.. مرعبة.. ولذيذة). تغمض عينيها وتردد في غبطة كلمات أميلي.

(لأنني لم أستطع التوقف للموت.. توقف هو لي بلطف.. العربة حملتنا نحن الاثنين فقط.. سرنا بهدوء.. فهو لا يعرف العجلة وقد تركت أنا ورائي كل شيء.. أعمالي.. راحتي.. وحتى أصحابي).

تقدمت خطوات..

كانت الساعة تتقدم بهلع.. نظرت إلى ساعتها.. (الحادية عشرة وخمس دقائق) فكرت في أن تتخلص من ساعتها.. نزعتها من يدها ورمت بها وهي في طريقها إلى المصعد. ارتطمت الساعة بالجدار.. انكسر الزجاج.. لكنها ما زالت تتحرك بعناد. أعطت ظهرها للحياة وارتج الباب وغابت في عمق الظلام.

ومضى الجميع.. تحركت الباصات.. أغلقت الأبواب.. ولم يبق سوى علبة مشروب فارغة تتلاعب بها الريح.. صمت يثرثر في المكان وبقايا أوراق تتطاير في الحديقة.....

حقيبة سوداء..... وعباءة منسية لشخص مجهول..... وفي الزاوية قريبًا من المصعد هناك ساعة تشير بعناد رغم تشظي الزجاج. إلى الخامسة مساء.. وعلى الجانب الأيمن من المصعد لافتة حمراء كتب عليها شيء ما (   ).







د. سهيل صابان

الرياض ـ السعودية

أصدر وقف التاريخ والطبيعة في إستانبول بمناسبة مرور خمسمئة وخمسين سنة على فتح مدينة إستانبول ١٤٥٣هـ ، ٢٠٠٣م، كتابين فخمين متميزين جدًا عن فن الخط والتذهيب والزخرفة.

الأول بعنوان: أمير الخط: حسن جلبي Hattin Celebisi: Hasan Celebi.

والثاني بعنوان: فن التذهيب (الزخرفة)، لنوليفر كرت فيز Tezhib/ Nilufer Kurtfeyiz.

أما الكتاب الأول فقد تكون من ٩٣ صفحة من القطع الكبير، ١٨ صفحة منها تقاريض على الكتاب، والباقي لوحات بخط الخطاط حسن جلبي. وهو الكتاب السادس عشر في سلسلة الكتب الرائعة التي أصدرها الوقف. واشتمل غلافه على الآية الكريمة ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾.

وقد قدّم للكتاب أو بالأحرى للخطاط حسن جلبي رئيسُ بلدية إستانبول علي مفيد كورتونا، ومدير الوقف حكمت أولكر، وعميد الخطاطين م. أوغور درمان، ورئيس مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول أكمل الدين إحسان أغلو. فقد تحدث كل منهم عن جانب مهم من حياة الخطاط حسن جلبي، والجهود الكبيرة التي بذلها في تعلم فن الخط، بدءًا من خروجه من قريته النائية في شرق تركيا، ومرورًا بإقامته في إستانبول ومداومته على تعلم هذا الفن بإصرار وعزم قويين، وانتهاء بالمعارض الدولية التي اشترك فيها، وتوافد الطلاب عليه من أقطار مختلفة من العالم.

أدى حسن جلبي دورًا بارزًا وخدمة متميزة للخط العربي بتزيينه محاريب المساجد والجوامع وأبوابها وقببها في داخل تركيا وخارجها

كما اشتمل الكتاب على سيرة تفصيلية للخطاط حسن جلبي مع إيراد أهم أعماله الفنية في داخل تركيا وخارجها. وقد ورد باللغتين: التركية والإنجليزية. فقد تحدث على مفيد عن أهمية الخط وجماليته في حياة الخطاط. وذكر أن الخط هو لغة اليد، وترجمان القلب، وميزان الإرادة، ومرآة الروح التي يشبهها الجسد، وأنه رسول إلى العقول، وسلاح في المعرفة، وحجة في العلوم، وسند للحضارات. وهو يخفي الأسرار في نفسه، وتفوح من جسمه مسرة للعيون وانتعاشًا للقلوب. فهو قاطع المسافات. مُدخل العهود في لحظات، رابط سحري بين الماضي والمستقبل، خارقة من خوارق الدهر ... فقد ذكر حكمت أولكر تحت عنوان: «من أرضروم إلى المدينة المنورة» أن الأساتذة الذين درّسوا حسن جلبي، وزملاءه الطلاب الذين تلقوا العلم معه لم يكن يدر

يعدّ الخطاط حسن جلبي الزمن الذي قضاه في المدينة المنورة أجمل أيام حياته وأسرها؛ إذ إن الكتابة في مساجد طيبة الطيبة ليست من النعم التي ينعم بها كل خطاط

بخلدهم أنه سوف يصبح من أحد خطاطي المسجد النبوي الشريف. أ. هـ .

وفي الصفحات التي تناولت حياة الخطاط حسن جلبي، ذكر أنه من مواليد قرية إنجي في بلدة أولتو التابعة لمدينة أرضروم عام ١٩٣٧م، وأنه تأثر بالحفلة التكريمية التي أقيمت لطلاب مدرسة تحفيظ القرآن الكريم في القرية، والجوائز التي وزعت على الحفاظ المتفوقين، وهو لم يكن من طلابها فقرر حفظ القرآن الكريم على يد خاله. ثم توجه إلى إستانبول عام ١٩٥٤م، فالتحق بالمدرسة الشرعية المعروفة بـ «أوج باش». وركز فيها في تعلم اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي. ثم انتقل إلى مدرسة جنيلي في حي أسكودار، وعُيّن مؤذنًا لجامع السلطان مهرماه عام ١٩٥٦م، ثم انتقل إلى بعض المدن والجوامع الأخرى إمامًا، واستمر في وظيفته إلى أن تقاعد عام ١٩٨٧م؛ للتفرغ لأعماله في فن الخط العربي.

اهتمام حسن جلبي وإجازاته

بدأ اهتمام خطاطنا حسن جلبي بالخط العربي في مسجد القرية، حيث بدأ بتقليده وهو صغير. ومع تقدمه في هذا الفن كتب بعض اللوحات للمسجد الذي كان يعمل فيه مؤذنًا. وقد تعرف في هذه الأثناء إلى معلم النحت يوسف أفندي، الذي عرفه بالخطاط حامد الآمدي (١٨٩١-١٩٨٢م)، أشهر خطاطي هذا العصر على الإطلاق، فطلب منه أن يتعلم على يديه الخط، فاعتذر الآمدي؛ لكثرة انشغاله، لكنه دلّه على تلميذه الخطاط حليم أوز يازجي (١٨٩٨-١٩٦٤م)، فدرس على يديه فن الخط. وفي أول محاضرة له أعجب به أستاذه، وقال له: فيك الأمل في تعلم هذا الفن .. وبعد دراسة مستمرة على يديه مدة أربعة أشهر، توفي أستاذه في حادث مروري، فحزن عليه حزنًا شديدًا، ولم يتجرأ أن

يعرض نفسه على الآمدي للتتلمذ له ثانية، إلا بعد أن لقي التشجيع من عوني بلمن، ابن رئيس الشؤون الدينية عمر نصوحي بلمن. فشجعه على التوجه إلى الآمدي. فتشجع، فعرض نفسه عليه، فقَبل طلبه. فاستمر ملازمًا للخطاط حامد الآمدي مدة ثماني عشرة سنة (من عام ١٩٦٤م حتى وفاته عام ١٩٨٢م). لكن تعلم الخط على يد الآمدي ليس سهلاً ميسرًا؛ فهو لا يحب الكلام. وقد اشتغل خطاطنا حسن جلبي سنتين كاملتين في عبارة (رب يسر). ثم لما لم يجد أي استحسان من أستاذه الآمدي، قال له: يبدو أنني لن أتعلم الخط، فلم أنجح، ولهذا قررت تركه .. فتعجب منه الأستاذ وقال له: بل إن لديك قابلية للتعلم، وإنني أكلفك الآن بالدرس الثاني .. وبعد مرور عدة سنوات، استغرب المحيطون بجلبي مدى تقدمه في فن الخط، إذ حاز نصيبًا وافرًا من أستاذه الآمدي الذي أعطاه إجازة في الثلث النسخي من هذا الفن. أما إجازته في التعليق والرقعة فقد حصل عليها من الخطاط كمال باتاناي عام ١٩٧٥م.

آثار الخطاط حسن جلبي

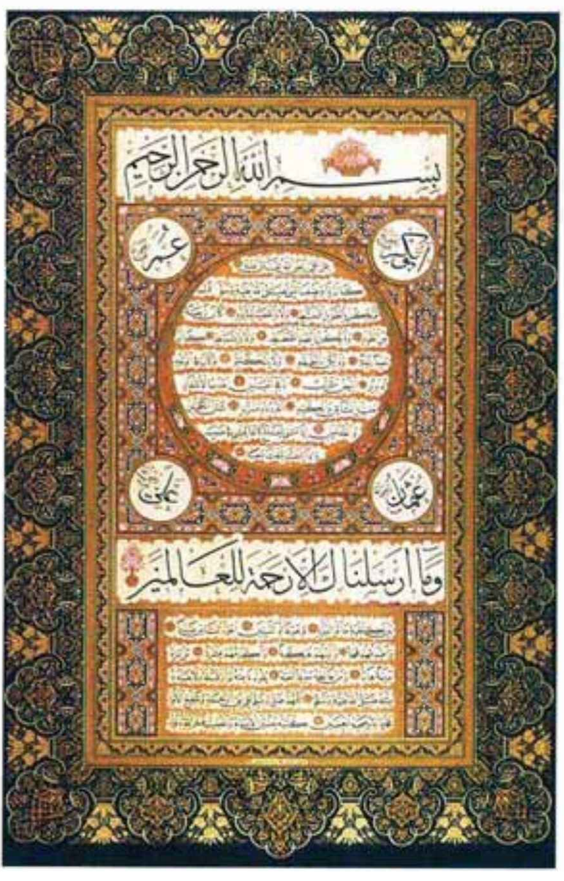
آثاره الخطية في المسجد:

أدى حسن جلبي دورًا بارزًا وخدمة متميزة للخط

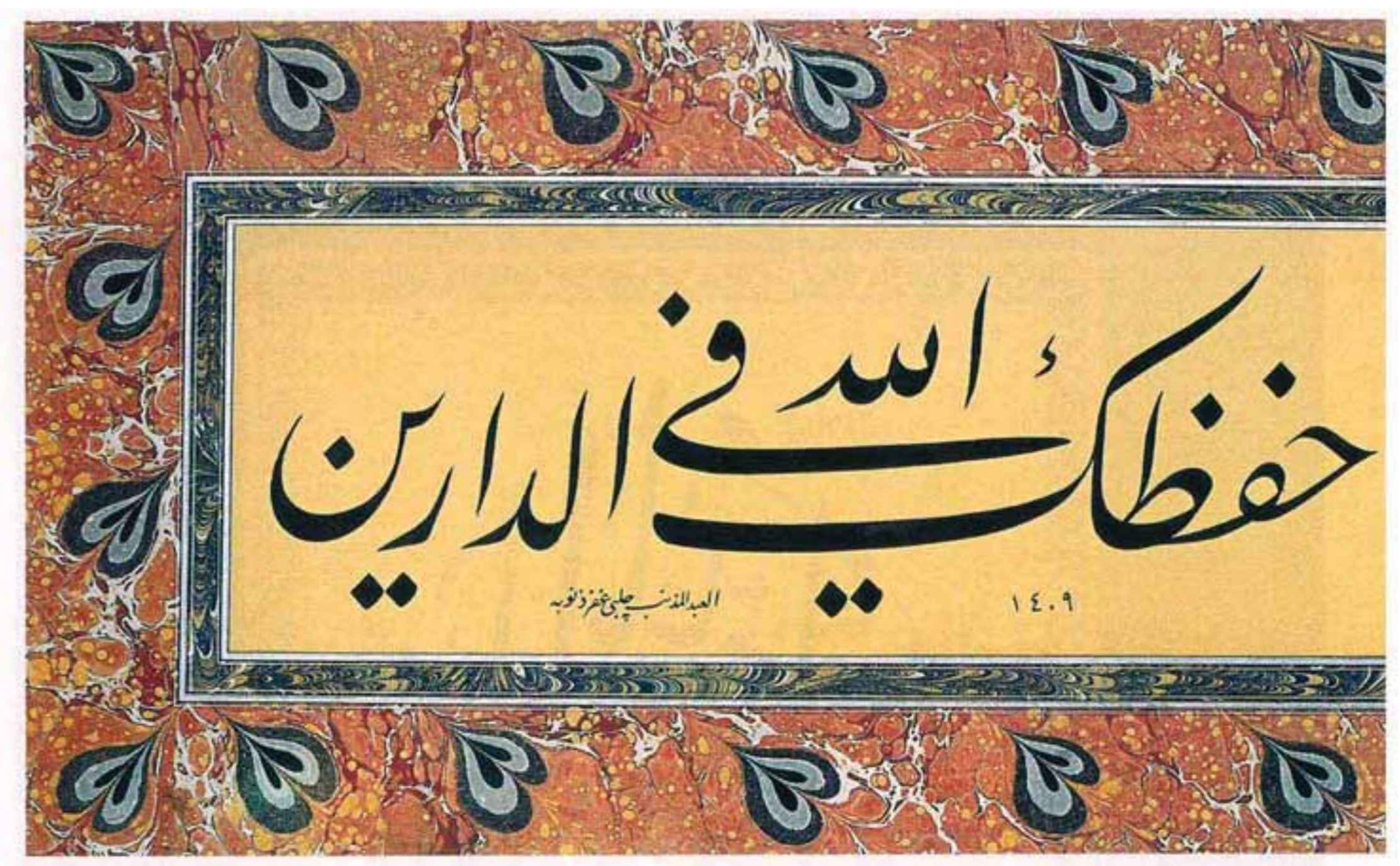
فن الخط عمل لكسب الملكة، وهو في الوقت نفسه وسيلة لتربية الروح. ويُبتدأ بالخط بالبسملة وكتابة "رب يسر"، ثم تكرر كتابة الحروف مرات ومرات. بحيث ينقش ذلك في الذهن واليد بأدق تفاصيلها

الخط هو لغة اليد، وترجمان القلب، وميزان الإرادة، ومرآة الروح التي يشبهها الجسد، وأنه رسول إلى العقول، وسلاح في المعرفة، وحجة في العلوم، وسند للحضارات

العربي بتزيينه محاريب المساجد والجوامع وأبوابها وقببها في داخل تركيا وخارجها، وقد عُرض عليه القيام



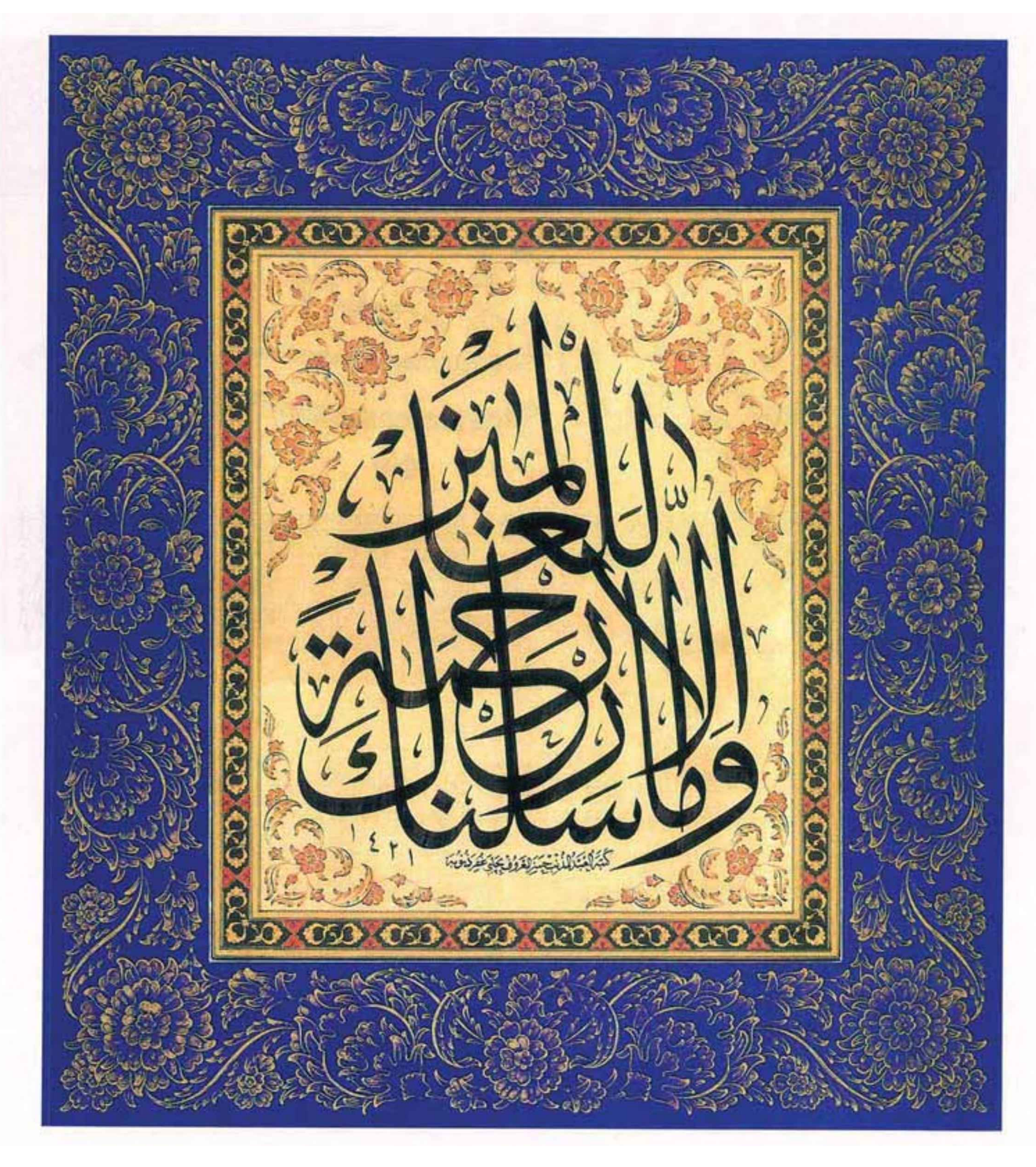
روعة التذهيب كما تبدو في كتاب «فن التذهيب»



جلبي اكتسب الكثير من فنون الخط من أساتذته

بترميم ما سقط من خطوط الباب الداخلي لجامع عتيق علي باشا في إستانبول. وهي عبارة «المؤمن في المسجد كالسمك في الماء، والمنافق في المسجد كالطير في القفص» وبمحاذاة طرفيها «كل من عليها فان». للخطاط مصطفى راقم. فنسخها بشق الأنفس؛ وذلك لنفاستها. وفي ليلة من الليالي التي كان يشتغل فيها بالنسخ، رأى في المنام الخطاط مصطفى راقم جالسًا مع شيخه حامد الآمدي. يتذاكران الخط. وهو يستمع إليهما. فانتبه له مصطفى راقم وكأنه يشعر بما يلاقيه فيها من صعوبة فقال له: تخطها تخطها .. فلما استيقظ من النوم شعر بنشوة قوية وتشجيع كبير، دفعه ذلك إلى إنهاء العبارة بأجمل خط وكأنه من خط الخطاط راقم.

وفي عام ١٩٧٤م، قام بترميم خطوط أسماء الله الحسنى التي زيّنت بها قبة جامع السلطان أحمد بإستانبول. كما تلقى دعوة من المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٢م، بترميم جميع الكتابات الموجودة في الروضة النبوية المطهرة. وبما أنه كان موظفًا في الدولة لم يستطع الحصول على إذن بذلك إلا بعد مرور سنة وبقرار من مجلس الوزراء. فلم يستطع أن يلتحق بما طلب منه. لتأخر الإجراءات الروتينية، لكنه توجه عام


وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
١٤٢١

كـمـا أن للـحـيـاة نزولاً وطلوعًـا، فـإن فن الخط أيضًا يخمـد في بعض الأزمان، ويلمع في أزمان أخرى، إلا أنه سـيكون موجـودًا في كل الأحوال

١٩٨٧م إلى المدينة المنورة، فقام بكتابة بعض الكتابات في مسجد قباء ومسجد القبلتين، اللذين أنشأتهما حكومة المملكة العربية السعودية؛ حيث عمل فيها سنة كاملة. ويعدّ الخطاط حسن جلبي الزمن الذي قضاه في المدينة المنورة أجمل أيام حياته وأسرها؛ إذ إن الكتابة في مساجد طيبة الطيبة ليست من النعم التي ينعم بها كل خطاط.

ويضاف إلى ما سبق ذكره أنه يمكن تقسيم الأعمال الخطية التي قام بها خطاطنا حسن جلبي على النحو الآتي:

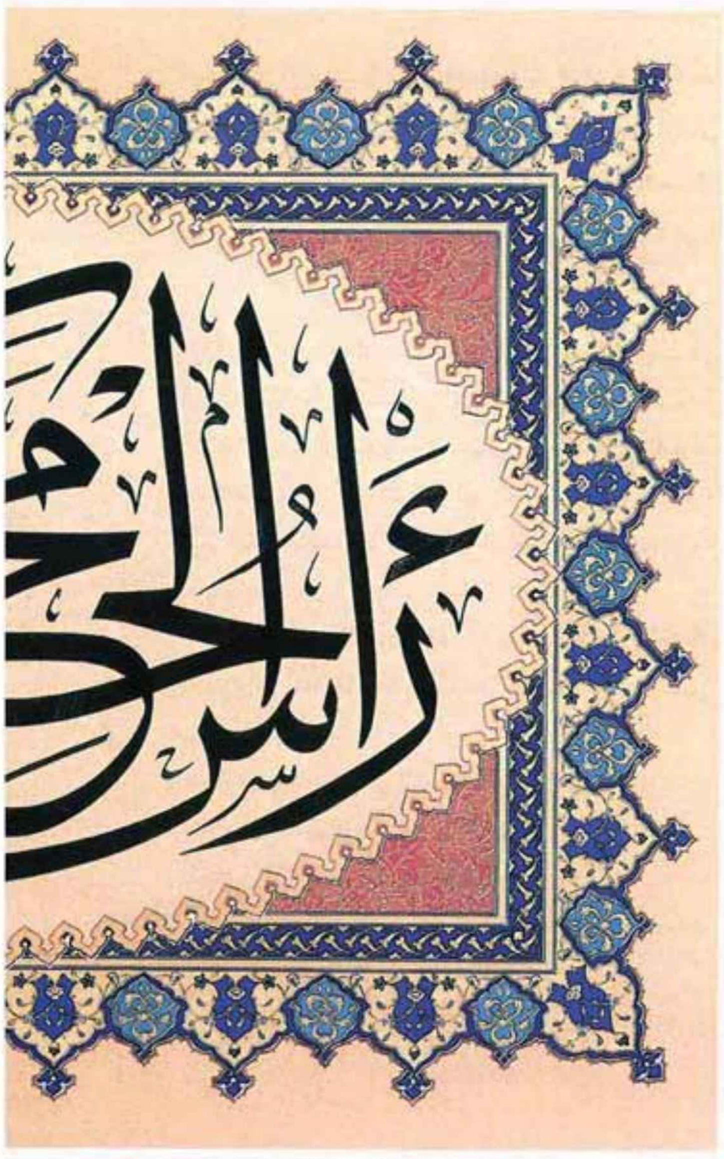
في داخل تركيا:

- كتابات مسجد مجلس الشعب التركية (البرلمان).
- جامع الرشادية في مدينة أسكي شهر.
- الجامع المركزي في مدينة وان.
- جامع البابين في مدينة قيصرية، وجامع كلية الإلهيات، والجامع الجديد في هذه المدينة.
- الكتابة التي اختطها على الرخام في جامع الطريق الساحلي بمدينة ريزه.
- جامع كلية الإلهيات بمدينة أرضروم، مسقط رأسه.
- الكتابة التي اختطها على الحجر في ضريح ملا كاظم بمدينة سعرد.
- جامع كلية الإلهيات بجامعة مرمرة في إستانبول.
- جامع سلامي علي بحي أسكودار في مدينة إستانبول.
- جامع الموقف الأخير بحي عمرانية في مدينة إستانبول.
- جامع جغليان.
- جامع جنكيز طوبل في حي الحرية بمدينة إستانبول.
- جامع فنار بخجة بمدينة إستانبول.
- جامع حي مالتبه المجدد في مدينة إستانبول.
- جامع محمد زاهد قوتقو في إستانبول.
- جامع كوزلجه في حي بيوك جكمه جه بمدينة إستانبول.
- جامع يونس أمره في حي مرتر بمدينة إستانبول.
- جامع أورتا جشمة في حي بيقوز بمدينة إستانبول.
- جامع جله خانه الجديد في حي جاملجا بمدينة إستانبول.
- جامع يلدرم بايزيد في حي جنكل كوي بمدينة إستانبول.

في خارج تركيا:

- الكتابات الداخلية والخارجية لجامع مركز الطب الإسلامي في الكويت.
- كتابة سورة الجمعة والتي تمتد مئة متر في التوسعة التي شهدتها الروضة المطهرة بالمدينة المنورة؛ وكذلك كتابات القبة والمحراب لمساجد قباء، وتمتد هذه الكتابات الكوفية ألفًا وأربعمئة متر؛ وكتابات مسجد القبلتين؛ وسورة الجمعة لمسجد الجمعة؛ وكتابات مسجد أبي بكر، ومسجد عمر، ومسجد علي، ومسجد البخاري، وكلها في المدينة المنورة.

بدأ اهتمام خطاطنا حسن جلبي بالخط العربي في مسجد القرية، حيث بدأ بتقليده وهو صغير، ومع تقدمه في هذا الفن كتب بعض اللوحات للمسجد الذي كان يعمل فيه مؤذنًا



من كتابات حسن جلبي، ويظهر الإبداع في فن الخط

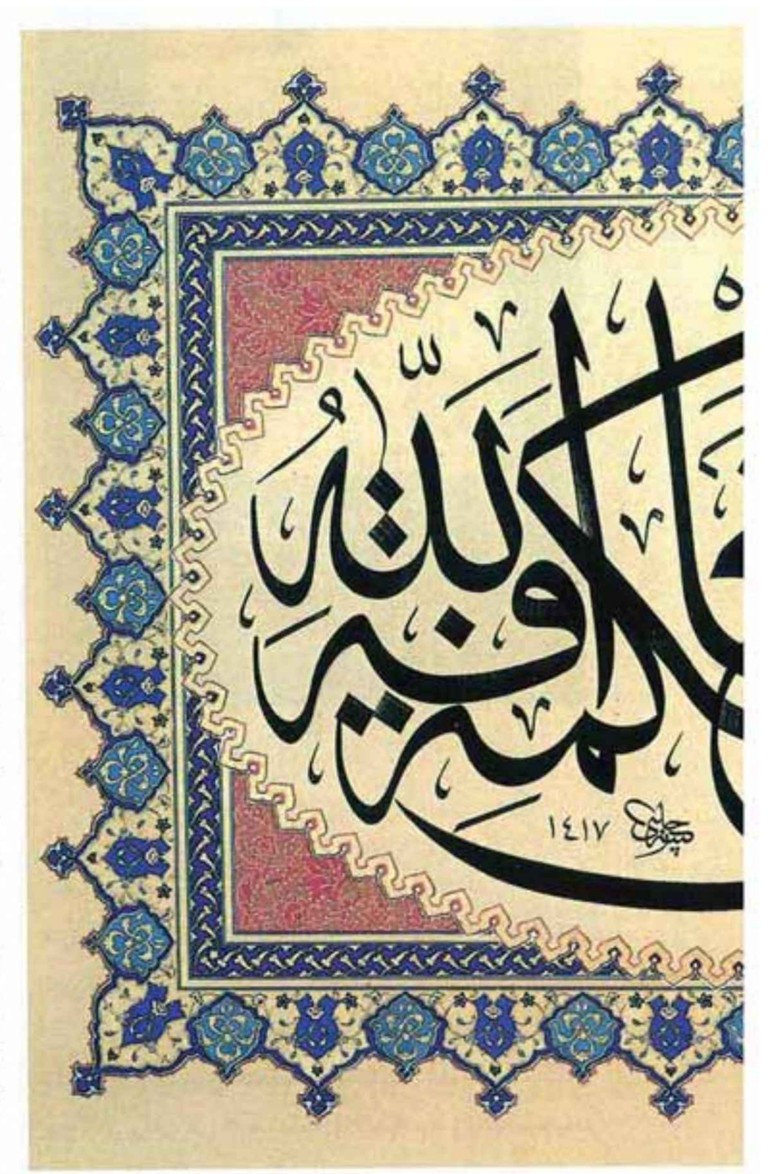
- كتابات مسجدي الحارثي وصالح كامل في جدة.
- الكتابات المخطوطة على القاشاني في الجامع المركزي بمدينة آلماآتي بقازاكستان.
- كتابات مسجد الفاتح بفور ستايم في ألمانيا.
- كتابات جامع يونس أمره بكنك في بلجيكا.
- كتابات جامع الجمعة في مدينة جهانسبرج بجنوب إفريقية.

كتابات جامعة نذير آغا المجدد بمدينة موستار في البوسنة. وإضافة إلى كل ذلك هناك الكثير من الكتابات التي اختطها الخطاط حسن جلبي لقبب الجوامع ومحاريبها وجبهاتها الداخلية في مختلف الأماكن. كما أن له كتابات على شواهد القبور في إستانبول.

وأقام الخطاط حسن جلبي بعض المعارض الدولية لنماذج من كتاباته الخطية الرائعة في كل من إستانبول، وكوالالمبور، والأردن، والكويت، وبدءًا من عام ١٩٩٢م، أصبح في لجنة التحكيم لمسابقة الخط العربي الدولية التي ينظمها مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول. وبدأ بتدريس الخط للهواة في عام ١٩٧٥م، وما زال يدرس على يديه الكثير من الطلاب من داخل تركيا وخارجها في عدد من الدول.

آراء الخطاط حسن جلبي في الخط

كما أن الخط يتطلب الاستعداد، فإنه يتطلب الهواية أيضًا. وقد حصل الخطاط راقم أفندي على الإجازة في الخط في الثانية عشرة من عمره، وهذا نتيجة للاستعداد. **وليس للعلم سن معينة: إذ إن العمل بعزم وثبات يؤدي إلى التوفيق والنجاح. والأستاذ هو فقط مرشد للطريق، وهو ينقل تجاربه وخبراته نظريًا ويطبق نماذجها علميًا ومتى قام الطالب بتطبيق ذلك على أعماله بدقة، فإنه يوفق. وفن الخط عمل لكسب الملكة، وهو في الوقت نفسه وسيلة لتربية الروح.**



ويُبتدأ بالخط بالبسملة وكتابة «رب يسر». ثم تكرر كتابة الحروف مرات ومرات، بحيث ينقش ذلك في الذهن واليد بادق تفاصيلها. ومتى ما تربّت روح الطالب ويدُه، فإنه يعني أنه أصبح في مستوى الحصول على الإجازة. ويعني في ذاته أنه بات مستعدًا لتقديم الآثار التي تخاطب الأرواح والقلوب.

ومشاهدة الخط تشبه الخزامى في جماله وبعده. وقراءته تشبه إشمامه. والتواؤم والجمال في فن الخط يسبقان قراءته. ولا يعني ذلك التواؤم والموازنة والجمال الإخلال بالمعنى. ففن الخط إذن هو الحصول على ذلك الجمال دون تناول التفاصيل الدقيقة والمقاييس المحددة. وهذا أصعب الأمور فيه. وهو الذي يضفي عليه طابع الإحساس بالعبادة لمن يتعلق قلبه بالخط. ولا يمكن القول: إن كل عبارة موائمة كل نوع من الخط؛ فبعض العبارات لا يمكن جمعها؛ بل إن اللسان أيضًا قد تكون له أهميته من حيث تواؤمه لنوع الخط. وقد شهد التاريخ خطاطين، اختاروا المتون بدقة متناهية.

لقد تشكل فن الخط مع الدين الإسلامي، وسوف يستمر بوجوده. وكما أن للحياة نزولاً وطلوعًا، فإن فن الخط أيضًا يخمد في بعض الأزمان، ويلمع في أزمان أخرى. إلا أنه سيكون موجودًا في كل الأحوال. (انتهى كلام الخطاط حسن جلبي).

وقد اشتمل الكتاب على سبعين لوحة وصورة من أعمال الخطاط حسن جلبي. كتبها في مختلف التواريخ. وبعضها نقشها على القاشاني والرخام على محاريب الجوامع وجبهاتها الداخلية، وعلى أعمدتها وقببها. وبعضها آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة. وبعضها شمائل نبوية، وأبيات شعرية عثمانية. وكلها مزينة ومزركشة بأبهى صور التزيين والزخرفة. وقد اشتملت كلها ـ تقريبًا ـ على اسمه وتاريخ كتابتها.





محمد سيد بركة

قليوبية - مصر

الفلاكة والمفلوكون
أحمد بن علي الدلجي
القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة
سلسلة الذخائر، رقم ١٠٠، ١٥٧ص، ٢٠٠٣م

زخر تراث العرب بالمؤلفات التي تتناول جوانب وأحوالاً من حياة المجتمع، وفئات ليست من النوع المشهور أو البادي على السطح، فكتب المؤلف العربي في العاهات والأخلاق والقدرات العقلية، وفي أوضاع المرأة، وفي حالات خاصة من النسب، وفي صورة خاصة من نهاية الحياة.

فكتب الجاحظ في «البرصان والعرجان والحولان والعميان»، وكان الهيثم بن عدي قد سبقه إلى هذا الطريق. كما كتب الجاحظ عن «السود والبيض والجواري والغلمان»، ولحقه آخرون فكتبوا في هذين المجالين. وبالمثل كتب عن البخلاء، ليتحدث أبو هلال العسكري عن «الكرماء»، وكتب الخطيب البغدادي في «التطفيل وحكايات الطفيليين»، كذلك تحدث الجاحظ عن «النوكى والحمقى»، وتبعه ابن الجوزي في «أخبار الحمقى والمغفلين»، وليتحدث في المقابل عن «الأذكياء».

وبينما كتب محمد بن السائب الكلبي «كتاب الموؤودات» يسجل محمد بن حبيب «أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام»، وكتب محمد بن عبدالله المسيحي كتابًا عن «الغَرَق والشَّرَق» في ذكر من مات غَرَقًا أو شَرَقًا. وكتب السجستاني عن «المعمرين» خاصة، وكتب ابن الجوزي عن «أعمار الأعيان» عامة. وكما كتب محمد بن حبيب عن «من نسب إلى أمه من الشعراء» كتب الفيروزي آبادي «تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه».

أما الأحوال الخاصة بالمرأة فما كُتب فيها «أدب

النساء» لعبدالملك بن حبيب. و«المردفات من قريش» (وهن النساء اللاتي تزوجن زوجًا بعد آخر) لعلي بن محمد المدائني. و«النسوة المتعبدات الصوفيات» لأبي عبدالرحمن السلمي. و«نساء الخلفاء» أو «وجهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء» لعلي بن أنجب المعروف بابن الساعي.

ومن ثم تأتي أهمية كتاب «الفلاكة والمفلوكون» لمؤلفه أحمد بن علي الدلجي المصري الذي توفي سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م ليعالج قضية الإهمال والتهميش والفقر والحرمان.

والكتاب صدر مؤخرًا في القاهرة عن سلسلة الذخائر التي تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة. وقدمت له الأستاذة الدكتورة زينب محمود الخضيري أستاذة فلسفة العصور الوسطى بجامعة القاهرة، وكريمة العلامة محمود الخضيري أحد رواد الدراسات الفلسفية في عالمنا العربي الذي قدم ترجمة لكتاب ديكارت الشهير «مقال في المنهج».

الفلاكة والمفلوكون

كلمة الفلاكة كلمة فارسية تعني العجز والمذلة والفاقة وسوء الحظ. وهي تكتب بالتاء المفتوحة ساكنة في الفارسية «فلاكت» ولكنها جاءت في عنوان الكتاب على صورة بعض الكلمات العربية وبعض أوزانها كالخطابة والمهارة والشجاعة ...إلخ.

ولقد بدأ الدلجي كتابه بخطوة منهجية سليمة ألا وهي التعريف، فجاء الفصل الأول تحت عنوان «في تحقيق معنى المفلوك». وكلمة تحقيق توحي بأن كلمة مفلوك ليست كلمة شائعة . وأنها جديرة بالتوقف عندها لتحديد معناها. كما توحي بأن ثم اختلافًا بصددها.

يفتتح الفصل الأول بقوله: «إن هذه اللفظة

> خلط الدلجي في تعريفه للمفلوك بين هويته وحالته من جهة وأسباب الفلاكة من جهة أخرى: فهو عنده الرجل غير المحظوظ المهمل في الناس لإملاقه وفقره

جاءتنا من أفاضل العجم. ويريدون بها بشهادة مواقع الاستعمال: الرجل غير المحظوظ المهمل في الناس لإملاقه وفقره».

ويرى أن المعجمات العربية لا تحتوي على مقابل لها مما اضطره إلى استخدامها لقدرتها على التعبير عن الظاهرة المعقدة التي قصر كتابه على دراستها.

وقد بدأ الدلجي بتحقيق معنى المفلوك: لأنه كان يطمع في دراسة حالة المفلوك بكل جوانبها الاجتماعية والنفسية والأخلاقية. بل والكلامية المتغيرة بتغير الظروف والأحوال. والتي يتغير تعينها بتغير الإطار الذي تتحقق فيه. وهو الدولة أو بتعبير أدق: السلطة.

كما ناقشت الدلجي بمنهج علمي بالغ الدقة، بهدف تحقيق معنى كلمة مفلوك . إمكانية اشتقاق الكلمة من كلمة عربية هي الفلك. يقول: «والذي يظهر أنه أي لفظ مفلوك . مأخوذ من الفلك الذي هو جسم محيط بالعالم. فكأن الفلك يعارض غير المحظوظ في مراده ويدفعه عنه».

أما لفظ الفلاكة فيقرر أن لغة اصطلاحية. وأن الألفاظ التي يدير عليها أهل كل علم علمهم . كالرفع والنصب للنحاة . اصطلاحية. وأنه قد اختار لفظ الفلاكة على ألفاظ الفاقة والإملاق والفقر ونحوها: لأن هذه الألفاظ الثلاثة ونحوها صريحة في



من معاني الفلاكة الفاقة وسوء الحظ

مدلولاتها المحددة. بخلاف لفظ الفلاكة والمفلوك فإنه يتولد منها بمعونة القرائن معان لانقة بالمقامات على كثرتها وتناوتها.

التعريف

وقد خلط الدلجي في تعريفه للمفلوك بين هويته وحالته من جهة وأسبابها من جهة أخرى: فهو عنده الرجل غير المحظوظ المهمل في الناس لإملاقه وفقره. مما يعني أن القطبين يتبادلان الأدوار في الفلاكة. فقد تصبح العلة معلولاً وقد يتحول المعلول إلى علة. ومما فسر به ظاهرة الفلاكة التي رأها ظاهرة عامة تقصير المفلوكين في عمهم. وعدم إتقانهم له: فهم يرمّقون العيش ترميقًا مما ينتهي بهم إلى الإملاق أو فوقه بقليل.

جاء الكتاب في ثلاثة عشر فصلاً آخرها يتضمن مجموعة من الوصايا يستضاء بها من ظلمات الفلاكة. كما جاء الفصل الأول في التأسيس اللغوي لكلمة الفلاكة والمفلوك وقد تحدثنا عن ذلك آنفا.

أما الفصل الثاني والثالث فجاء أولهما في التأسيس الكلامي وثانيهما في التأسيس الصوفي.

الفصل الأول من هذين الفصلين يدور حول خلق

اللفظة جاءت من أفاضل العجم، ويريدون بها بشهادة مواقع الاستعمال: الرجل غير المحظوظ المهمل في الناس لإملاقه وفقره. والمعجمات العربية لا تحتوي على مقابل لها ما اضطر المؤلف إلى استخدامها لقدرتها على التعبير عن الظاهرة

> الفلاكة لا تقتصر على العوز المادي فحسب، وإنما تشمل صورًا تكاد لا تحصر من سوء الحظ، وحلول النحس؛ ولأنها، كما قال الدلجي، ألصق بأهل العلم منها بغيرهم، يقدم لنا المؤلف تراجم عدد من العلماء وأعلام الفكر والسياسة الذين لحقتهم الفلاكة

الأعمال وما يتعلق به، وهو يعرض للقضية الكلامية التي تكرر الحديث فيها، والتي تتمثل في السؤال: أنحن مخيرون في أفعالنا نأتيها بإرادتنا أم مسيرون مدفوعون إلى هذه الأعمال؟

ويحدد الدلجي الغرض من هذا الفصل بأنه «إقامة الحجة على المفلوكين، وقطع معاذيرهم، وإلجامهم عن التعلق بالقضاء والقدر، وأنه متى نعيت إليهم فلاكتهم أو نودي عليهم بها كان ذلك لأنهم إما فاعلوها استقلالاً أو مشاركة، وإما بالمحلية أو المدخلية، ولو سلم أن ذلك من باب القضاء والقدر الصرف أو فرضت فلاكة سماوية صرفة، فكلمات العلماء في مجاري أبحاثهم طافحة بأن القضاء والقدر لا يحتج به».

ويستند الدلجي إلى حديث نبوي يرفض نسبة أفعال البشر كلية إلى القضاء والقدر، لكونها في حقيقة الأمر تنسب كذلك إليهم، وأن للبشر مشاركة ودورًا في أفعالهم؛ ولذا رفض أن يكون للقضاء والقدر صفة الإطلاق، فهو ليس صرفًا، وبالتالي رفض أن تكون الفلاكة «سماوية صرفة».

التوكل والزهد

أما الفصل الثاني من هذين الفصلين فتناول المقامان الصوفيان التوكل والزهد ونفي عنهما ما اتهما به - نتيجة للفهم الخاطئ - من سلبيات، والعنوان يعبر عن هذا الهدف في شكل قانون: «في أن التوكل لا ينافي التعلق بالأسباب، وأن الزهد لا ينافي كون المال في اليدين».

وهذا يؤكد أن التوكل يدعو إلى التعلق بالأسباب، وأن الزهد يدعو إلى أن يظل المال في اليدين لكيلا يشغل القلب!

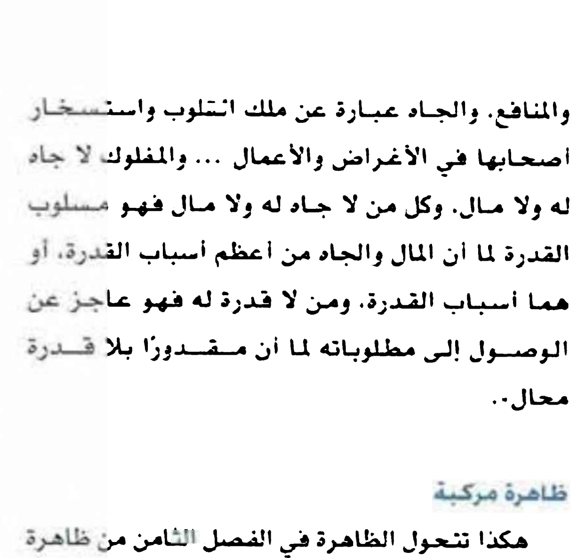
وهذا ما يصرح به بالفعل في آخر الفصل موضحًا أن المقصود إلجام المفلوكين عن التعلق بالزهد، والتوكل في انزواء الدنيا عنهم.

أما الفصل الخامس إلى الفصل الثامن ثم الفصلان العاشر والحادي عشر فهذه الفصول تشخص ظاهرة الفلاكة، وتعليل غلبتها على فئات كثيرة من المجتمع خصوصًا المشتغلين منهم بالعلم.

الفلاكة والإهمال

الفصلان الخامس والسابع في الإقرار بالظاهرة وتأكيد شيوعها، ففي الفصل السابع نجد الفلاكة والإهمال والإملاق غالبة على نوع الإنسان، بينما في الفصل الخامس نجد الفلاكة والإهمال ألصق بأهل العلم، وألزم لهم من غيرهم، هي إذن ظاهرة عامة، ولكنها أكثر تحققًا وأوضح ظهورًا في المشتغلين بالعلم.

أما الفصل الثامن فيتحدث عن الظاهرة، وقد رسخت واستقرت في نفوس من يعانونها إلى درجة أن تصبح حالاً لازمة «ووصفًا ذاتيًا للشخص في أفعاله وأقواله دفعًا وتحصيلاً، حكما وتعليلاً» حيث تدور الفلاكة الحالية مع الفلاكة المالية وجودًا وعدمًا، «يوضح ذلك أن المال عبارة عن ملك الأعيان



والمنافع. والجاه عبارة عن ملك القلوب واستسخار أصحابها في الأغراض والأعمال ... والمفلوك لا جاه له ولا مال. وكل من لا جاه له ولا مال فهو مسلوب القدرة لما أن المال والجاه من أعظم أسباب القدرة، أو هما أسباب القدرة. ومن لا قدرة له فهو عاجز عن الوصول إلى مطلوباته لما أن مقدورًا بلا قدرة محال».

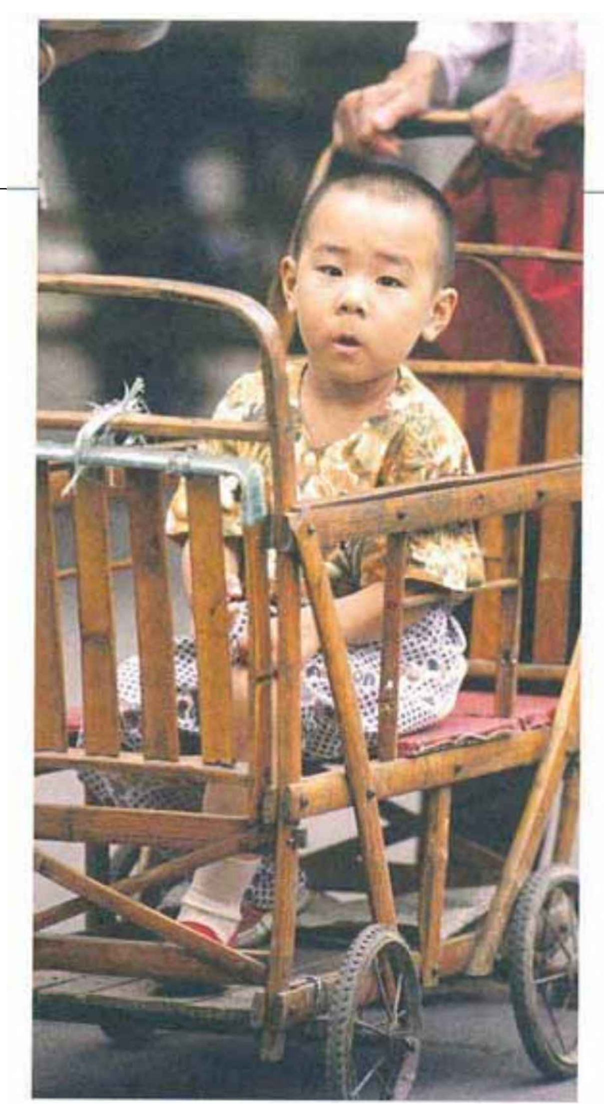
ظاهرة مركبة

هكذا تتحول الظاهرة في الفصل الثامن من ظاهرة بسيطة إلى ظاهرة مركبة، وتبقى أسبابها التي يمكن تقسيمها إلى أسباب عامة وأسباب خاصة.

الأسباب العامة تدور حول الصعوبات والعوائق التي تعترض طريق الإنسان إلى تحقيق السيادة والمجد والثروة والغنى سواء كانت مما يتحقق بالاكتساب عن طريق الحرف - كالتجارة أو الفلاحة أو الصناعة أم كانت مما يؤول إلى الانسان بالميراث.

أما الأسباب الخاصة فتبدو لصيقة بطائفة المشتغلين بالعلم، وتعود إلى أسباب خاصة بهم، وتدور حول تعارض مثاليتهم التي يعتقدونها في نفوسهم مع الاشتغال بالحرف التي يمكن أن تدر عليهم الكسب، كما تتصل بصورة من عدم قدرتهم على التكيف مع طرائق التعامل التي تجيدها الطوائف الأخرى.

وكما أن الفلاكة لا تقتصر على العوز المادي فحسب، وإنما تشمل صورًا تكاد لا تحصر من سوء الحظ، وحلول النحس: ولأنها، كما قال الدلجي، ألصق بأهل العلم منها بغيرهم، يقدم لنا المؤلف تراجم عدد من العلماء وأعلام الفكر والسياسة الذين لحقتهم الفلاكة، فتقلصت عنهم دنياهم، ولم يحظوا منها بطائل وذلك في الفصلين العاشر والحادي عشر. ويصرح بأن ما ذكره في الكتاب من



صعوبات وعوائق تعترض طريق الإنسان



هؤلاء مجرد نماذج.

أما الفصل الرابع والتاسع والثاني عشر فيتحدث الدلجي من منظور اجتماعي أولاً وسياسي ثانيًا عن الآفات التي تقتضيها الفلاكة، وتستلزمها فتنشأ عنها.

آفات الفلاكة

الفصل الأول من هذه الفصول جاء في تعداد آفات الفلاكة، ومن بينها ضيق العطن والنزق أي: انقباض الصدر والاندفاع عند الغضب، ومنها الإحساس بالقهر، ومنها الحقد بسبب ما يلقاه المفلوك من استهانة به وإذلال.

والفصل الثاني من هذه الفصول يرى فيه المؤلف أن أحسن أحوال المفلوكين، وأليق الصفات بهم، وأفضاها إلى مقاصدهم هي التملق والخضوع، وبسط أعذار الناس والمبالغة في الاعتذار إليهم، وإظهار حبهم ومناصحتهم. هذه أحسن الأحوال التي يلوذون بها لكي يتمكنوا من معايشة الآخرين، مسلك توفيقي له ـ دون شك ـ بواعثه النفسية.

وهناك سلوك من نوع آخر ينتمي إلى نظرية التعويض المعروفة لدى النفسيين. هذا السلوك هو التعويض بالقول؟ ذلك ما نجده في الفصل الثاني عشر. وهو في أشعار المفلوكين ومن في معناهم، وبيان أن الحامل عليها إنما هو الفلاكة.

التنفس بالأقوال

وتؤكد الكلمات التي بدأ بها الفصل سعة معارف المؤلف وعمقها، كما تؤكد قوة ذكائه: «اعلم أن الفلاكة إذا استولت على شخص، وسلبته القدرة على الأفعال ... انتقل إلى الاسترواح والتنفس بالأقوال، وذلك لما أن في الكلام راحة وفرجًا وتنقيصًا من ألم الباطن ... وإذا اتضح أن في الأقوال تنفسًا وراحة ولذة وتنقيصًا من آلام الباطن، وضحت الحكمة في انتصاب المفلوكين خطباء وشعراء وحكماء، فمرة يسلون أنفسهم بترجيح الكمالات النفسانية على الكمالات المالية بالأدلة الخطابية، والتشبيهات الشعرية، ومرة يذكرون عوارضهم اللازمة بمقتضى الفلاكة، ويصوغون عنها أعذارًا وحكمة وتشبيهات رائعة، وكلمات فائقة، تنقيصًا من قبح صورتها، وليشغلوا الناس بما أوردوه فيها من محاسن الكلام عن الفكرة في صورتها الشنيعة، ومرة يسابقون إلى ذكر نقائصهم، ويجعلونها رقة أدبية، أو نكتة شعرية، أو كلمة هزلية، قبل أن يذكرها غيرهم عنهم ليصرفوا الناس عن الاشتغال بها».

فهذه الكلمات تحمل إدراكًا سليمًا لدوافع حديث المفلوكين عن عوارضهم، وكيف يتسابقون إلى التندر بها والسخرية منها.

وبعد فكتاب «الفلاكة والمفلوكون» يمثل نصًا شديد الجذب لكل من المؤرخ وعالم النفس وعالم الاجتماع وصاحب التاريخ وصاحب علم الكلام ودارس الأدب، وموضوع الكتاب يؤكد أن العرب في أحلك عصورهم، يجدون من أبنائهم من يصوغ مشكلاتهم إبداعًا، ويستشرف الحال والخلاص.

بقي أن نقول: إن الحماسة لنشر الكتاب قد غلبت على التفكير في تحقيقه تحقيقًا كاملاً، وجاءت الطبعة التي بين أيدينا اليوم مصورة عن الطبعة التي صدرت سنة ١٣٢٢هـ عن مكتبة ومطبعة الشعب بمصر أي منذ ما يزيد على مئة عام.



في القول تنفس وراحة



جيل كيبيل:

التطرف هنا وهناك.. والد

...وار هو الحل

قسم التحرير

الدكتور جيل كيبيل يمثل جيلاً من المستشرقين الذين جمعوا بين الدراسات التراثية واللغوية والدراسات الاجتماعية المعاصرة. وهو بحكم تخصصه في دراسات العالم الإسلامي يتابع ما يحدث في المنطقة العربية والإسلامية. ويبذل جهده في تحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية. واستنتاج آراء وأفكار محددة حولها. ولقد استضافه مؤخرًا مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في محاضرة عن "الإسلام السياسي المعاصر". قدم فيها قذلكة تاريخية مع بعض الرؤى التي قد يتفق الناس حولها أو يختلفون. وهذا حوار معه تناول نقاطًا محددة تتعلق ببعض الأوضاع الراهنة..

الإرهاب الذي نراه ينتشر.. هل له من نهاية؟

أعتقد أن الحوار الذي يتم على مستوى المؤسسات العلمية العربية والغربية مهم جدًا في ظل الظروف الصعبة التي يمر بها العالم. وفي هذا العصر الذي يعرف بعصر صدام الحضارات..

والحوار بين المثقفين مهم في ظل هذه العولمة التي يراد لها أن تكون هيمنة من طرف على الجميع. والحوار مهيأ مع هذه الثورة في الاتصالات.. فأنا من مكتبي في باريس أستطيع أن أتابع منتديات سعودية عبر الإنترنت. وأقرأ للشيخ سلمان العودة أو الشيخ سفر الحوالي وغيرهما. كما أنكم في المملكة تستطيعون الاطلاع على ما أكتب.

والإرهاب في ظني يحاول أن يرهن المسلمين ويحبسهم بالقدر نفسه الذي يهدد به الآخرين.

وقد تابعت ما كتبه أيمن الظواهري العقل المفكر لتنظيم القاعدة في كتاب «فرسان تحت راية النبي» فهم يريدون تجييش جماهير الأمة وراء المتشددين..

أما الوجه الآخر للإرهاب فهو ما نراه في محاولة الإدارة الأمريكية الحالية تنظيم العولمة تحت إشراف الولايات المتحدة بدعوى أن هذا القرن هو القرن الأمريكي.

وهذه الأحادية نراها أول مرة في التاريخ فهي تنظر إلى الآخرين بأنهم بلا قيمة.. وهذه فكرة غريبة جدًا.

إلى متى يظل هذا الوضع؟

في الأفق القريب أرى أن الشعب الأمريكي هو الذي سيحدد من خلال الانتخابات القادمة هل يريد إدارة تسيطر على العولمة بهذا الشكل أم يريد أن تسود نظرة جديدة..

وعلى المستوى العربي هناك دور كبير للمجتمع. وهناك مسؤولية تقع على المثقفين تجاه تحجيم هذا الفكر التكفيري الذي يعمل على نشره بعض المتشددين.. فالحوار يصبح صعبًا مع أناس يكفروننا ويستحلون دمنا.. وفي رأيي هناك مستويان من التكفير: الأول: ذلك الذي يكفر كل الناس. حتى إن هناك بعض الشباب من الجالية المسلمة في فرنسا يسموننا دار الكفر. والكافر في رأيهم دمه حلال. وهذا نوع خطير من التكفير.

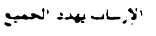
وهناك نوع آخر لا يؤمن بالعنف. ولكن الانتقال من هذا النوع إلى النوع المتشدد أمر سهل. لذا لا بد من تغير ذاتي لهذه الظاهرة حتى نتخلص من الإرهاب الذي

لا حل له غير الاقتلاع من الجذور.

نحن في حاجة إلى جسور حقيقية بين رجال في المعسكرين لهم أمل في المستقبل.

القاعدة.. كيف ترونها حزبًا أم مفهومًا؟

القاعدة في الأصل مجاز.. فقد استمعت إلى ابن لادن في أحد لقاءاته مع قناة الجزيرة يقول: إن القاعدة كانت في الأصل معسكرًا لتدريب بعض المصريين والجزائريين ممن انشقوا عن عبدالله عزام. وذلك بالقرب من جلال أباد. وكان يقوم بالتدريب ضابط مصري سابق مات في بحيرة فيكتوريا اسمه أبو عبيدة البنشيري.. ثم شيئًا فشيئًا استخدموا الكلمة بمعنى التنظيم.. علمًا بأن الإسلاميين عمومًا لا يحبذون التسميات؛ لأنهم يرون أنفسهم هم جماعة المسلمين. وأي اسم آخر قد لا يضمن تعاطف الجماهير العريضة..





الإرهاب يهدد الجميع

فالحزب قد يعني التفرقية والفتنة.

وفي كتابي القادم «الحرب في قلب الإسلام» أوضحت أن القاعدة جزء أريد به الكل. فهي من جهة تعني معسكر التدريب. كما تعني قاعدة المعلومات التي تعامل بها أعضاء التنظيم المنتشرون في كل أنحاء العالم.. وهذا المصطلح يمثل عصرانية الحركة.

وقد أخطأ الأمريكيون حين ظنوا أنهم إذا ضربوا معسكرات التدريب في أفغانستان سيقضون على القاعدة التي كانت انتشرت في بقاع كثيرة. وهذا مثل السرطان الذي يتم التركيز في القضاء على موطن الداء. ولكن تكون المفاجأة أن الداء قد انتشر في الأطراف..

ما مرد ضعف معرفة الأمريكيين بطبيعة تنظيم مثل القاعدة؟

في رأيي أن هناك ضعفًا كبيرًا قد حدث في الدراسات الأمريكية المتعلقة بالشرق الأوسط في السنوات العشر الأخيرة. على عكس ما كانت عليه هذه الجامعات من قبل.

وظني أن ضعف التمويل يمثل سببًا رئيسًا. مما أتاح المجال للممولين التحكم في الدراسات والبحوث العلمية وتوجيهها حسب ما يريدون. فقد أصبحت هناك كراسي علمية يمولها شيوخ عرب أو ممولون إسرائيليون. والباحثون يبعدون عن المجالات التي تثير حفيظة هؤلاء أو تعكر صفوهم.

ولذا فإنني أرى أن العلاقة بين مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ومعهد الدراسات الإسلامية في باريس ينبغي أن تقوم على أساس الثقة والحوار المفتوح بلا حدود.. وأتصور العلاقة كذلك في أي تعاون بين المؤسسات الأكاديمية العربية والغربية.



كيبل في المحاضرة التي نظمها مركز الملك فيصل

أين موقع جيل كيبيل بين المستشرقين الفرنسيين أمثال مكسيم رودنسون؟

لقد كان رودنسون ضمن لجنة مناقشة أطروحتي للدكتوراه.. وهو والجيل الذي ينتمي إليه كان اهتمامه عظيمًا بالتراث العربي والإسلامي العتيق. وكانوا مولعين بالأدب العربي. وكان بعض المستشرقين يدرسون العالم العربي المعاصر من غير معرفة باللغة العربية. وكانوا يعتمدون كثيرًا على الموازنات المكتوبة باللغة الإنجليزية. وعندما أتينا في هذا الميدان أحدثنا ثورة. وحدث اندماج بين الاستشراق التقليدي المهتم بالتراث والأدب واللغة من جهة. والدراسات المعاصرة من جهة أخرى.

وقد كنت أمثل جيلاً جديدًا في بداية الثمانينيات. وأصبح لنا اليوم تلاميذ يهتمون بدراسة العالم العربي والإسلامي من خلال فهم يقوم على أن المستشرق لابد أن يمشي على رجلين: هما اللغة والثقافة من جهة. والعلوم الاجتماعية من جهة أخرى.

الضيف في سطور

- ✿ الدكتور جيل كيبيل.

من مواليد باريس. عام ١٩٥٥م.

- ✿ الدرجات العلمية

- حصل على درجة جامعية في اللغة العربية والإنجليزية والفلسفة.
- حصل على دبلوم من معهد الدراسات السياسية في باريس.
- حصل على الدكتوراه في علمي الاجتماع والعلوم السياسية.

الخبرات العملية:

- أستاذ في معهد الدراسات السياسية في باريس (١٩٨٥م حتى الآن)
- كبير باحثي اللجنة الوطنية للبحوث العلمية، بباريس (١٩٨٤م حتى الآن).
- مدير برنامج الدكتوراه عن العالم الإسلامي في معهد الدراسات السياسية.
- أستاذ زائر. بجامعة كولومبيا في نيويورك (١٩٩٦ - ١٩٩٧م).
- باحث بالمركز المصري الفرنسي للتعاون العلمي بالقاهرة. (١٩٨٠ - ١٩٨٣م)

- ✿ له عدد من المؤلفات. منها

- التطرف الإسلامي في مصر. ١٩٩٣م.
- الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث. ١٩٩٢م
- الحركات الإسلامية في أمريكا وأوربا. ١٩٩٧م.
- الصحوة في الإسلام والنصرانية واليهودية في العالم الحديث ١٩٩٤م.
- الجهاد: طريق الإسلام السياسي. ٢٠٠٢م.



إلى قراء «الفيصل» الكرام

حرصاً على استمرار المجلة في تقديم زاد ثقافي يليق بكم وبعد التفاهم مع وكلاء التوزيع تقرر رفع سعر مجلة «الفيصل» في المملكة العربية السعودية والدول الأخرى ابتداء من العدد ٣٣٧ (رجب ١٤٢٥هـ)، وذلك لظروف ارتفاع مدخلات الطباعة، وتوافقاً مع الأسعار السائدة في السوق.

وإننا لنثق في تفهم القراء الكرام أسباب هذه الزيادة، شاكرين هذا التواصل الحميم مع المجلة. والأسعار الجديدة سوف تكون على النحو الآتي:

الدولة	السعر الجديد
السعودية	١٠ ريالات
مصر	٤ جنيهات
سورية	٤٥ ليرة
المغرب	١٠ دراهم
تونس	١،٥٢ دينار
الأردن	٧٥٠ فلسًا
قطر	١٠ ريالات
الإمارات	١٠ دراهم
البحرين	دينار واحد
الكويت	٨٠٠ فلس
سلطنة عمان	ريال واحد
اليمن	١٠٠ريال
السودان	١٥٠ ديناراً



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٣٣) ربيع الأول ١٤٢٥هـ/ مايو ٢٠٠٤م.

الفائز الأول: مها عبدالسلام الحموية . حماة . سورية.
الفائز الثاني: خالد فهد الشريف . المدينة المنورة . السعودية.
الفائز الثالث: عفاف يحيى عبدالعزيز . القاهرة . مصر.
الفائز الرابع: نعمة ناصر عبدالله إسماعيل . صنعاء . اليمن.
الفائز الخامس: رشيد الصكلي . خنيس . تونس.
الفائز السادس: فؤاد البكري . تمارة . المغرب.
الفائز السابع: نبيل بديع الدالاتي . طرابلس . لبنان.
الفائز الثامن: خالد حسن سلطان . الدوحة . قطر.

حل مسابقة العدد (٣٣٣)

١- لأن حِلمك حلمٌ لا تَكَلُّفُهُ
ليس التكحُّلُ في العينين كالكَحَلِ
قائل البيت هو: المتنبي.
٢- ديزل رودولف: مخترع ألماني، اخترع محرك الديزل.
٣- الإرْسْتَد: وحدة الشِّدَّة المغنطيسية.
٤- البلصور: زحافة بحرية منقرضة.
٥- الشخصانية: مذهب يؤكد أهمية الشخصية وكونها شيئًا فذاً، وأنه لا يجوز انتهاك حرمتها.

أسئلة مسابقة العدد (٣٣٦)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: لكل شيءٍ في الحياة وقتُهُ وغاية المستعجلين فوتُه
☐ المتنبي
☐ أحمد شوقي.

(٢) الدَّيوبتر:
☐ وحدة قياس قوة العدسة
☐ وحدة قياس قوة الشد.

(٣) تتفُل:
☐ جرو الثعلب
☐ جرو الدب.

(٤) ديونيسوس
☐ إله الخمر عند الإغريق
☐ إله الفلاحة عند الرومان.

(٥) الدُّبال:
☐ مادة سمراء أو سوداء تنشأ من تحلل المواد النباتية والحيوانية وتشكّل الجزء العضوي من التربة
☐ طائرٌ مقتاتٌ بالحشرات يكثر في الغابات الأمريكية الاستوائية.

الاسم: ________ المدينة: ________ ص.ب: ________ هاتف: ________

العنوان: ________ الدولة: ________ الرمز البريدي: ________ ناسوخ: ________

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

تفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة. ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- مشروع جديد للترجمة
- استمرار مسلسل سرقة الآثار العراقية
- موسيقار إسرائيلي يتبرع للفلسطينيين
- قصور أثرية للبيع في روسيا

•• خاتمة المطاف:

القصبات: تراث معماري مغربي مهدد بالإندثار





التاريخ المعاصر للمملكة وسبل تطويره

أقام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في ١٩ ربيع الآخر (الموافق ٧ يونيو/حزيران ٢٠٠٤م) محاضرة بعنوان «التاريخ المعاصر للمملكة العربية السعودية وسبل تطوير توثيقه ودراسته وتدوينه». قدمها الدكتور محمد بن عبدالله آل زلفة، وأدار الحوار فيها الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي، ضمن نشاطه الثقافي لهذا العام.

وقد تمحور الحديث في المحاضرة حول البحث عن الحقيقة، والطريقة المثلى في الوصول إليها عند كتابة التاريخ الوطني السعودي، وللوصول إلى الحقائق انطلق المحاضر من خلال ثلاثة مرتكزات:

. الأول يكمن في إدراك أهمية توثيق مصادر تاريخنا الوطني: وذلك من خلال بث الوعي التاريخي على مستوى الأمة، بدءًا بأعلى المستويات، وانتهاءً بالمواطن العادي، فالتاريخ هو تجربة الأمة، وروحها، وهو عمل حضاري، شارك في صنعه كل أبناء الأمة: فالكل يرى نفسه في مرآة تاريخه الوطني.

. ثانيًا: ضرورة إنشاء أرشيف وطني يضم كل وثائق تاريخنا الوطني، وهو بمنزلة ذاكرة الأمة.

. ثالثًا: إيجاد جهاز إداري منظم، مزود بكفاءات مدربة في مجال الأرشفة والتوثيق والترميم والحفظ والصيانة، للسير قدمًا بهذه المؤسسة الحضارية.

وأكد المحاضر أنه في حال استمرار غياب هذه المرتكزات سيستمر تعريض تاريخنا الوطني ومصادره للإهمال والضياع، وانتقد المحاضر تقصير أقسام التاريخ في الجامعات تجاه تاريخ المملكة، واقترح قيام مركز وطني يهتم بالدراسات التاريخية للمملكة، ونعى الحال التي وصلت إليها بعض مراكز المخطوطات السعودية.



محمد بن عبدالله آل زلفة

كتب للأطفال

دعا مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية الكُتّاب والمؤلفين في دول الخليج العربي، وفي الدول العربية كافة إلى المشاركة في إعداد سلسلة كتب ثقافية للأطفال، وذلك إسهامًا منه في خدمة ثقافة الطفل العربي.

وتهدف هذه السلسلة المراد إصدارها إلى ربط الطفل بعالم الكتب ومصادر المعرفة منذ الصغر، وتزويد الطفل قدرًا معقولاً من المعارف والمعلومات الملائمة، وتنمية مهارات القراءة لدى الطفل وتعويده البحث الذاتي عن المعرفة، وتمكين الطفل من التكيف مع البيئة المحيطة سواء المحلية أو العالمية من خلال اكتساب المعارف والمعلومات، وتوجيه الاهتمام بكتب الأطفال ومصادر المعرفة التي تهمهم.

وجاءت مجالات السلسلة في الآتي: جسم الإنسان: ويشمل الموضوعات الآتية: نشأة الإنسان، ومكونات جسم الإنسان، ووظائف أعضاء جسم الإنسان، ووقاية جسم الإنسان.

الحاسب الآلي: كيف يعمل الحاسب الآلي؟، وكيف يفيدك الحاسب الآلي؟.

السلامة: يتم اختيار أمثلة للسلامة في الأماكن المختلفة مثل: البيت، والشارع، والمواصلات، والملاعب، وغيرها.

الاختراعات: أسباب الاختراعات، وأهمية الاختراعات، وكيف تبدأ الاختراعات، وأنواع الاختراعات، والتكامل بين الاختراعات، والاختراعات المفيدة للبشر.

الغذاء: ويشمل الموضوعات الآتية: مصادر الغذاء، الغذاء الصحي، الغذاء وجسم الإنسان، ووسائل حفظ الغذاء، والمحافظة على الغذاء.

أرشيف جديد لهيئة الإذاعة البريطانية

كشفت هيئة الإذاعة البريطانية الـ «بي بي سي» عن نيتها تدشين موقع إلكتروني عالمي ضخم يعدّ الأول من نوعه في العالم، إذ يمكن لأي شخص الآن أن يحمّل كامل المعلومات التلفازية التي يريدها من خلال الموقع، ومشاهدتها في أي تاريخ يريده منذ أن بدأت الهيئة عملها منذ عقود.

وقد فتحت الهيئة أرشيفها التلفازي الآن، وتقوم بوضع خادمات لشبكة الموقع الذي تنوي افتتاحه، إذ تحمّل مئات المواد التلفازية التي جاءت على شكل مقاطع تلفازية رقمية قصيرة، كما أن الهيئة تعتزم أيضًا تدشين موقع آخر باسم «أرشيف الإبداع التلفازي لـ BBC» في الخريف المقبل، ولم تحدد الهيئة القيمة التي سوف تتقاضاها مقابل دخول المشتركين لهذا الموقع، لكنها أكدت أنها لن تكون مكلفة.

وكانت الهيئة قد تعرضت لهزة مدوية بسبب تقرير نشرته عن مفتش أسلحة الدمار الشامل في العراق ديفيد كيلي، استقال بسببه مديرها العام، ورئيس مجلس إدارتها، وهي تحاول بهذا الجهد تعزيز ثقة مشاهديها.



جائزة العويس تفتح باب الترشيح

أعلنت الأمانة العامة لمؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية عن فتح باب الترشيح للدورة التاسعة ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م ابتداءً من ١٥ إبريل/نيسان ٢٠٠٤م حتى ٢٨ فبراير/شباط ٢٠٠٥م.

وقد أكد عبدالحميد أحمد الأمين العام للمؤسسة أنه لم يحدث تغيير يذكر في حقول الجائزة، أو شروط الترشيح لها، أو قيمتها المادية التي تبلغ ٥٠٠ ألف دولار أمريكي بواقع مئة ألف دولار لكل حقل من حقول الجائزة التي تشمل: «الشعر»، و«الدراسات الأدبية والنقد»، و«القصة والرواية والمسرحية»، و«الدراسات الإنسانية والمستقبلية»، و«جائزة الإنجاز الثقافي والعلمي».

وأكد عبدالحميد حيادية الجائزة، وسرية لجان تحكيمها الذين يختارون في كل دورة من دون تكرارهم قدر الإمكان ضمانًا للنزاهة، وقد بلغ عددهم حتى الآن ٧٦ محكمًا من النقاد الأعلام المعروفين في الوطن العربي.

وأضاف عبدالحميد: «أن المؤسسة بدأت بإرسال استمارات الترشيح إلى معظم الجامعات العربية والمؤسسات والروابط والاتحادات والأسر الأدبية والثقافية، لتكون متوافرة أمام المرشحين في كل الوطن العربي، كما يمكن طلبها من المؤسسة مباشرة».

وعن كيفية الترشيح لهذه الجائزة قال الأمين العام: «إضافة إلى المؤسسات الرسمية والاتحادات والروابط والجامعات، وبحسب اللوائح والأنظمة المعمول بها في المؤسسة يحق لخمسة من الأدباء العرب ترشيح من يرونه مناسبًا لنيلها، ويحق أيضًا للمبدع ذاته ترشيح نفسه مباشرة إلى الأمانة العامة».

اعتراف

اعترفت صحيفة «نيويورك تايمز» أن أخطاء هيكلية داخل إدارة الصحيفة أدت إلى استخدامها في «حملة ماكرة» من أشخاص أرادوا أن يصدق العالم أن لدى العراق أسلحة دمار شامل. وعدّ دانيل أوكرينت، وهو المحكم الذي استعانت به الصحيفة لتقويم أدائها خلال الفترة التي سبقت غزو العراق، أن تغطية الصحيفة كانت «معيبة». كما أوردت وكالة رويتر.

وأضاف أن: «جزءًا من التغطية في الأشهر التي سبقت الغزو كان ساذجًا، وكثير منها برز في صورة غير ملائمة على مساحات كبير في الصفحات الأولى وبعناوين كبيرة».

واعترف محررو الصحيفة بأنهم لم يتعاملوا بصورة ملائمة مع معلومات تلقوها من منفيين عراقيين، سعوا إلى إظهار أن صدام حسين يملك أسلحة دمار شامل من أجل إسقاطه، وقال المحررون: كان علينا العمل كصحافيين محققين أكثر، وأن نبدي مقدارًا أكبر من التشكك». وأشاروا إلى أن الصحيفة اعتمدت على «معلومات مضللة» من أحمد الجلبي زعيم «المؤتمر الوطني العراقي».

وانتقد أوكرينت بشدة سلسلة مقالات حول البحث عن أسلحة الدمار الشامل، كتبها أحد محرري الصحيفة المرافقين للقوات الأمريكية في العراق، قائلاً: إنها كانت حافلة



بالتناقضات، ولكنه رأى أن من الغبن لوم صحافيين معينين. وتابع: «التقصير لم يكن فرديًا بل هيكليًا». ولفت إلى أن ذلك كان بسبب «النهم للسبق الصحافي»، مشيرًا إلى أن بعض قراء الصحيفة «تعرض لقصص مثيرة جدًا، كتبت بناء على معلومات كانت في كثير من الأحيان تأكيدات من مصادر مجهولة لها مصالح خاصة».

وذكر أن بعض القصص التي نشرت تتبنّى مواقف البنتاغون «حتى إن المرء قد يرى الرتب العسكرية تلمع على أكتاف المحررين».

استمرار سرقة الآثار العراقية

ما زال مسلسل سرقة الآثار العراقية متواصلاً حتى اليوم، فقد أكد وزير الثقافة العراقي مفيد الجزائري أن هذا النهب لم يتوقف على المتاحف فحسب بل تعدى ذلك إلى المواقع الأثرية، إذ يوجد في العراق أكثر من سبعة آلاف موقع معظمها مغلق أو لم يبدأ التنقيب فيه.

وقال الجزائري إن عصابات تهريب الآثار تضطلع بالتنقيب وتسرق ما تحصل عليه من آثار. وأوضح أن نهب الآثار لم يبدأ مع الغزو الأمريكي الأخير على العراق، بل بدأ وتطور بشكل منظم بعد الحرب مع إيران. وأضاف: «ومع ذلك فإن تجربة الأشهر الثلاثة عشر الماضية أظهرت أن سرقة الآثار وصلت إلى حدود لم يسبق لها مثيل، وأظهرت أن قوات الاحتلال عاجزة تمامًا عن حماية المواقع الأثرية».

وكانت السلطات العراقية قد عمدت إلى تدريب

تاريخ البوسنة مهدد بالتلف

حذر مدير المخطوطات التاريخية البوسنية يوسف ماتونوفيش من خطر تلف أربعين ألف كتاب ومخطوطة ووثيقة ذات أهمية حضارية كبيرة بسبب وجودها في مواقع وظروف بيئية غير مناسبة للحفظ.

وكشف ماتونوفيش لوكالة الأنباء الكويتية «كونا» أنه ناشد منظمات ثقافية دولية منها اليونسكو التدخل للحفاظ على أربعين ألف كتاب ومخطوطة ووثيقة تاريخية تسجل ألف عام من تاريخ البوسنة أصبحت معرضة للتلف بسبب وجودها في قبو دير فوينتسا، إذ جرى نقلها إليه خلال الحرب للحفاظ عليها مؤقتًا.

وذكر أن الدير القديم الذي يتبع للفرنسيسكان البوسنيين كان قد استضاف تلك المخطوطات لحمايتها من التلف، لكن الظروف الحالية للدير كونه لا يحتوي على الشروط المناسبة للحفاظ على الكتب والمخطوطات من رطوبة ودرجة حرارة وعناية مناسبة تجعل احتمال تلفها كبيرًا جدًا.

وقال: إن من هذه المخطوطات المهمة وثائق من العهد العثماني خاصة ما يتعلق بالتعهد بإعطاء الأمان والحماية لأتباع الديانات والمذاهب غير الإسلامية، وبخاصة للبوسنيين المسيحيين.

وعدّ هذه الوثائق والمخطوطات ذات أهمية مميزة في عصر تشديد الهجوم على الإسلام والمسلمين والزعم بأن كل ما هو إسلامي يشكل خطرًا على أوربا والعالم.

وطالب بالحفاظ على تلك المخطوطات وترجمة بعضها ونشرها، وذلك لتوضيح كيف كانت المعاملة الجيدة التي كان يتلقاها المسيحيون واليهود داخل الدولة العثمانية قبل نحو ٥٠٠ عام، مما عدّه مفيدًا أيضًا لبعض المسلمين الذين يفسرون الإسلام على طريقة الغلو ورفض الآخر.

ودعا إلى اتخاذ الاجراءات الفعّالة لنقل المخطوطات التاريخية المهمة بأسرع ما يمكن إلى مكان مناسب آخر، أو توفير الشروط الملائمة للجناح الذي يضم تلك المخطوطات من دير فوينتسا المشهور الذي يصفه البوسنيون بأنه بيت التاريخ البوسني، لكونه يحوي المخطوطات المتعلقة بتاريخ البوسنة ما قبل الإسلام، وفي عهد الحكم العثماني، ويحتوي على وثائق نادرة من ذلك التاريخ.

يذكر أن جماعات الفرنسيسكان البوسنيين كانت لهم مواقف إيجابية خلال الحرب البوسنية حيث عارضوا عمليات العدوان على المسلمين، ورفضوا زج الدين في الحملات الإعلامية ضد المسلمين، وهذا ما أدى إلى تعرضهم بسبب ذلك إلى ضغوط كبيرة من جماعات مسيحية متشددة.

وحدة أمنية تتكون من ألفي شخص مزودين بوسائل اتصال حديثة بغرض حماية الأماكن الأثرية مستفيدة من التجربة الإيطالية في هذا المجال، ولكن الوزير أكد «أن عمل هذه الوحدات يظل غير ممكن طالما لم تتول أيد عراقية مهمة الأمن، وما دامت الحالة الأمنية غير مستقرة».

وأوضح الجزائري أن السلطة العراقية لا تعرف حجم ما سرق من الآثار، وقال إذا كان عدد القطع التي سرقت من متحف بغداد قد قدر بـ ١٥ ألف قطعة، فإن النهب «امتد إلى المخازن والمستودعات التي كانت تحتوي على الكثير من القطع الأثرية التي لم يتم تصنيفها».

وأكد أن معظم القطع التي سرقت ما زالت موجودة في العراق، في حين عثر على ٢٠٠٠ قطعة في الولايات المتحدة، و٧٠٠ قطعة في الأردن، و٢٠٠ قطعة في سورية، وغيرها من القطع في فرنسا وسويسرا، ورأى الجزائري أن «هذه القطع استعيدت أو هي بحكم المستعادة».

مشروع جديد للترجمة

انطلقت في بيروت مؤخرًا مؤسسة جديدة تعنى بالترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وقد جاءت هذه المؤسسة ثمرة لقاء تم بين «مركز البابطين للترجمة» و«دار الساقي للنشر». وقال رئيس المركز عبدالعزيز سعود البابطين في كلمته بعد توقيع العقد، الذي حضره، بالإضافة إلى ممثلي المركز والدار، جمع من أهل الثقافة والأدب: «إننا نريد أن تتركز الترجمة من خلال المشروع في عاميه الأولين على ترجمة الكتب النادرة المختصة في المجالات العلمية وليس المجالات الأدبية، على أن نحسن الاختيار لتعم الفائدة القارئ العام وذوي الاختصاص في أن واحد، وألا ينحصر الاختيار في الترجمة إلى العربية عن اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وإنما تمتد الترجمة إلى اللغات الحية الأخرى، عندما يكون موضوع الكتاب نادرًا وعلميًا عامًا ونافعًا».

وأدرج المفكر أحمد الرميحي مستشار المركز والمشرف على المشروع الإضافات التي يمكن أن تتم في ثلاثة مستويات: «أن يكون هناك رصد متعمد ومخطط لأهم التيارات والمستجدات الفكرية والعلمية في العالم، بما يصل المثقف العربي بالعالم الجديد، من أجل تحقيق تنمية ثقافية حقيقية، والانفتاح على ثقافات ولغات لا تلقى اهتمامًا عربيًا اليوم وتدخل مؤلفاتها في النطاق السابق، مثل الإسبانية واليابانية والهندية والألمانية، إضافة بالطبع إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وتشكيل تفاعل مع العالم العربي أو مع ما يؤثر فيه أو يمثل وجهة نظر في العرب والمسلمين، ومتابعته في شكل دائم وفاعل».

وقالت دينا دلّي ممثلة دار الساقي: «هذا يوم ننظر إليه بكثير من الاعتزاز، فليس عاديًا أن تلتقي مؤسستان عربيتان هما «البابطين» ومؤسستنا «الساقي» على مشروع كبير في حجمه واستثنائي في أهدافه في الوقت نفسه، ولحمة هذا المشروع هي همنا المشترك في خدمة قضايا التنوير والتقدم، مما يتحول اليوم إلى إبراز المسائل المعاصرة والملحة في العالم العربي».



موسيقار إسرائيلي يهاجم حكومته

هاجم الموسيقار الإسرائيلي دانيال بارنبويم خلال حفل تسليم جائزة «وولف» الذي تم في مبنى الكنيست الإسرائيلي مؤخرًا، سياسة الحكومة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، وما تقوم به من انتهاكات لحرية الشعب الفلسطيني. وقال بارنبويم: «هل وضع احتلال شعب آخر والسيطرة عليه يتلاءم مع وثيقة الاستقلال؟، وهل ثمة منطق لاستقلال شعب على حساب انتهاك الحريات الأساسية لشعب آخر؟».

وتعرض بارنبويم نتيجة لهذا الموقف إلى انتقادات حادة من عدد كبير من أعضاء الحكومة الإسرائيلية على رأسهم الرئيس الإسرائيلي موشيه كتساف، ووزيرة التعليم الإسرائيلي ليمور ليفنات التي دعت إلى حرمان

بارنبويم من الجائزة.

وقد تبرع الموسيقار بارنبويم بمبلغ الجائزة التي يبلغ ٥٠ ألف دولار لمصلحة الشعب الفلسطيني لتشجيع الموسيقى الفلسطينية والبرامج الموسيقية المشتركة بين شباب رام الله والشباب اليهودي في إسرائيل.

أدباء ومدن

بدأ معهد جوته «المركز الثقافي الألماني» في القاهرة الشهر الماضي مشروعًا أدبيًا مشتركًا بين ألمانيا والعالم العربي أطلق عليه اسم «رواة المدن». وتقوم فكرة هذا المشروع على زيارات متبادلة بين الأدباء العرب والألمان. إذ يقوم ستة أدباء ألمان من الجيل الجديد بزيارات لست عواصم عربية. وبالمقابل يقوم ستة أدباء عرب بزيارات إلى ست مدن ألمانية. على أن يقوم كل أديب من الجانبين برسم صورة للمدينة التي زارها.

وكانت البداية من نصيب "الشاعر الألماني خوزيه أوليفر الذي قام بزيارة للقاهرة. وسوف تتوجه الأديبة أولا لينتسه القادمة من مدينة كولونيا إلى العاصمة السورية دمشق. وسوف تتوالى زيارات الأدباء الألمان فيما بعد. إذ سيسافر كل من زيلكا شويرمان إلى بيروت. وشتيفان كوبتسكي إلى الرباط. ومايكل لينتس إلى العاصمة الأردنية عمّان. ونورمان أولر إلى رام الله الفلسطينية.

ولم تعلن أسماء الأدباء العرب الذين سيقومون بزيارات المدن الألمانية. المقررة في شهر سبتمبر/أيلول القادم. حتى الآن.

وسوف تنشر نصوص هؤلاء الأدباء - العرب والألمان - حول المدن التي زاروها على المنتدى الأدبي الألماني العربي «مداد» على شبكة الإنترنت WWW.goethe.de/midad باللغتين العربية والألمانية. كما سيقوم هؤلاء الأدباء بعقد اجتماعات لقراءة ومناقشة ما كتبوه خلال هذه الزيارات في معاهد جوته والدور الأدبية المعنية بالدول المضيفة. بالإضافة إلى تقديم هذه النصوص في معرض فرانكفورت للكتاب لكون هؤلاء الأدباء شخصيات متجولة في عالم مختلف.

مئوية سامي فراشري

تمر هذه الأيام الذكرى المئوية لوفاة عالم اللغات والكاتب الروائي المسرحي شمس الدين سامي «كما يشتهر في العالم التركي». أو سامي فراشري «كما يشتهر في العالم الألباني». وتقام بهذه المناسبة احتفالات في عدد من المدن في تركيا وألبانيا. إذ تعقد عنه ندوات في كل من تيرانا وبريشتينا. كما يصدر عنه الباحث التركي د.بولنت بيلماز كتابًا بهذه المناسبة.

ولد شمس الدين/سامي فراشري في قرية فراشر في جنوب ألبانيا عام ١٨٥٠م. وتخرج في ثانوية زوسيميا في مدينة يانينا «شمال غرب اليونان حاليًا». وكانت هذه المدرسة من أشهر المدارس في البلقان في ذلك الوقت. فتعلم عددًا من اللغات الأوربية (الفرنسية واليونانية والإيطالية). بالإضافة إلى اللغات الشرقية(التركية والعربية والفارسية). واللغة الأم الألبانية. وقد استفاد شمس الدين/سامي فراشري كثيرًا من تعلم هذه اللغات. واشتغل بالصحافة فترة من الزمن. ولكنه ابدع في مجال الأدب. وله عدد من المؤلفات. وكانت أولى رواياته «تعشق طلعت وفتنة» التي تعد أول رواية في الأدب التركي الحديث نشرها بعد سنة من إقامته في إستانبول عام ١٨٧٢م. وقد أحدثت تلك الرواية وقتها دويًا هائلاً. لفتت الأنظار إلى جراتها وتمردها على التقاليد.

كذلك خاض شمس الدين/سامي فراشري مجال الرواية العالمية المترجمة عن الفرنسية. وكان يهدف إلى أن يتعرف الذين لا يجيدون اللغة الفرنسية إلى هذه النماذج من الأدب العالمي. فترجم الروائع عن الأدب الفرنسي مثل رواية «ذكريات الشيطان» لـ ف. ساولي عام ١٨٧٨م. ورائعة فيكتور هوجو «البؤساء» عام ١٨٧٩م. بالإضافة إلى رواية «روبنسن» لدانييل ديفو.

واقتحم شمس الدين/سامي فراشري كذلك مجال المسرح. فألّف عددًا من المسرحيات نشر منها ثلاث مسرحيات على الأقل. ليعدّ بذلك من رواد الكتاب المسرحيين في الأدب التركي. بعد إبراهيم شناسي «١٨٢٦ - ١٨٧١م». ونامق كمال «١٨٤٠ - ١٨٨٨م».

وتوفي شمس الدين في إستانبول في الخامس من يونيو/حزيران عام ١٩٠٤م.

أفلام عربية في معرض فرانكفورت

من المتوقع أن يشهد معرض فرانكفورت الدولي للكتاب المقرر عقده في أكتوبر/ تشرين الأول القادم في ألمانيا عرض نحو ستين فيلمًا روائيًا عربيًا تم اختيارها من بين الأفلام التي سبق لها الفوز بجوائز في مهرجانات عربية.

وقد صرح المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الألسكو» المنجي أبو سنينة الذي يشرف على تنسيق المشاركة العربية في هذا المعرض أن من أبرز الأفلام التي ستعرض تلك «الفائزة في مهرجانات السينما العربية التي نظمها معهد العالم العربي في باريس في الفترة بين عامي ١٩٩٢ و ٢٠٠٤م، وأضاف: «أن الأفلام العربية المشاركة ستمثل الدول العربية تحت عناوين بانوراما سينما المشرق العربي، وبانوراما السينما المصرية، وبانوراما السينما المغاربية. وتضم هذه التشكيلة الدول العربية المنتجة للأفلام وهي مصر، والمغرب، والجزائر، وتونس، وسورية، ولبنان بشكل أساسي، إذ إن بقية الدول العربية لا تشارك بشكل فعلي في هذا النوع من النشاط».

وسيشهد المعرض أيضًا عدة معارض تعكس التراث الحضاري والثقافي العربي منها: معرض «الحرف التقليدية والصناعات اليدوية في العالم العربي»، ومعرض «رسوم كتب الأطفال العرب»، ومعرض «مختارات من أعمال الفنون التشكيلية في العالم العربي»، وعروض فرق عربية للموسيقا والغناء والمسرح، والرقص الشعبي والرقص الحديث، ومعرض «السياحة الثقافية في العالم العربي»، ومعرض «صور فوتوغرافية للمواقع التاريخية والأثرية المسجلة على قائمة اليونسكو»، ومعرض «أهم المراكز والصروح الثقافية في العالم العربي»، ومعرض «رسوم الأطفال في العالم العربي»، ومعرض «فن الكاريكاتور في العالم العربي»، وغير ذلك من المعارض.

قصور أثرية للبيع

بعد عقود من الإهمال الذي طال مقدرات روسيا الأثرية، قررت مدينة سان بطرسبرج العاصمة الإمبراطورية السابقة

مؤتمر للترجمة في مصر

نظم المجلس الأعلى للثقافة المصري مؤخرًا المؤتمر الدولي الثاني للترجمة في القاهرة بمشاركة أكثر من مئة باحث ومترجم من العرب والأجانب، وقد أكد المتحدثون في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر عدم كفاية ما يترجم إلى العربية من اللغات العالمية في مجالات المعرفة الإنسانية كافة، وركز وزير الثقافة المصري فاروق حسني في كلمته أمام المؤتمرين في ضرورة «زيادة العمل على الترجمة في مجالات المعرفة؛ لأن ما هو قائم حتى الآن لا يغطي جميع المجالات الأكاديمية والمعرفية».

كذلك تحدث الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة



فاروق حسني



التي اشتهرت بفنونها وقصورها الفخمة التي ترجع إلى عهد القياصرة. وضع خطة لإنقاذ هذا الإرث التاريخي من الدمار. وتتمثل الخطة المقترحة في بيع هذه القصور والمتاحف في المزاد ليتحمل الملاك الجدد تكلفة صيانتها والمحافظة عليها. وستعرض بموجب هذه الخطة المقترحة مئات المتاحف والقصور للبيع للأثرياء القادرين على ترميمها وصيانتها. وقد عللت عمدة المدينة فالنتينا ماتفيينكو هذا الإجراء بنقص الموارد اللازمة لصيانة هذه القصور الأثرية، مفضلة بيعها للأثرياء لإنقاذها بدلاً من ضياعها إذا استمر الحال على ما هو عليه. وقالت ماتفيينكو: «يتردد المستثمرون من القطاع الخاص في إنفاق أموال على ترميم مبان دون أن يكون لهم حق تملكها. ينبغي إيجاد ملاك للآثار المعمارية وإلا لن يتبقى ما يحتاج إلى ترميم خلال عشرة أعوام أو خمسة أعوام».

وعلى الرغم من أن المسؤولين الروس لم يعلنوا القصور الأثرية المراد بيعها في المزاد، إلا أن الطلبات ما برحت في ازدياد على الرغم من تأكيد السلطات أنها سوف تضع شروطاً صارمة تلزم الشارين الحفاظ على هذه الثروة التي سوف تؤول إليهم عند الشراء.

جابر عصفور مشيرًا إلى أهمية الترجمة، ووصفها بأنها الخطوة الأولى في النقل، وأداته الفاعلة في تحقيق النهضة والمضي في طريقها الصاعد.

وجاءت كلمات المتحدثين باسم الباحثين المصريين أحمد عثمان، والباحثين العرب أحمد الصياد متفقة على النقص الشديد في حجم الترجمة إلى اللغة العربية.

وقدم وزير الثقافة المصري والأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة مجموعة من المترجمين الذين قاموا بترجمة «إلياذة» الشاعر اليوناني الضرير هوميروس التي أفرد المؤتمر احتفالية خاصة بها في مناسبة مرور مئة عام على قيام اللبناني سليمان البستاني بترجمتها إلى العربية عام ١٩٠٤م.

من ناحية أخرى أعلنت الجمعية الدولية للمترجمين العرب (WATA)، ومقرها قطر، عن أسماء مجلس خبراء الجمعية المؤلف من ٣٠ خبيرًا عربيًا في الترجمة واللغات من مختلف أنحاء العالم. وقد شكلت ١٤ لجنة من مجلس الخبراء، تغطي جميع احتياج عمليات الترجمة والخبرات اللازمة لها. وستعلن الجمعية قريبًا عن تأسيس «لجنة مجلة واتا للترجمة واللغات» وهيئة تحرير خاصة بها.

والجدير بالذكر أن هذه جمعية (WATA)، ومقرها قطر كانت قد تأسست منذ عام جمعية مستقلة، وحازت على اعتراف وتعاون من منظمة الأمم المتحدة بوصفها جمعية دولية للترجمة. ويرأس مجلس إدارتها التأسيسي منذ إنشائها مطلع عام ٢٠٠٣م عامر العظم.

رحيل التشكيلية دلال المفتي

توفيت في الشهر الماضي في لندن الفنانة التشكيلية العراقية دلال المفتي بعد صراع مع مرض السرطان لم يمهلها طويلاً، ولا يمكن وصف دلال وتعريفها فنانة تشكيلية فقط، بل هي مثقفة وباحثة اجتماعية، وقد عانت كثيراً بسبب مواقفها السياسية.



دلال المفتي

ولدت دلال عام ١٩٣١م في مدينة الحلة الواقعة وسط العراق لأسرة معروفة. وقد جاء في سيرتها الذاتية التي روتها في حديث صحافي: «أنا عراقية الروح والقلب ولا أرضى أن أكون غير ذلك. أما من ناحية الأصول. فإني أتحدر من أرومة سورية، أمي من بيت العوا، وجدتي من بيت عرق سوس. وجدة جدتي جذرها تركي. أما جدي لأبي فهو مفتي ديار الشام، وأستاذ الملك فيصل الأول».

ودرست دلال في مدارس بغداد، ثم التحقت بكلية فكتوريا في مصر لإتمام الدراسة الثانوية، ثم درست اللغة الإنجليزية في الجامعة الأمريكية في بيروت. وعادت إلى العراق لتعمل في التدريس. وتزوجت من الشاعر العراقي بلند الحيدري عام ١٩٥٣م، وأنجبت منه ابنهما الوحيد عمر عام ١٩٥٥م. وعلى الرغم من الوضع المعيشي المريح الذي عاشت فيه دلال. إلا أن ذلك لم يمنعها من معايشة هموم الناس المعيشية، والتفاعل معها. فنشطت في مجال العمل النقابي. وأصبحت عضواً فاعلاً في تحقيق برامجها لمكافحة الفقر والمرض والجهل. وقد تعرضت - هي وزوجها - نتيجة لذلك للسجن والإهانة مما جعلها تهاجر إلى لندن عام ١٩٧٨م، وتبقى هنالك حتى وفاتها.

وظلت دلال تمارس فنها، وتنتج حتى آخر أيامها، فلم يمنعها المرض من مزاولة فنها، وتملك الفنانة الراحلة عدداً كبيراً من اللوحات وأعمال السيراميك. ولكنها كانت زاهدة في تقديم نفسها وعرض أعمالها. فإذا استثنينا مشاركاتها في المعارض الجماعية المختلفة. فإنها لم تقم معرضاً شخصياً واحداً لنفسها عدا الذي أقامته في مدينة لندن عام ١٩٨٩م.

جائزة أدبية عالمية جديدة

أعلنت مجموعة «مان بوكر» مؤخراً عن إطلاق جائزة أدبية دولية جديدة تبلغ قيمتها ٦٠ ألف جنيه إسترليني تمنح لكاتب على قيد الحياة وصاحب إنجاز روائي فريد كتب أو ترجم للغة الإنجليزية.

وسوف تقدم هذه الجائزة، التي تعد أغلى جائزة أدبية في بريطانيا للمرة الأولى عام ٢٠٠٥م، ثم تمنح بعد ذلك كل عامين. وقد رشح الناقد الأدبي جون كيري ليتولى رئاسة اللجنة الثلاثية هذا العام لاختيار الفائز من بين ١٥ مرشحاً بداية العام المقبل.

وقال كيري في مؤتمر صحافي: إن الجائزة «ستقدم لإنجاز روائي، محدد وليس بالضرورة إنجازاً على مدى عمر الكاتب، مما يعطي الفرصة لكُتّاب من جميع الأعمار والخلفيات». وأوضح أن هذه الجائزة العالمية تختلف عن جائزة «بوكر» السنوية التي أطلقت عام ١٩٦٩م، المحددة لكُتّاب من المملكة المتحدة وإيرلندا ودول الكومنولث. وأضاف: «أن المسؤولين عن الجائزة مهتمون باختيار حكام من جميع دول العالم، وزيارة بلدان مختلفة للتعرف إلى جميع الخيارات المتاحة للأدب العالمي. ودعا المرشحين للجائزة أن يجمعوا بين الكتابة الجدية لجذب نطاق واسع من القراء».

زهى حديد تفوز بجائزة عالمية

أصبحت المعمارية العراقية زهى حديد أول امرأة في العالم تفوز بجائزة «بريتزكير» للعمارة التي تعد أرفع



زها حديد

الجوائز في هذا المجال. وقالت حديد لدى تسلمها الجائزة: «لا أدري حقًا لماذا أنا المرأة الأولى التي تفوز بهذه الجائزة. غير أنني أصبو إلى مساعدة غيري من النساء في هذه المهنة لتحقيق النجاح».

وكانت حديد، التي ولدت وتعلمت في العراق، قد هاجرت إلى بريطانيا واستقرت هناك. وقد اشتهرت بتصميماتها المتميزة، التي تتحدى النظريات التقليدية للعمارة. وقد تركت بصماتها على عدد من المباني المشهورة في مدن العالم. وعلى رأسها مجموعتها المعمارية «مركز روزنتال للفن المعاصر» الذي يقع في ولاية أوهايو الأمريكية، و«محطة فرتا للإطفاء» في ألمانيا. وجسور ومراكز فنية وفنادق ومستشفيات في عدد من بلدان العالم مثل: بريطانيا، والنمسا، وفرنسا، واليابان، وهونكونج.

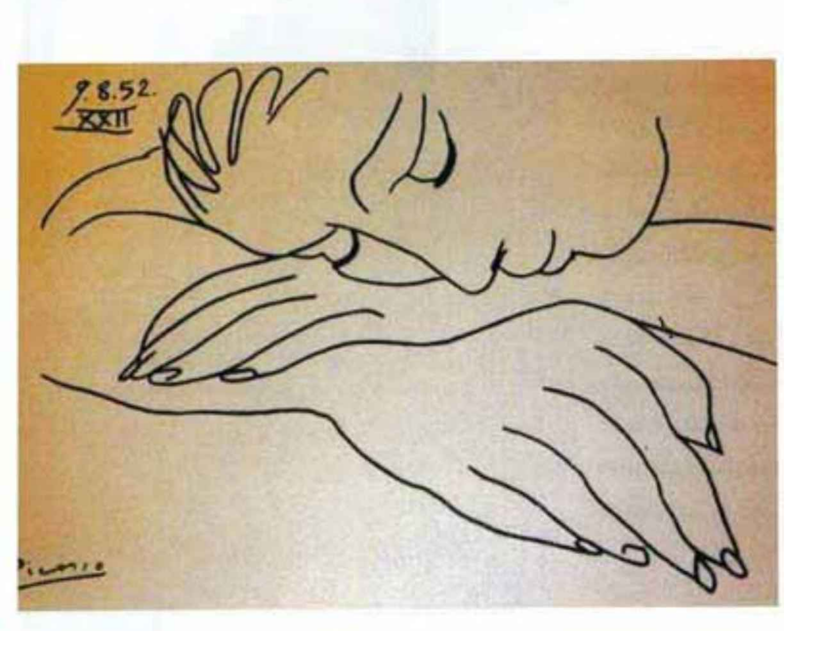
معرض لبيكاسو حول الحرب والسلام

تشهد مدينة برشلونة الإسبانية حاليًا حتى السادس والعشرين من سبتمبر/ أيلول القادم معرض «الحرب والسلام» الذي يحتوي على أعمال الرسام الإسباني المعروف بابلو بيكاسو (١٨٨١ - ١٩٧٣م).

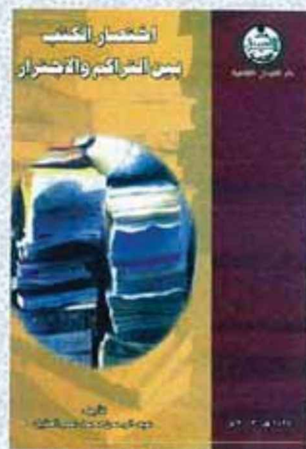
ويحتوي هذا المعرض على ٣٢٠ عملاً لبيكاسو من النحت والحفر معروضة في ١٥صالة تدور كلها حول الحرب والسلام في الفترة منذ الثلاثينيات حتى بداية الستينيات من القرن الماضي.

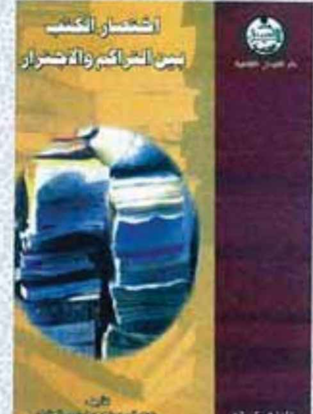
ومن اللوحات المعروضة لوحة «مصارعة الثيران» ١٩٣٥م التي يعدّها النقاد المقدمة للوحة «الفرونيكا» الشهيرة، بالإضافة إلى تماثيل تعود إلى الأربعينيات من القرن الماضي مثل: «جمجمة خروف»، و«جمجمة ثور في حانة»، ولوحة «مذبحة كوريا» التي رسمها بيكاسو عام ١٩٥١م احتجاجًا على تدخل الولايات المتحدة في كوريا.

ويضم المعرض أيضًا قسمًا للرسائل، منها رسالة موجهة إلى بيكاسو لتقديم الشكر له لتبرعه لأطفال الحرب الأهلية الإسبانية، وكذلك يوجد قسم للتسجيلات الصوتية الذي يمكن للزوار من خلاله سماع قصيدة الشاعر بابلو نيرودا «إسبانيا في القلب» التي كتبها الشاعر بعد سقوط الجمهورية في إسبانيا، التي كان يؤيدها بيكاسو.









العقيل، عبدالرحمن محمد عمر/اختصار الكتب بين التراكم والاجترار ـ الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٤هـ، ١٦٥ص.

تناول المؤلف في هذا الكتاب عملية اختصار الكتب كأحد عيوب مسيرة التأليف العربية، وقد التزم المؤلف ـ قدر الطاقة ـ التنبيه على ما هو مطبوع من المختصرات الواردة في الكتاب، وما هو مخطوط، مع ذكر مكان نسخه الخطية، وإهمال ما لم يصل إلينا مخطوطًا، أو ما زال مفقودًا.

وجاء الكتاب في سبعة فصول وتمهيد وخاتمة: كان فصله الأول عن: أسباب الاختصار؟، ومن يقوم به، كما بحث في قدم الرغبة في الاختصار من حداثتها.

وجاء الفصل الثاني عن موقف المؤلف من اختصار كتابه، وتناول في الفصل الثالث مضار الاختصار، وعرض فيه أهم ما لمسه من مضار الاختصار سواء على الأصل المختصَر، أو على المختصِر، أو على المتلقي لتلك الاختصارات.

أما الفصل الرابع فجاء عن مجموعة ممن اشتهروا باختصار الكتب، وذكر في هذا الفصل سبعة من الأعلام الذين عُرفوا بكثرت اختصار الكتب، كما سرد فيه مختصراتهم، وأورد في الفصل الخامس لمجموعة من الكتب المشهورة التي طالها الاختصار، وذكر فيه ثمانية وعشرين كتابًا مما طاله الاختصار، وقد رتب الكتب في هذا الفصل على حسب وفيات مؤلفيها.

واقتصر الفصل السادس على جولة مع بعض المختصرات، وهي جولة سريعة اطلع القارىء من خلالها على أساليب المختصرين في التعامل مع الأصول، ومحاولة تعليل وجوب الاختصار.

وتناول في الفصل السابع والأخير أفضل المختصرات، مبينًا أن المختصرات الجيدة ـ على قلتها ـ موجودة، ولا يمكن اغفالها.

وأوضح المؤلف في الخاتمة أن الاختصار لا يختلف عن باقي العيوب الأخرى، وهو ضار من أربع جهات: فهو ضار بالأصل: إذ يسهم في ضياع الأصول أو إهمالها، كما هو ضار بالمكتبة العربية التي تضخّمت بالتراكم والاجترار الثقافي، وقد تقلب أولويات النشر: بنشر المختصرات وترك الأصول!، وهو أيضًا ضار بالمختصر الذي يستنفد أيام عمره في اجترار ما أبدعه غيره، وليس بعد هذا إلا توقف حركة الإبداع جماعيًا، وأخيرًا هو ضار بالمتلقي وتكوينه الثقافي، حين يراوح بين الأصول، والشروح، والمختصرات، وغير ما هنالك من كتب كل منها ينظر إلى الآخر، وهي جميعًا في فن واحد.

ودعا المؤلف في آخر الكتاب إلى وقفة جادة للتأمل في عيوب مكتبتنا العربية، ومناقشة تلك العيوب، والقيام بمسئولياتنا حيال مثل هذا النوع من التأليف، كما دعا وزارات الإعلام والثقافة، ومراكز البحث العلمي في الوطن العربي للقيام بدورها (جماعيًا) في احتضان مثل هذا النوع من التأليف، وحدد بعض الضوابط التي يجب الالتزام بها للتخلص من هذا التراكم والاجترار.



سيدو، أمين سليمان/ المسرحيات المترجمة والمعربة (معجم ببليوجرافي) ـ الشارقة:

دائرة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٣م، ٢٥٦ص (السلسلة المسرحية: الدراسات).

تنبع أهمية هذا البحث في كونه يحصر ببليوجرافيا النصوص المسرحية المترجمة والمعرّبة من الآداب العالمية المختلفة إلى اللغة العربية، وذلك بطريقة علمية مقننة كما هو متبع في مثل هذه الأعمال. ويتيح التعرف إلى أنماط هذه المسرحيات، وثقافات الشعوب، وآدابها من خلال فن المسرح بوصفه فعلاً ثقافيًا.

ويهدف هذا البحث إلى الأمور التالية:

- الحصر الببليوجرافي للنصوص المسرحية المترجمة، والمعربة من اللغات الأجنبية المنشورة في كتب مستقلة أو دوريات علمية.
- بيان أماكن وأزمنة نشر هذه المسرحيات من خلال الضبط الببليوجرافي لها، والبيانات الببليوجرافية التي تم تجميعها.
- الكشف عن أسماء الكتّاب الذين ترجمت أعمالهم إلى اللغة العربية، وكذلك التعرف إلى أسماء المترجمين، والمعربين، والمراجعين، والمقدمين لهذه المسرحيات.
- الاطلاع على آداب الشعوب العالمية من خلال المسرحيات المترجمة.
- التعرف إلى النشاط المسرحي المترجم والمعرب في حقل محدد من حقول المعرفة، وهو الأدب وفنونه، وبيان الملامح العامة لواقع الترجمة في البلاد العربية.

يغطي هذا البحث الفترة الزمنية من عام ١٨٦٩م وحتى نهاية عام ٢٠٠٢م.

واتسع محيط هذا البحث وشموله على ترجمات نصوص مسرحية من عدة لغات، هي: الإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والألمانية، والبلجيكية، والألبانية، والإسبانية، والإيطالية، والأرمنية، والإفريقية، والتركية، والبرازيلية، والبلغارية، والأوزبكية، والصينية، والفارسية، والصربية، والنرويجية، والكردية، واليابانية، والرومانية، والتشيكية، والسويدية، والكرواتية، واليوغسلافية، والأوردية، والإيرلندية، والأوغندية، والكينية، والباكستانية.



بيركس، روبرت/ التاريخ الشفهي حديث الماضي، ترجمة: عبدالله إبراهيم العسكر - الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ، ١٠٤ص.

التاريخ الشفهي هو التاريخ المروي، وهو تسجيلات ذكريات أناس مهمة، وقصص حياتهم. لقد بزغت فكرة التحدث إلى صناع التاريخ مباشرة منذ ثلاثين سنة مضت، وهذه الطريقة ليست هي الوسيلة الوحيدة التي تعين المؤرخ على اكتشاف الماضي، بل أصبحت طريقة مثلى في حد ذاتها.

من مميزات التاريخ الشفهي أنه يمدنا بمعلومات جديدة عن ماضي جميع المناطق، وهي معلومات قد لا تكون متوافرة في التاريخ المدوّن، وفي حالة وجود وثائق عن الموضوع نفسه قد تكون تلك الوثائق غير ميسرة ويصعب الوصول إليها.

ولأن التاريخ الشفهي يُعدّ مصدرًا مهمًا لتاريخ كل أمة، فإن معظم دول العالم أظهرت عناية بالغة به، وتأتي بريطانيا في مقدمة الدول الغربية التي تصدرت هذا الميدان.

وهذا الكتاب يعرض لتجربة متكاملة في العناية بالتاريخ الشفهي ووسائله وأدواته، كما



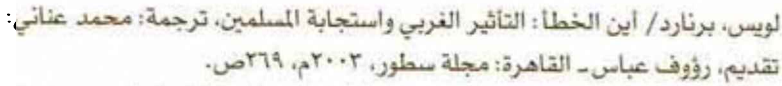
يعرض الكتاب لمباحث أخرى، كتحديد التاريخ الشفهي، وبيان أصوله، وكيفية استعماله، والإفادة منه.

بلوم، وليم/ الدولة المارقة: دليل إلى القوة العظمى الوحيدة في العالم ـ بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ٢٠٠٣م، ٥٥٢ص.

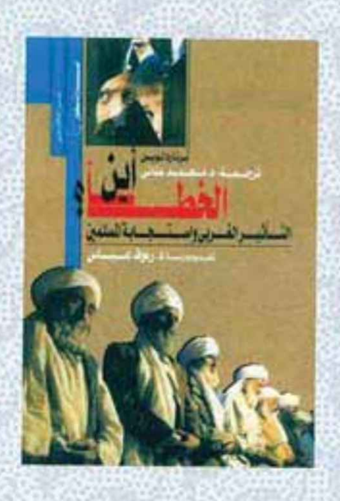
يتضمن هذا الكتاب مقدمتين وثلاثة أجزاء وسبعة وعشرين فصلاً، يستعرض المؤلف مجمل التاريخ السياسي والعسكري، والاستخباراتي لتدخلات الولايات المتحدة في العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، فبعد استقالته من وظيفته في وزارة الخارجية الأمريكية عام ١٩٦٧م، احتجاجًا على التدخل الأمريكي في فيتنام، انصرف بلوم إلى العمل صحافيًا حرًا، تنقل بين الولايات المتحدة وأوربا، وأمريكا الجنوبية، وشاءت به الأقدار أن يشهد الإطاحة بالتجربة الاشتراكية للرئيس التشيلي سلفادور الليندي بإيعاز من الاستخبارات المركزية الأمريكية في عام ١٩٧٣م، ومنذ ذلك الحين، راح المؤلف يوثق ويحلل كل ما وقع بين يديه، أو تحت ناظريه من أحداث كان للولايات المتحدة دور فيها سواء علنًا أم من وراء الستار.

وفي هذا الكتاب يفنّد بلوم «مآثر» السياسة الخارجية الأمريكية، ويسعى من خلال بحث معمق، إلى إبراز التناقض بين ما تدعو إليه واشنطن رسميًا، وما تقوم من على أرض الواقع، وإلى كشف الفرق بين آرهاب الدولة، الذي هو إرهاب الأثرياء، كما يسميه بلوم، وإرهاب المتطرفين الذي هو إرهاب الضحايا.

ويرسم المؤلف في هذا الكتاب صورة شاملة عن آرائه في الإرهاب الذي تمارسه السياسة الخارجية الأمريكية، ويحاول أن يجيب عن السؤال الافتراضي، ماذا لو حاولت الدول الضحايا معاملة الولايات المتحدة بالمثل؟.



لويس، برنارد/ أين الخطأ: التأثير الغربي واستجابة المسلمين، ترجمة: محمد عناني: تقديم، رؤوف عباس ـ القاهرة: مجلة سطور، ٢٠٠٣م، ٢٦٩ص.



يعدّ برنارد لويس من أبرز المستشرقين الصهاينة الأمريكيين في الوقت الحالي، وهو أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة برنستون، وله مؤلفات، وعدة أبحاث في مختلف نواحي التاريخ الإسلامي، فهو يتظاهر بحسن النية في الكتابة، ويستخدم المصادر الضعيفة، ويلوي النصوص ، وتأتي خطورة الرسالة التي يوجهها برنارد لويس في «أين الخطأ» من تأثيرها في الرأي العام الغربي على وجه الخصوص الذي ضاع فيه القرار، ويحوي الكتاب مغالطات وافتراءات، ويقول الدكتور رؤوف عباس: «إذا حاولنا أن نبين موضوع الخطأ في كتاب برنارد لويس الجديد/ القديم، نجده يتمثل أولاً في المنهج الذي اتبعه في هذا الكتاب، بل وفي غيره من الكتب التي استولدها هذا الكتاب، فهو يركز دراسته في الدولة العثمانية، ويعدّها معبّرة عن الإسلام والمسلمين، ولا يرى الإسلام والمسلمين خارجها، فلا يشير إلى فارس إلا لمامًا، ويسقط وسط آسيا الإسلامي تمامًا من اعتباره،



كما يفعل الشيء نفسه مع شبه القارة الهندية، فهو يختزل الإسلام في الإمبراطورية العثمانية، ويختزل المسلمين أنفسهم في حكام، وساسة، ورجال هذه الإمبراطورية، وهو اختزال له ما يسوّغه من وجهة نظر الأيديولوجية للمؤلف الذي يريد أن يقدم الإسلام والمسلمين في إطار معين بوصفهم «خطرًا» موجهًا ضد أوربا عامة، والغرب خاصة».

يحوي هذا الكتاب افتراءات ومغالطات في قضايا مثل: وضع المرأة في الإسلام، والتطور القضائي للمسلمين، وترجمة علوم.

روشغتون، آمي (وآخرون)/ العراق: الغزو . والاحتلال . المقاومة: شهادات من خارج الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣م، ٤٠٧ص، (سلسلة كتب المستقبل العربي؛ ٢٧).

يضع هذا الكتاب بين يدي القارئ العربي، مترجمًا إلى اللغة العربية، أبرز ما نشر في الخارج من مقالات الكتّاب والباحثين الذين تناولوا الحرب على العراق بالنقد والتحليل، ونشروا آراءهم فيها، عربًا أكانوا أم أجانب، كما يضم الكتاب ترجمة لتقارير لمراكز الأبحاث المتخصصة التي عالجت جوانب هذه الحرب السياسة، والإستراتيجية والاقتصادية، والفكرية في مراحلها المختلفة، وما تؤديه المراكز من أدوار متفاوتة في الأهمية في رسم السياسة الأمريكية، وفي صنع القرار الأمريكي.

وتُرواح فصول هذا الكتاب زمنيًا بين بدايات الأزمة العراقية، ومرحلة الاستعداد الأمريكي للحرب ومرحلة البحث عن مخارج ممكنة أو غير ممكنة للولايات المتحدة في ورطتها من العراق.

وهو يسهم في تقديم إجابات عن كثير من الأسئلة بشأن الدوافع والأهداف للحرب على العراق، وبشأن توقعات المستقبل، بقدر ما يلقي الضوء، على جوانب فيها لم تكن واضحة من قبل.



جروان، فتحي عبدالرحمن/ أساليب الكشف عن الموهوبين ورعايتهم، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٢م، ٣٩٢ص.

يتألف هذا الكتاب من اثني عشر فصلاً وملحقًا بالمصطلحات التي ترد فيها، فيقدم الفصل الأول عرضًا تاريخيًا لحركة رعاية الموهوبين والمتفوقين وأهم العوامل التي ساعدت على تقدمها، ويتناول الفصل الثاني أبرز الاتجاهات النظرية القديمة والمعاصرة في تعريف الموهبة والتفوق، كما يعرض لطبيعة العلاقة بين الموهبة والذكاء، والإبداع والتفوق.

أما الفصل الثالث فيعالج موضوع الخصائص المعرفية والانفعالية للأطفال الموهوبين والمتفوقين والسلوكات الدالة عليها من المراحل العمرية المختلفة ،ويتناول الفصل الرابع أساليب الكشف عن الأطفال الموهوبين والمتفوقين، ومراحل عملية الكشف والاختبار، ويتضمن الفصل عرضًا وافيًا لأهم الاختبارات والمقاييس المستخدمة في التعرف إلى الأطفال الموهوبين، والإجراءات التي يجب اتخاذها للحد من احتمالات الخطأ في الاختيار، ويتناول الفصل الخامس قضية معالجة البيانات المتجمعة عند استخدام عدة



محكات في عملية الكشف والاختبار.

أما الفصول التالية فقد عالجت جميع الجوانب المتعلقة برعاية الأطفال الموهوبين في المراحل الدراسية المختلفة للتعليم العام، مثل: عرض خطوات إنشاء برامج الرعاية، ومناهج تعليم الموهوبين، والمشكلات التي يعانيها الموهوبون، والخصائص المعرفية والانفعالية التي يتصف بها المعلم الناجح.

أما الفصل العاشر فيتناول عناصر البيئة المدرسية والصفية الملائمة لرعاية الموهوبين، ويتضمن الفصل الحادي عشر مسحًا مركزًا لواقع رعاية الموهوبين في الدول العربية، ويعرض الفصل الأخير التجربة الأردنية في رعاية الطلاب الموهوبين والمتفوقين.



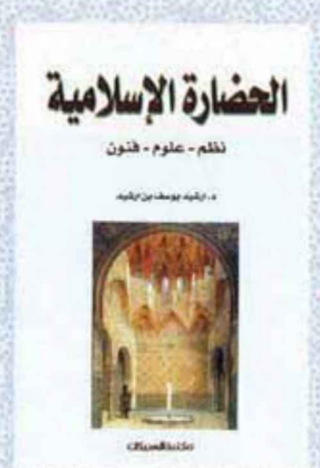
راميتون، شيلون، وجون ستوير/ أسلحة الخداع الشامل: استخدام الدعاية في حرب بوش على العراق - بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤، ٢٤٣ ص.

يكشف هذا الكتاب كيف دعا كبار المسؤولين في إدارة بوش إلى احتلال العراق، حتى قبل أن يتولى بوش منصبه؛ لكنهم انتظروا حتى سبتمبر/أيلول ٢٠٠٢م، لإعلام الجمهور بذلك، من خلال ما سماه البيت الأبيض «طرح المنتج»، وكيف استخدم موظفو البيت الأبيض التكرار والتضليل لخلق الانطباع الخاطئ بأن العراق يقف خلف هجمات ١١ سبتمبر/أيلول ؟!!

وكيف كونت وبثت الوثائق المزورة والخداع الزعم بأن العراق يملك مخزونًا احتياطيًا هائلاً من الأسلحة المحرمة.

وكيف انخرطت وسائل الإعلام الأمريكية في الدعاية والرقابة الذاتية، وكررت دون تمحيص رسائل البيت الأبيض، أثرت عكسيًا محاولات الإدارة لاستخدام تقنيات الإعلان التجاري لتلميع صورة أمريكا في البلدان الإسلامية، وكيف ساعدت شركة علاقات عامة تعمل لمصلحة وزارة الدفاع الأمريكية على خلق «المجموعة المعارضة» التي سميت «المؤتمر الوطني العراقي» الذي أصبح إحدى القوى الضاغطة لاتخاذ القرار بشن الحرب.

يذكر أن جون ستوبر مؤسس مركز «الإعلام والديمقراطية» ومديره، هو وشيلدون أميتون يكتبان ويحرران النشرة الفصلية في آرووتش: تقرير المصلحة العامة حول صناعة العلاقات العامة، الشؤون العامة، وفي عام ٢٠٠١م منح المجلس الوطني لمعلمي اللغة الإنجليزية، رامبتون، وستوبر جائزة جورج أورويل السنوية لفضحهما استخدام الخطاب المزدوج في الحياة الأمريكية.



أبو ارشيد، يوسف ارشيد/ الحضارة الإسلامية (نظم. علوم. فنون) - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٥٠٦ص.

يقول المؤلف: «لم ولن تتمتع أية حضارة في العالم قديمًا وحديثًا ومستقبلاً بمثل ما تتمتع به الحضارة الإسلامية من تحقيق الخير والسعادة والمنافع الدنيوية والأخروية معًا للناس كافة، فهي لا تخدم المسلمين فحسب، بل هي خير للناس جميعًا كما نرى في ثنايا هذا الكتاب، لما تمتاز به هذه الحضارة من الاستمرار والبقاء، وما تتضمنه من عنصري الروح والمادة معًا».

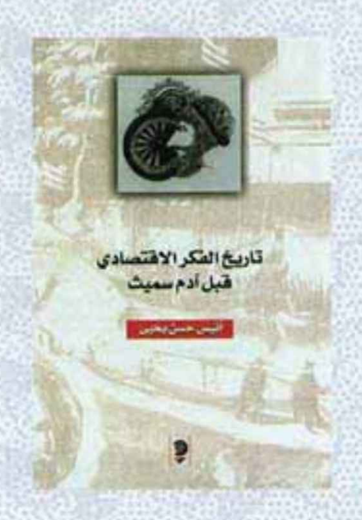
يوضح الكتاب هذه المفاهيم خلال تسليط الأضواء على فروع الحضارة الإسلامية، وما قدمته للإنسانية من نظم، وعلوم، وفنون، مع إبراز دور أهم المدن الإسلامية التي واكبت نشأة الحضارة الإسلامية وتطورها عبر العصر الإسلامية المتتابعة.

يتضمن الكتاب مقدمة وتعريفًا بالحضارة الإسلامية، ومصادرها، وخمسة فصول رئيسة، تناول الفصل الأول النظم في الدولة الإسلامية، مثل: الخلافة، والجيش والأسطول البحري، والسياسة والإدارة، وتأسيس الدواوين، وحكم الأقاليم، والقضاء، وديوان الرسائل ، والوزارة، والحجابة، والبريد، والشرطة، والحسبة، والنظام المالي، ونظام المرأة، وحقوق الإنسان، والرِّقّ.

أما الفصل الثاني فيركز في العلوم الإسلامية، مثل العلوم النقلية: التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، واللغة العربية والأدب، والعلوم العقلية مثل: الطب، والرياضيات، وعلم الفلك، وعلم الطبيعة، والكيمياء، والصيدلة، والرحلات التجارية والجغرافيا، وعلم النبات.

ويتطرق الفصل الثالث إلى نشأة الفنون الإسلامية، أما الفصل الرابع فيتناول فنون البناء والعمران الإسلامية من خلال أنواع البناء في المدن والمساجد، والقصور، والأسوار، والأسواق، والفنادق، والحمامات، والأربطة، والحصون، والقلاع، والخوانق، البيمارستنات، والأسبلة، والكتاتيب.

ويبن الفصل الخامس الفنون الإسلامية اليدوية مثل: فنون الكتابة وزخارفها، وأنواع الخط العربي، وأشكاله والزخارف التي رافقت تطور الكتابة، وفن صناعة النسيج، وصناعة الخزف والفخار، والزجاج والبلور، والحفر على الحجر والجص، والفنون الإسلامية على الصناعات المعدنية، والفسيفساء، ويختتم هذا الفصل مميزات الفن الإسلامي، ومعابر الحضارة الإسلامية إلى الغرب، وأثر الحضارة الإسلامية في الغرب.



يحيى، أنيس حسن/ تاريخ الفكر الاقتصادي قبل آدم سميث ـ أبوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٦ص.

يتطرق هذا الكتاب إلى المحاولات الدؤوب لتقعيد علم الاقتصاد وتثبيته بوصفه علمًا مستقلاً من العلوم، وذلك في المراحل السابقة لظهور المفكر الاقتصادي «آدم سميث» الذي يعدّ من أباء الاقتصاد في العصور الحديثة.

يتضمن الكتاب بابين رئيسين: يتناول الباب الأول الفكر الاقتصادي في العصور القديمة بدءًا من العصر اليوناني، مرورًا بالعهد الروماني، وانتهاءً بالعصر الوسيط، إذ تناول المؤلف معالجة المسائل الاقتصادية من قبل كل من أفلاطون، وأرسطو، وآترينوفون، وتطرق إلى اهتمامات الرومان ببحث مسألة الربا والنقود، ودور الزراعة في حياة المجتمع، وفي العصر الوسيط توما الأكويني بحث مسألة الربا، ومسألة الثمن العادل.

أما الباب الثاني فيعالج أهم ملامح فكر المدرستين: «التجارية»، ومدرسة «الطبيعيين»، وخصص الفصل الأخير من هذا الباب لعرض أهم أفكار رواد علم الاقتصاد مثل: وليام بيتي، وريتشارد كانتيلون، وجون لوك، وجون لو، وددلي نورث، ودافيد هيوم، وجيمس ستيورات، وتورجو.





آفاق الثقافة والتراث (س١٢، ع ٤٥، صفر ١٤٢٥هـ/ إبريل ٢٠٠٤م)

مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي.

جاءت موضوعات هذا العدد من الدورية في إطار اهتماماتها بالتراث والثقافة العربية الإسلامية، تساءل مدير التحرير الدكتور عز الدين بن زغيبة في الافتتاحية عمن يوقف النزيف الحاد الذي يتعرض له «التراث الإسلامي في جنوب الهند؟». ويعني به التراث الإسلامي المخطوط الذي خطته أقلام عربية، وفارسية، وأوردية منذ أحقاب وقرون خلت، وهو اليوم يتعرض للإهمال الذي ربما يتسبب في ضياعه إلى الأبد، كما رأى هو بنفسه عند زيارته لأكثر من ثلاثين مدينة وقرية هندية توجد فيها هذه المخطوطات النادرة.

وجاء في مقالات العدد: «إعراب أمّ وأمّهات في القرآن الكريم» للدكتور عبدالله بن عبدالرحمن المهوس، و«الفكر الإسلامي: المسيرة التاريخية وآفاق المستقبل» للدكتور أحمد محمد الجلي، و«الفاعلية والمشروع الحضاري: قراءة في فكر مالك بن نبي» للدكتور بن عيسى باطاهر، و«الشعر الهندسي المرسوم بين القديم والحديث: مقاربة نظرية» للأستاذ عيسى محمد صالح، و«كتاب بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف: ملاحظات واستدراكات» للأستاذ محمد سليمان النفيسي، و«منهج الإمام ابن الجوزي في تربية النفس والبدن» للأستاذ نور الدين طوابة، و«براءة العرب من إحراق مكتبة الإسكندرية» للأستاذ علي خلف صالح، و«الإمام المصلح والداعية المجدد الشيخ عبدالحميد بن باديس: رائد الحركة الإصلاحية الإسلامية في العصر الحديث» للدكتور حمد عيساوي، و«منهجية البيروني ونظامه المعرفي» للدكتور أحمد فاضل يوسف، وكان آخر المقالات بعنوان: «جامع حسَّان بالرباط: تخطيطه وعمارته وتأثيراته الفنية في عمائر الغرب الإسلامي» كتبها الدكتور صالح يوسف بن قربة.

العنوان:

دبي ص.ب : ٥٥١٥٦

هاتف: ٢٦٢٤٩٩٩

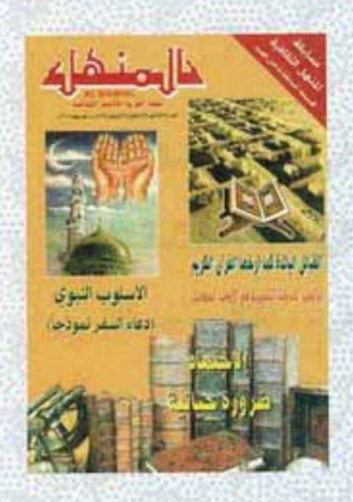
ناسوخ: ٢٦٩٦٩٥٠ ـ دولة الإمارات العربية المتحدة.



مجلة البحوث الأمنية (مج ١٣، ع ٢٧، ربيع الآخر١٤٢٥هـ/ يونيو ٢٠٠٤م)

دورية علمية محكّمة، تصدر عن مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض.

تناولت موضوعات هذا العدد من الدورية قضايا الأمن بمفهومه الشامل. بدأت بالبحوث العلمية، تناول في أولها العقيد الدكتور رضا عبدالحكيم إسماعيل رضوان «المشكلات التشريعية والإجرائية التي تثيرها تكنولوجيا الجينات»، وفي البحث الثاني تحدث الدكتور صلاح صادق صديق عن «التوجه البيئي في كتب العلوم والدراسات الاجتماعية بالمرحلة الابتدائية»، وعقد المهندس يحيى بن علي دماس الغامدي في البحث الثالث «مقارنة بين حوادث الحريق في مناطق المملكة مع توقعات المستقبل»، وجاء آخر بحوث العدد بعنوان



«تشريعات تقنية المعلومات بالمملكة العربية السعودية (الواقع والطموح والمعوقات)» قدّمه الدكتوران محمد بن عبدالله القاسم ورشيد بن مسفر الزهراني.

وفي مجال تقارير اللقاءات العلمية وعرض الكتب، جاء أولاً تقرير عن ندوة «حوادث المرور» التي عقدت في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية قدمه اللواء الدكتور خالد بن سليمان الخليوي، وتقرير آخر عن «ندوة المجتمع والأمن: المؤسسات المجتمعية والأمنية: المسؤولية المشتركة»، قدّمه الرائد عبدالحفيظ بن عبدالله المالكي. وكان آخر موضوعات العدد عرضًا لكتاب: «إجراءات جمع الأدلة ودورها في كشف الجريمة» تأليف العقيد: علي بن حامد العجرفي قدّمه النقيب محمد بن منصور الخليوي.

العنوان:

ص.ب: ٦٤٦١٠ الرياض: ١١٥٣٢ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٤٦٣٢٦٨٨ . ٢٤٦٣٦٨٤

ناسوخ: ٢٤٦١٣٧٦

المنهل (س ٧٠، مج ٦٦، ع ٥٩١، الربيعان ١٤٢٥هـ . مايو يونيو ٢٠٠٤م)

مجلة للآداب والعلوم والثقافة، تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر في جدة.

جاء هذا العدد من مجلة المنهل وهي تخطو نحو عامها السبعين زاخرًا بعدد كبير من الموضوعات المتنوعة، فكتب الدكتور عزالدين المفلح عن «ثورة الطب الأخضر» وهي محاولة للتوازم مع معطيات الطبيعة الموهوبة من الخالق سبحانه وتعالى، وتناول الدكتور بشرى الشقوري «الفكر الاجتهادي بين قاعدتي (لا اجتهاد مع النص) و(الحكم يدور مع العلة وجودًا وعدمًا)» وهو دراسة تأصيلية لموضوع الاجتهاد وعناصره ومقوماته، وقدّم الدكتور زهير شليبه دراسة تحليلية [illegible]بية للحركة الفكرية والثقافية والأدبية في العالم العربي، وجاء البحث بعنوان: «بواكير الحركة التنويرية في الأدب الحديث». وتناول د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري «القبائل البائدة كما أرخها القرآن الكريم». وهي محاولة لتحديد الأزمنة التي عاشتها تلك القبائل، ومحاولة ترتيبها زمنيًا.

وقدّم الدكتور محمد عمارة دراسة بعنوان «في التراث حقائق وأوهام». وهي دراسة مخصصة لأبي حيان التوحيدي في محاولة من الكاتب لنفي ما الصق بأبي حيان من أوهام وافتراءات، وتقع الدراسة في سبع حلقات متتاليات. بالإضافة إلى مجموعة من المقالات والموضوعات المتنوعة داخل العدد.

العنوان:

ص.ب: ٢٩٢٥ جدة الشرفية

الرمز البريدي: ٢١٤٦١

ناسوخ: ٦٤٢٨٨٥٣

هاتف: ٦٤٢٧٨٣١ . ٦٤٣٧٦٥

ص.ب: ٢٩٠ الرياض

هاتف: ٤٥٤٢٤٣٢







إبراهيم ايت حو

ورزازات - المغرب

يعدّ المغرب من البلاد المعروفة بغنى تراثها المعماري وثرائه، وهو ما جعله قبلة لأفواج السياح من مختلف بقاع العالم، كما أهله لاستقطاب كبرى شركات الإنتاج السينمائي العالمي التي تجد في بعض مآثره المعمارية أفضل مكان و«مسرح» لتصوير أفلامها (التاريخية والدينية أساسًا). ولهذا التنوع أسباب حضارية وتاريخية كثيرة، لعل أهمها ما شكله المغرب على الدوام وخلال مختلف الحقب التاريخية بحكم موقعه الجغرافي من مجال لوفود مختلف الحضارات والثقافات الإنسانية وتمازجها، وندالية، رومانية، قرطاجنية، فينيقية، امازيغية، إفريقية، عربية إسلامية، وهو ما وجد تمظهره وانعكاسه في إطار ما نحن بصدده في هذه الفسيفساء المعمارية البديعة.

ويتوفر المغرب على مآثر معمارية متعددة، طبقت شهرة بعضها الآفاق: صومعة حسان، وقصبة الأوداية بالرباط، صومعة وجامع الكتبية بمراكش، مسجد القرويين بفاس.. إلخ ومع أن النظرة الآنية والظاهرية توحي بتعدد الأشكال والأساليب المعمارية فإن المتأمل المتأني يدرك أنها لا تخرج عمومًا عن أشكال أساسية وكبرى (مساجد وصوامع - أسوار - قصبات....) وعنها تتفرع مختلف المكونات والمظاهر الأخرى، ويكاد يجمع مجمل الدارسين والمهتمين بها المجمع أن القصبات تعدّ من أهم هذه الأشكال وأعمقها، إن لم تكن أهمها على الإطلاق.

القصبة: مفهومها وخصائصها

أ. يصعب الحديث عن أصل القصبة كجنس معماري مغربي أصيل، وكذا مختلف المراحل التاريخية التي مر منها، والأمر المؤكد انه الشكل الذي استعمله ووظفه واشتهر به الأمازيغيون (سكان المغرب الأولون والمشكلون حاليًا لنحو نصف سكان البلاد)، ومن أطرف التفاسير القائمة في هذا الباب إشارة بعضهم إلى أن هذا الأصل هو الجزيرة العربية بحكم التشابه الكبير القريب من التطابق المُلاحظ بين هذا الشكل المعماري والبناء التقليدي السائد في اليمن، وهو تفسير اعتمده أساسًا القائلون والمدافعون عن الأصل العربي لأمازيغ المغرب، وأيًا كان الأمر، فإن هذا المكون المعماري شأنه شأن كثير من المكونات الثقافية والحضارية لمختلف الأمم والشعوب، إنما هو ثمرة ظروف بيئية وثقافية... حاصة وتفاعل مع مختلف المؤثرات الثقافية... الإنسانية.

ب. والقصبة هي بناية كبيرة تتخذ شكلاً مربعًا غالبًا، وتتشكل من عدة طبقات قد تصل إلى أربعة أو اكثر، وغالبًا ما يخصص الطابق الأرضي لإيواء البهائم والدواب، وبقية الطبقات للسكن والإقامة، وبقية الشؤون المعيشية الأخرى، كما تتميز القصبات بارتفاع نسبي في أركانها الأربعة فيما يشبه غرفًا شبه مستقلة (ما يسمى بالبروج باللغة المحلية)، وهي تستعمل لإيواء الضيوف، وكذا للمراقبة والحراسة بحكم ارتفاعها وعلوها، وغالبًا ما توجه النوافذ للجهات المراد مراقبتها، ولعل هذا ما يفسر تثبيت بعض المدافع مثلاً على النوافذ العلوية لكثير من المآثر التاريخية (قلاع - قصبات) ويلاحظ أنها تكون موجهة غالبًا للجهات التي يفترض ورود الخطر منها - الجهة البحرية غالبًا - (قصبة الأوداية، أسوار مدينة الصويرة، القلعة البرتغالية بمدينة الجديدة.. إلخ) والقصبة قد تكون مشتركة بين عائلتين أو أكثر مع وجود باب خارجي مشترك وموحد يوصد بإحكام عندما يرخي الليل سدوله، كما أنها تشيّد دومًا بالتراب (ما يسمى بالتابوت)، وتطلى بعد ذلك بالطين، وتزين بكثير من أساليب التزويق، وتضمن الطريقة المتأنية والبارعة التي تبنى بها القصبات (اختيار أجود أنواع التراب ودكه جيدًا عند البناء) قوة ومتانة للجدران المشيدة وتُمكّن أغلب القصبات والأسوار من الصمود لقرون أمام كل عوادي الزمن على الرغم من أن النظرة الخارجية توحي بعكس ذلك! هكذا فإن الكثيرين يجدون صعوبة بليغة عند إرادة هدم أبنية قديمة، ولهذا البناء التقليدي جمالية أخاذة، وفائدة عظيمة: لأن مادة التراب توفر الدفء في الشتاء، والانتعاش والبرودة في الصيف، خلاف البناء الأسمنتي، كما أنه يتناغم بشكل رائع مع لون الأرض وبشرة إنسان المناطق التي تنتشر فيها (الجنوب المغربي تحديدًا) حيث تنتشر آلاف القصبات.

وإضافة إلى ما ذكر تتميز القصبات بعدة مظاهر جمالية منها:


قصبة بعد إعادة ترميمها

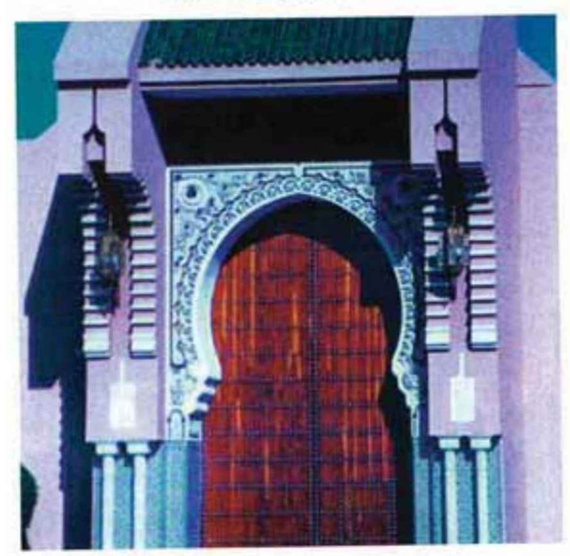
- الباب الخارجي الذي يصنع من أجود أنواع الخشب وأروعها وأشدها قوة وسمكًا. كما يتم تزويق الأبواب بتثبيت مسامير معدنية صغيرة على كل أنحائها، وبشكل فني متناغم.. وفي الوسط إلى الأعلى بعض الشيء يتم تثبيت إطار حديدي يسمى «باليد» يستعمل للدق والنقر فكأنه جرس الزمن القديم!

- لعل من أهم الخصائص الجمالية الخارجية للقصبة تلك النقوش البديعة والساحرة التي غالبًا ما يحرص سكان المغرب الأولون على ترصيعها بها، خاصة في نصفها الأعلى وعلى مستوى البروج حيث يتم «وشم» جسد البناء بخطوط وأشكال هندسية، متداخلة بشكل يجعل منها لوحات تشكيلية حقيقية مبهرة للعين، ومريحة للنفس.

ج - وبعد كل هذا، فإنه لمن المؤسف حقًا أن يكون كل ما ذكر، وما يكتب ويقال عن القصبات (وعن كثير من مكونات ذاكرتنا الثقافية المغربية والعربية الإسلامية) إنما هو انطلاقًا من بعض النماذج المعمارية المقاومة لعصير الانقراض والاندثار وكذا مما تختزنه الذاكرة الحية، فبتأثير زحف مد التمدن الجارف، وبفعل وهم حداثة ووجاهة خادعتين ثم الارتماء عشوائيًا في أتون البناء الأسمنتي الوافد، وهو زحف لم يعد يقتصر على المدن بل تعداه إلى أبعد المناطق والقرى، وهو ما خلف حقًا مجازر عمرانية وتراثية حقيقية! لقد تم في أكثر من موقع إهمال بل هدم أيات معمارية لكي تقام مكانها، وعلى أنقاضها، أبنية صماء باردة ومفتقدة لكثير من عوامل الجمال والراحة! وكثيرًا ما تساءل سياح وملاحظون أجانب عن سر هذا التفريط الغريب في كنوز تراثية لا تقدر بثمن! حقًا لقد تمت بعض الخطوات الإيجابية في هذا الإطار، خارجيًا وداخليًا، فقد عملت منظمة اليونسكو مثلاً على اعتبار بعض القصبات والمآثر تراثًا إنسانيًا (قصبة ايت بن حدو بمدينة ورزازات، بعض مآثر المدينة القديمة بفاس) ورصدت اعتمادات مالية كبيرة لصيانتها والحفاظ على خصوصياتها وجمالياتها، كما قامت السلطات المعنية بعمليات صيانة وإعادة ترميم لبعض القصبات، وبعض المعالم الأثرية الأخرى، كما عملت بعض الفنادق والمركبات السياحية على استيحاء نموذج وشكل القصبات.. غير أنها مبادرات، لا ترقى إلى المستوى المطلوب، كما أنها تتم غالبًا لأغراض مادية ومصلحية صرفة: ضمان مدخولات سياحية، تأمين تأجير بعضها لتصوير الأفلام الأجنبية (نموذج قصبة تاوريرت بمدينة ورزازات مثلاً، والتي شهدت وتشهد تصوير كثير من أشهر الأفلام العالمية...) بينما المطلوب حقًا، سنّ إستراتيجية واضحة وبعيدة المدى تنطلق من هم العمل على إنقاذ جزء عزيز من الذاكرة التراثية والثقافية... للمغرب وللحضارة العربية والإسلامية عمومًا.

وأخيرًا فأملنا أن تعي كل الجهات المسؤولة والمعنية أن التراث المعماري والثقافي.. إنما هو نتاج عبقرية الأسلاف واجتهادهم، وأنه أمانة في أعناقنا نستلهمه ونضيف إليه، ثم نسلمه للأجيال اللاحقة؛ وبذلك تستمر حلقة العطاء، وبناء الثقافات والحضارات التي تؤسس تميزها وأصالتها قبل أن تصب في مجرى الحضارة الإنسانية عمومًا.. وبهذه الرؤية أبدع أسلافنا، وخلفوا تميزًا معماريًا وثقافيًا وحضاريًا، فهل يعز علينا أن نكون خير خلف لخير سلف؟!


باب أثري بديع بعد إعادة ترميمه



بدعمكم وثقتكم أرسينا معايير مصرفية جديدة





تهانينا لكافة منسوبي البنك السعودي الفرنسي وكل من ساهم في تطوير وتنفيذ الأعمال الخاصة بهوية البنك الجديدة في جميع الفروع وأجهزة الصرف الآلي في المملكة.

كما نهنىء عملائنا الكرام ونشكرهم على ثقتهم التي تجسدت في دعم مسيرة البنك لتطوير منتجاته وخدماته.

المركز الرئيسي: ص.ب ٥٦٠٠٦ الرياض ١١٥٥٤. هاتف ٤٠٤٢٢٢٢. فاكس: ٤٠٤٢٣١١. تلكس: ٤٠٧٦٦٦ SFGM SJ

www.alfransi.com.sa



ميزَتُنا، أُسلوب خدماتنا

BANQUE WITH A DIFFERENT STYLE